

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
وقدرت ملك العلياء والتاريخية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي اعداد الطالب يوسف ابراهيم الشيخ حميد الزلاحي اشرف الاستاذ الدكتور / د. محمد الحبيب الهليلي

رسالة مقدمة
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

١٠٠٢٤٢٢

اعداد الطالب

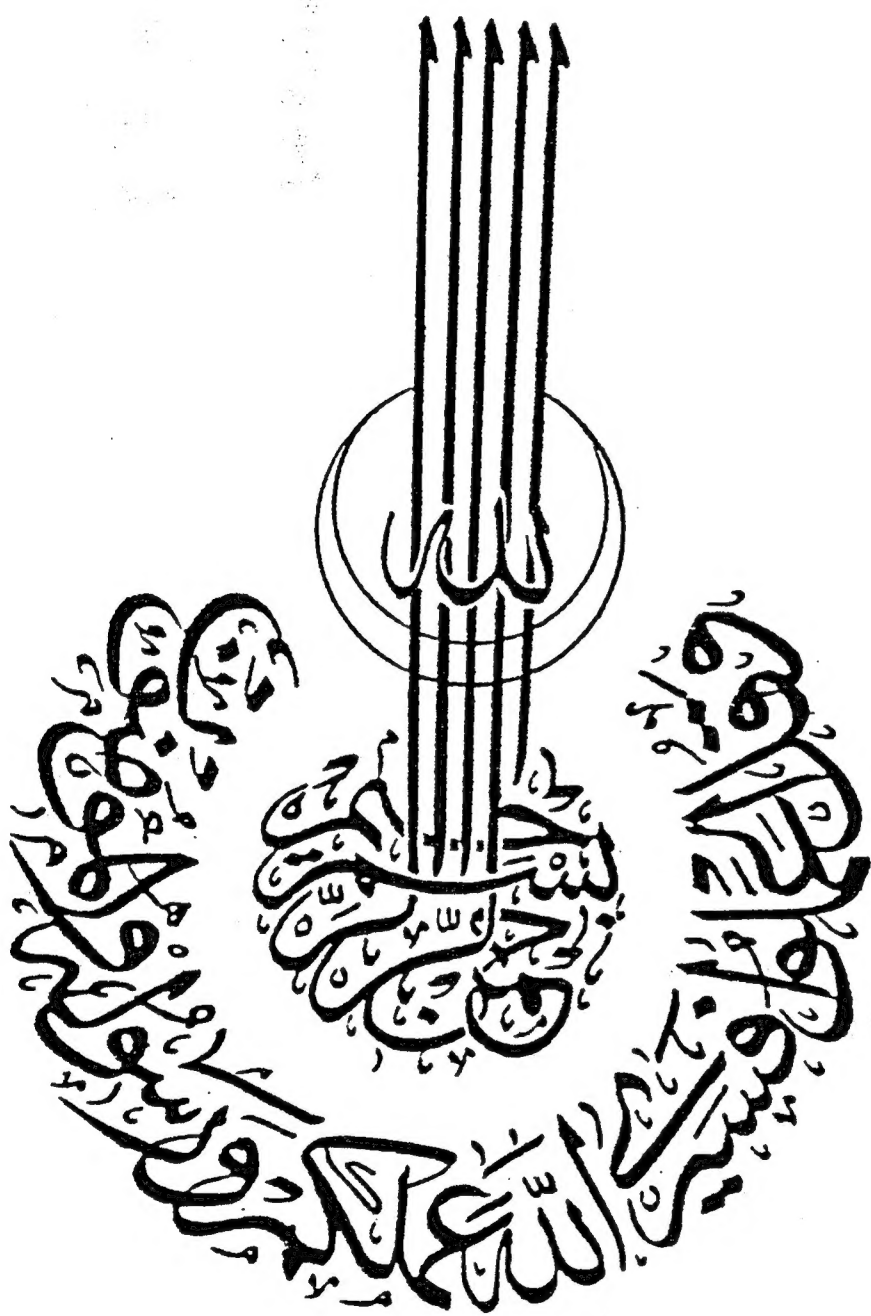
يوسف ابراهيم الشيخ حميد الزلاحي

اشرف

الاستاذ الدكتور / د. محمد الحبيب الهليلي



١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ
١٩٨٧ - ١٩٨٨ م



قال الله تعالى :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب به بالحق لما جاءه أليس فيهم من مئوى للكافرين ، والذين هادوا فينا لهم دينهم قبلنا وإن الله لمع المحسنين »

سورة العنكبوت : آية ٦٨ ، ٦٩

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة »

صحيح : أخرجه أبو داود وأحمد
جامع الاصول : ٣٢/١

شَكَرٌ وَقَدِيرٌ

(۷)

شکر و تقدیر

الحمد لله الذي تتم به الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد . . .

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه " .

فامتثالا لقول المولى عز وجل " لئن شكرتم لأزيدنكم " وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لا يشكر الله " ، وقوله : " ان أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس " .

من هذه التوجيهات ينطلق المسلم المتأدب بأدب القرآن، والمتخلّص
بأخلاق النبي العدنان، والذي من أبرز صفاته اقراره بالفضل، واعترافه
بالجميل، ومن كريم خلاله شكره لمن أسدى له المعروف وقدم له العـ
فالإنسان أسير الاحسان، تأسره اللبقة الكريمة، وتهز مشاعره المعاملة
الطيبة، فيخفق قلبه بالامتنان، وينطلق لسانه بالشكر والعرفان .

وطالب العلم المتعفف بالأمانة، والمتحلى بأدب الطلب، هو أولى من يتعين عليه ذكر أهل الفضل بفعلهم، وتشنيف الاسماء بشكرهم . لذا وجدت أنه من الواجب على أن أصدر هذا البحث بحمد الله وشكره لأنه صاحب الفضل والمنه أولا وآخرا، ثم أنه بمن كان لهم من طيب اخلاصهم، وجميل فعالهم وكريم معونتهم، وصائب مشورتهم مالا يوفيه الشكر وان عظم، ولا يكافئه الثناء وان كثر، غير أن لى فى حسن قبولهم طمعا، وفى رضاهم عنى رجاء وهم عندى أعظم وأجل من أن يؤاخذوا من عرفوا تقصيره، وحسبى أن أؤدى جزءا يسيرا من حقهم ويكفينى منهم حسن ظنهم .

(ج)

وأول من أخصه بالشكر الجزيل ،والثناء العاطر،والتقدير الوافر
بعد والدي ..أستاذي الفاضل الدكتور محمد الحبيب الهيلة - المشرف
على هذه الرسالة،فقد وجدت فيه الأب الحاني ،والأخ الناصح ،والباحث
الغطن ،والأستاذ الموجه ،والصديق الرفيق ،اذ أعطاني من وقته وجهده
أضعاف ماهر ملزم به ،وأغدق على من عطفه ونمحه ماسأئل مدينا له به
ولقد أفدت منه في الأخلاق والسلوك مثلما نهلت منه في المعارف والعلوم
فجزاه الله خير الجزاء،وجنبه كل بلاء ،ومنحه في كل أمر الرفعة
والعلاء .

كما واننى أتقدم بخالص الشكر والامتنان لجامعة أم القرى الموقرة
والقائمين عليها،لما حبتنى به من رعاية واحتفان لمواصلة دراساتي
العليا،حفظها الله قلعة للعلم والعلماء .

ولايفوتنى أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير الى كلية الشريعة
والدراسات الاسلامية ممثلة بعميدها سعادة الدكتور / سليمان بن وائل
التويجى وعميدها ووكيلها السابقين سعادة الدكتور / صالح بن حميد
وسعادة الدكتور / حمزة الفعر - على ماقدمته لى من رعاية وماأتاحتها
لى من فرصة الالتحاق فى الدراسات العليا التاريخية،راجيا لهذه الكلية
أن تبقى عامرة بأساتذتها وطلابها،وأن تحقق هدفها فى نشر العلم وتخريج
الأجيال .

كما أخص بالشكر أيضا ،الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على
ماسوف يبذلونه من جهد ومتابعة فى تقويم هذه الرسالة،وماسيتفضلون به
من توجيه وارشاد سيكون محل عنايتى واهتمامى باذن الله .

(د)

وختاما أشكر كل أستاذ وفى كل مرحلة من مراحل تعليمى غرس فى

غرسا طيبا وكل من أعاننى فى اعداد هذا البحث وقدم فيه جهدا مشكورا .

جزى الله الجميع عنى خير الجزاء ، والله المستعان وعليه التكلان .

وصلى اللهم وبارك على خير خلقك أجمعين ، محمد بن عبد الله

المبعوث رحمة للعالمين .

كتاب الصلاة

محتويات الرسالة

الصفحة

المقدمة

- (١) موضوع البحث وخطة الدراسة ١٢ - ٢
(٢) دراسة وتحليل لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث ٢٨ - ١٣
الفصل الأول : الحركات الباطنية عند قدوم الغزو الصليبي

٣٠ المبحث الأول : الحركات المتواجدة على الساحة وخصائصها

- (١) النزارية (الحشاشون) ٧٠ - ٣٠
(٢) المستعلية (الفاطميون) ٨٤ - ٧١
(٣) النصيرية ٩٠ - ٨٥
(٤) الدروز ٩٨ - ٩١

١١٢ - ٩٩ المبحث الثاني : مناطق نفوذ هذه الحركات

المبحث الثالث : علاقة هذه الحركات بالمسلمين من

١٢٢ - ١١٣ أهل السنة

١٢٥ - ١٢٣ المبحث الرابع : العلاقات بين النزارية والمستعلية

الفصل الثاني : العلاقات السياسية والعسكرية بين

الفاطميين والصليبيين

١٥٨ - ١٢٧ المبحث الأول : تعامل الفاطميين مع الصليبيين

١٧١ - ١٥٩ المبحث الثاني : مقاومة الفاطميين للصليبيين

الفصل الثالث : الباطنية النزارية (الحشاشون) ودورهم

في الحروب الصليبية

١٨٢ - ١٧٣ المبحث الأول : تعامل الباطنية النزارية مع الصليبيين

الصفحة

| | |
|-----------|---|
| ٢٠٤ - ١٨٣ | المبحث الثانى : اغتيال القادة المسلمين |
| ٢١٢ - ٢٠٥ | المبحث الثالث : افساد المجتمع الاسلامى من الداخل |
| | المبحث الرابع : موقف القادة المسلمين من الباطنية |
| ٢٢٩ - ٢١٣ | والنزارية |
| | <u>الفصل الرابع : النصيرية والدروز ودورهم فى الحروب</u> |
| | <u>العليلية</u> |
| ٢٣٧ - ٢٣١ | المبحث الأول : تأثر النصيرية بالمجوسية والنصرانية |
| ٢٤١ - ٢٣٨ | المبحث الثانى : مساعدة النصيرية للعلبيين |
| ٢٤٤ - ٢٤٢ | المبحث الثالث : مساعدة الدروز للعلبيين |
| ٢٤٩ - ٢٤٥ | <u>الخاتمة</u> |
| ٢٥٠ | <u>الملاحق</u> |
| | الملحق الأول : النصوص والوثائق الهامة المتعلقة |
| ٢٧١ - ٢٥١ | بموضوع البحث |
| | الملحق الثانى : تراجم بعض المشاهير من القادة |
| ٢٧٦ - ٢٧٢ | المسلمين الذين واجهوا الباطنية |
| | الملحق الثالث : تراجم أشهر زعماء الباطنية فى |
| ٢٨٦ - ٢٧٧ | تلك الفترة |
| | الملحق الرابع : جدول بأسماء القادة والعلماء الذين |
| ٢٩٢ - ٢٨٧ | اغتيلوا بيد الباطنية |
| ٣١٦ - ٢٩٤ | المصادر والمراجع |

المقدمة

١- موضوع البحث وخلفه الدراسة

٢- دراسة وتحليل الأهم المصادر التي اعتمد عليها
البحث

(١) موضوع البحث وخطة الدراسة .

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، الحمد لله الذى رفع الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات ، آحمده حمدا كثيرا يوافى نعمه ، وأصلى وأسلم على من لانبى بعده ، عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد :

تعتبر فترة الحروب الصليبية من الفترات الدقيقة والمهمة فى تاريخنا الاسلامى ، فهى تشكل احدى التجارب الفتية فى تاريخ العرب والمسلمين ، وآثار هذا الغزو الصليبي لاتزال ماثلة للعيان ، فالعالم الاسلامى مايزال الى اليوم يعانى من الهجمات الاستعمارية الصليبية لذلك فان دراسة فترة الحروب الصليبية أمر مفيد ومهم ، خاصة وأن العديد من حوادث الحروب الصليبية وظروفها يمكن أن تقدم لنا درسا صالحا ، لأنها قامت فى وضع يشابه وضعنا الراهن من نواح عديدة . .

تحركت الجموع الصليبية من أوروبا فى أواخر القرن الخامس الهجرى فى أول حملة صليبية لها على العالم الاسلامى والأمل يحدوها فى الاستيلاء على الأراض المقدسة وتأسيس ممالك صليبية لها فى ديار الاسلام ، وقد حققوا الشيء الكثير مم كانوا يحلمون به ، وماكان لييتحقق حلمهم لولا تفكك العالم الاسلامى وانقسامه على نفسه وظهور خلافتين فى العالم الاسلامى الخلافة العباسية فى بغداد ، والخلافة الفاطمية فى مصر ، الى جانب ذلك ظهرت كثير من الزعامات المغيرة التى كانت تطمح فى تأسيس دول خاصة بها ، ونشأ نتيجة لذلك العديد من الدول المستقلة والامارات التى كانت تتناحر وتتحارب فيما بينها ، فساهم ذلك مساهمة كبيرة فى زيادة تفكك العالم الاسلامى . .

وبالإضافة الى هذا كله ظهرت فى العالم الاسلامى حركات باطنية هدامة. كان لها دور واضح فى زيادة تفكك العالم الاسلامى ، وهذه الحركات أخذت تنشئ لها التنظيمات السرية وتجمع حولها الأتباع ، وتبث بينهم الأفكار المنحرفة عن الاسلام ، وكان لهذه الحركات الباطنية أيضا دور مهم فى أحداث التاريخ الاسلامى خاصة فى عصر الحروب الصليبية ، حيث ساهمت بشكل واضح فى عرقلة سير حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين .

ولكن الله سبحانه وتعالى توكل بحفظ دينه ، وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها " ، فمن وسط هذا الضعف والانحلال والتفكك الذى كان يعيشه العالم الاسلامى فى تلك الحقبة نهض رجال أقوياء حملوا على عاتقهم راية الجهاد فى سبيل الله ، وعملوا جاهدين على توحيد المسلمين وجمع صفوفهم فى جبهة اسلامية واحدة للجهاد ضد الصليبيين وطردهم من بلاد المسلمين ، وتكللت جهودهم بالنجاح والتوفيق ، فاستطاعوا احراز انتصارات عديدة على الصليبيين فى أكثر من معركة ، كما أنهم استطاعوا تحرير أجزاء كبيرة من الأراضى التى احتلها الصليبيون ، وواصلوا السير فى الطريق الذى رسموه لأنفسهم ، والهدف نصب أعينهم ، ولكن أهمل الحقد والغدر من أصحاب تلك الحركات الباطنية وقفوا حجر عثرة فى طريق هؤلاء القادة ، فعرقلوا سيرهم ، وبددوا كثيرا من جهدهم ، فطالت أيديهم الخبيثة وخناجرهم الغادرة باغتيال معظم هؤلاء القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد ضد الصليبيين .

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة تحاول البحث فى دور الحركات الباطنية فى عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، ولقد أرخ القدماء لهذه الحركات وذكروا أعمالها الوحشية فى أماكن متناثرة من كتبهم ومؤلفاتهم

وأما الباحثون المحدثون فأرخوا لفترة الحروب الصليبية وذكروا الحركات الباطنية وما قامت به من أعمال فى تلك الفترة ، بالتلميح تارة وبالدراسة الجزئية تارة أخرى ، وكل ما هنالك عن دور الحركات الباطنية فى تلك الفترة نتف أو شذرات مبعثرة فى بطون المصادر العربية أو المؤلفات الحديثة ، ولم أعثر على كتاب متكامل مستقل بحث هذا الموضوع بجميع جوانبه .

كل هذه العوامل دفعتنى لأن أقوم بهذه الدراسة ، فأجمع النصوص المتناثرة والمتفرقة فأرتبها بالدراسة والتحليل فى عمل علمى أمل أن يكون متكاملًا ، وأوضح بالتفصيل الدور الذى قامت به هذه الحركات خلال الحروب الصليبية ، وكيف أنها عرقلت مسيرة الجهاد والوحدة الإسلامية ضد الصليبيين .

وكنت أحس وأنا أجمع مادة هذه الدراسة بالفرح أحيانا وبالأسلم أحيانا أخرى ، فكنت أفرح عندما أقرأ ماسجله التاريخ عن الروح الجهادية التى كانت عند القادة المسلمين أمثال عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ، وما حققوه من انتصارات باهرة ضد الصليبيين . وكنت أتألم عندما أقرأ مخازى الحركات الباطنية وما قامت به من أعمال هدامة لعرقله جهود هؤلاء القادة . وغيرهم فى جهادهم ضد الصليبيين . لقد أتاحت لى الفرصة الاطلاع أثناء قيامى بأعداد البحث على فترة زاخرة بأحداث أقرب ماتكون الى مانعانيه اليوم ، ولكن أسلافنا تغلبوا على تلك الأحداث بالايمان العميق والتعاون الوثيق والوحدة الشاملة .

إضافة الى ذلك كنت أهدف من وراء الكتابة فى هذا الموضوع أن يكون جزء كبير منه تاريخا لبلد أنتمى اليه وأحبه وله على دين وواجب ، حاولت أن يكون تاريخا لبلد يشدنى اليه محبة ووفاء ، وتاريخا يقرؤه أبناء

هذه الأمة ليعرفوا ماضيهم فيكون منه الدرس والعبرة ، التي تفيد فى جمع الصفوف ولم الشمل وتقوية النفوس وشحذ الهمم والتأليف بين القلوب حتى ينطلق المخلصون من هذه الأمة نحو غد مشرق يستطيعون به تحرير الأرض ، أرض النبوات والمقدسات ، والتي كانت مطمعا للغزاة والمستعمرين على مر الأيام والسنين ، وتخليص ثالث الحرمين الشريفين من أيدي الصليبيين الجدد .

تتكون رسالتى هذه من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وبعض الملاحظات واقتصرتم المقدمة على ذكر سبب اختيار الموضوع ودراسة وتحليل لأهم المصادر التي اعتمدتها فى البحث ، وأما الفصل الأول وعنوانه الحركات الباطنية عند قدوم الغزو الصليبي فهو يحتوى على أربعة مباحث ، تناول المبحث الأول أهم الحركات الباطنية المتواجدة على ساحة الأحداث وقت وصول الغزو الصليبي وخمائص هذه الحركات ، وهى أربعة حركات رئيسية : النزارية (الحشاشون) فى بلاد فارس والشام ، والمستعلية (الفاطميون) فى مصر ، والنصيرية والدروز فى بلاد الشام ، وتطرق المبحث الى نشأة هذه الحركات كل على حدة ، وذكر زعماء كل حركة والجهود التي قام بها فى دعم أفكار وعقائد الحركة التي ينتمى اليها ، كما أشار المبحث الى أهم عقائد ومبادئ كل حركة بصورة موجزة بما يعطى القارئ لمحة عن تصورات كل حركة للعقيدة والعبادات الاسلامية ، حتى يقف على حقيقة ما قامت عليه .

أما المبحث الثانى فلقد أشار الى مناطق نفوذ هذه الحركات وتحديد منطقة تواجد كل حركة وأسماء المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لهذه الحركات ، كما أشار على وجه الخصوص الى قلاع وحصون الحركة النزارية لأنها تمركزت واتخذت من القلاع والحصون مأوى لها ، وكيفية استيلاء هذه

الحركة على هذا العدد الهائل من القلاع والحصون والحيل التى استخدموها
فى السيطرة عليها .

وألقي المبحث الثالث الضوء على علاقة هذه الحركات بالمسلمين
من أهل السنة كل حركة على حدة ، فوضح العلاقات بين النزارية الباطنية ،
وبين السلاجقة السنيين وبم اتسمت به هذه العلاقة من عداوة مطلق بين
الطرفين والجهود التى بذلها بعض سلاطين السلاجقة للتخلص من خطر
الباطنية وفسادها فى المجتمع الاسلامى ، كما أشار أيضا الى علاقة هذه
الحركة بحكام بلاد الشام فى دمشق وحلب وكيف تغلغلوا فى المجتمع
الاسلامى هناك وما فعله بهم حكام تلك الولايات من قتل وبطش للتخلص من
خطرهم .

كما تناول المبحث أيضا علاقة المستعلية (الدولة الفاطمية)
بحكام بلاد الشام ، وأشار الى العلاقة الودية التى حصلت بين رضوان ملك
حلب السلجوقى وبين خليفة مصر المستعلى ، واقامة رضوان الخطبة
للمستعلى فى حلب ثم قطع هذه الخطبة وتقليص هذه العلاقات ، وبين المبحث
أيضا طبيعة علاقة العداء الذى تكنه هذه الحركة للقوى السنية فى بلاد
الشام ، فكانت باستمرار تشن الغارات وترسل الحملات للسيطرة على المناطق
السنية فى جنوب بلاد الشام ، فاستطاعت أن تخضع بيت المقدس لنفوذها
وأن تنتزعه من أيدي الاراتقة السنيين فى وقت قدوم الحملة الصليبية
الأولى .

وعالج المبحث الرابع والآخر فى الفصل الأول العلاقات بين
النزارية والمستعلية ، وبين أن العلاقة بينهما كانت علاقة عداوة مستحكم
وكيف كان كل طرف يتربص بالطرف الآخر الدوائر ويتحين الفرص للانتقام من
خصمه ، فتحدث عن ماقام به الوزير الأفضل من تتبع أنصار نزار والتنكيل

بهم وتصفيتهم ، وتحدث أيضا عن ما قامت به النزارية من أعمال ضد خصومهم المستعنيين حيث استطاعوا اغتيال عدوهم الأول الوزير الأفضل ثم اغتيال الخليفة المستعلى الفاطمي الأمر بأحكام الله عام ٥٢٤هـ .

أما الفصل الثاني وعنوانه العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين فهو ينقسم الى مبحثين ، المبحث الأول تنسب علاقات التعاون التي تمت بين الفاطميين والصليبيين ابان وصول الحملة الصليبية الأولى وحصارها لأنطاكية عام ٤٩١هـ وتوغلها جنوبا في بلاد الشام ، وتطرق الى المراسلات التي تمت بين الطرفين ووقوف الفاطميين السلبي في بداية الأمر من الزحف الصليبي وتوغله في بلاد الشام صوب بيت المقدس مما ترتب على ذلك سقوط المدن والمعازل الاسلامية الواحدة تلو الأخرى بسبب عدم ملاقات الصليبيين لأي مقاومة تذكر .

وأشار المبحث أيضا الى ماتم من مراسلات بين الوزير الفاطمي شاور وملك الصليبيين يستنجدهم على أسد الدين شيركوه وجنوده ، لطردهم من مصر بعد أن أعادوه الى الوزارة وقضوا على خصومه وتنكره لهم وعدم وفائه بوعوده ، التي قطعها على نفسه للملك نور الدين محمود ، فاستنجد بهم عدة مرات متوالية عندما كان أسد الدين يعود الى مصر لابعاد الخطر الصليبي عنها ومصرف نظرهم عن احتلالها ، اضافة الى ذلك حنقه على شاور لنقضه وعوده . لأسد الدين الى أن انتهى الأمر باستنجد الخليفة الفاطمي العاضد بنور الدين محمود بسبب سياسة شاور المتعاونة مع الصليبيين فأرسل نور الدين محمود قائده أسد الدين شيركوه الى مصر وقبض على شاور وأعوانه وقطع رأسه وأراح مصر من شره ، وقلد بعد ذلك الخليفة العاضد شيركوه في الوزارة مكان شاور ، وبعد وفاته قلده مكانه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي انتهى به الأمر بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي

العاضد واقامة الخطبة للخليفة العباسى وأنهى أمر الدولة الفاطمية
فى مصر وذلك فى عام ٥٦٧ هـ .

وعالج المبحث الثانى العلاقات العسكرية بين الفاطميين والصليبيين
فبين دور الفاطميين فى مقاومة الصليبيين ، والحملات العسكرية المتوالية
التي بعثتها الدولة الفاطمية لمقاومة الصليبيين ووقف زحفهم جنوبا
فى بلاد الشام ، وتحدث المبحث عن دور بعض الوزراء الأقوياء فى الدولة
الفاطمية الذين كانوا متحمسين للجهاد ضد الصليبيين مثل رضوان بن
الولخشى وغيره الذين هبوا لمقاومة الصليبيين رغم تقاعس الخلفاء
الفاطميين عن ذلك وعدم تشجيعهم لهم ، كذلك أشار المبحث الى جهود
الوزير العادل ابن السلار ومشروعه لمقاتلة الصليبيين وارساله لأسامة بن
منقذ أحد أمراء قلعة شيزر فى الشام الذى كان موجودا فى مصر الى
نور الدين محمود يخبره بخطة مشروعه لمقاتلة الصليبيين وماقام به
أسامة بن منقذ بعد ذلك بتشجيع من نور الدين محمود لمقاتلة
الصليبيين .

أما الفصل الثالث وعنوانه الباطنية النزارية ودورهم فى الحروب
الصليبية ، فهو ينقسم أيضا بدوره الى أربعة مباحث ، ألقى المبحث
الأول منها الضوء على تعامل الباطنية النزارية مع الصليبيين ، فبين
حقيقة الدور الذى لعبته الحركة النزارية فى تعاملها مع الصليبيين
بتبادل الرسائل بينهما وماقدمته هذه الحركة من تسهيلات للصليبيين
لتثبيت أقدامهم فى بلاد الشام ، وذلك بالعرض عليهم أخذ دمشق ، كما
وأشار المبحث الى العلاقات الوثيقة التي كانت بين الحركة الباطنية
النزارية والصليبيين لدرجة أن أصحاب هذه الحركة كانوا يخوضون
المعارك مع الصليبيين جنبا الى جنب ، كما حصل فى موقعة انب ، وكشف

المبحث النقاب أيضا عن ماكان بين هذه الحركة واليهود من تعاون وثيق وبين أن هناك عدد كبير من اليهود يعمل داخل صفوف هذه الحركة ويخوض معها المعارك ضد القوى الإسلامية المجاورة ومحاولتها عرقلة كل جهود تبذل للوحدة الإسلامية والجهاد ضد الصليبيين، وأشار المبحث أيضا إلى المراسلات التي تمت بين زعيم الحركة النزارية في الشام وبين القادة الصليبيين طالبا منهم العون والتحالف ضد المسلمين السنيين مقابل تقديم خدماته لهم باغتيال والفتك بأي قائد مسلم يريدون أو يجسدون فيه خطر عليهم .

ودرس المبحث الثاني دور الحركة النزارية في اغتيال القادة المسلمين، وكيف كانت هذه الحركة تتربص الدوائر بكل قائد مسلم، فطالبت أيدي أصحاب هذه الحركة العديد من قادة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين وكل قائد حاول أن يوحد جهود المسلمين للوقوف في وجه الصليبيين، إلى جانب ذلك اغتالت أيدي أصحاب هذه الحركة العديد من العلماء والوزراء والسلاطين والخلفاء والوعاظ والفقهاء، فقتلت كل من سولت لـه نفسه أو قام بأي عمل من الأعمال ضد الباطنية أو النيل من أصحابها فراح ضحيتها العشرات من هؤلاء القادة والعلماء .

أما المبحث الثالث فلقد ألقى أضواء جديدة على دور الحركة النزارية في افساد المجتمع الإسلامي من الداخل، وكيف عملت على نشر الرعب والخوف والفرع بين أفراد هذا المجتمع، فأصبح المجتمع الإسلامي يعاني من خطرين في آن واحد، الخطر الباطني الذي لاهم له إلا النيل من أهل السنة والفتك بهم وقتلهم، والخطر الصليبي الذي استهدف الأرض والإنسان . فبين المبحث ماقامت به الحركة النزارية من سلب ونهب وقتل للأبرياء من الناس العزل من نساء وأطفال وشيوخ، لاشاعة الرعب

والخوف بين أفراد المجتمع الاسلامى ، وأشار الى اعتداءات هذه الحركة على القرى والمدن الاسلامية المجاورة لمناطق نفوذهم ، فكانوا يغيرون عليها بين الحين والآخر فيقتلون ويسلبون ويخربون ، مما جعل الناس يعيشون فى قلق وخوف دائمين لدرجة أنه اذا تأخر الانسان عن منزله تيقن أهله بأن الباطنية قد قتلوه فيجلسون للبكاء عليه ، وشرح هذا المبحث أيضا ماكان يقوم به أفراد هذه الحركة من اعتداء على قوافل المارة وقوافل الحجاج التى كانت تمر من جوارهم فكانوا يباغتون هذه القوافل ويقتلون أصحابها ويستولون على ما فيها من مال ومتاع ، وكذلك ماكانوا يقومون به من اعتداءات متكررة على قوافل الحجج المتجهة الى الأماكن المقدسة .
لأداء فريضة الحج ، فيغيرون عليهم ليلا وهم نائمون آمنون فيضعون السيف فيهم ويستولون على ما بأيديهم من أموال وأقوات أعدوها لرحلة سفرهم لأداء الفريضة .

وصور لنا المبحث صورة واضحة عن ماأشاعته هذه الحركة من فساد ورعب وخوف فى أرجاء المجتمع الاسلامى وكيف أن مؤرخ كبير من مؤرخى الدولة السلجوقية (العماد الاصفهاني) لم يستطع التحدث عن الباطنية بصراحة مكشوفة بل تحدث عنهم بالتلميح والاشارة حتى لاتناله أيديهم فتصرعه كما صرعت غيره . . . وكذلك صور لنا صورة من حياة الناس وكيف كانوا يخبثون فى الليل مألديهم من مال ومتاع فى أماكن غير معروفة . ثم يأخذونها فى الصباح ، وهكذا يفعلون فى كل ليلة خوفا من كبسات الباطنية فى الليل .

وشرح المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل موقف القادة المسلمين من الباطنية ، وتحدث عن الجهود المشكورة التى بذلها القادة المسلمون للحد من خطر الباطنية فى المجتمع الاسلامى ، فتحدث عما قام به سلاطين

الدولة السلجوقية في هذا المجال وما بذلوه من جهود جبارة، فأشار إلى جهود كل من السلطان ملكشاه وأولاده من بعده بركيارق ومحمد وسنجر ومحمود بن محمد، وكذلك أشار إلى دور كل من الدولة الغورية والدولة الغزنوية في هذا الصدد . وألقى المبحث أيضا الضوء على جهود كل من ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب وتاج الملوك بوري صاحب دمشق للقضاء على الباطنية، وكيف نكلوا بها وطهروا المدينتين منهم بعد أن أصبح خطرهم يتهدد الكبير والصغير، وبين كذلك ما قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي للحد من خطر هؤلاء القوم وما قام به من محاصرته لقلعتهم الرئيسية في بلاد الشام ودكها بالمنجنقات، وبرهنت الدراسة أيضا عن عجز هؤلاء القادة على القضاء على الباطنية قضاء نهائيا وتطهير المجتمع الإسلامي منهم، ولكنهم استطاعوا إلى حد بعيد التخفيف من خطرهم وتقليصه، وأعطاهم دروسا قاسية على ما كانوا يرتكبونه من جرائم ضد أفراد المجتمع الإسلامي ومصلحه .

أما الفصل الرابع والأخير في الرسالة وعنوانه النصيرية والدروز ودورهم في الحروب الصليبية فهو ينقسم إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول منها تأثير النصيرية بالمجوسية والنصرانية، وبين الأفكار والعبادات المجوسية التي تأثرت بها النصيرية نتيجة لانتهاج مؤسسيها محمد بن نصير الذي يعود أصله لبلاد فارس، وبين كذلك التأثيرات النصرانية على الفرقة النصيرية نتيجة لانخراط الأخيرة في المجتمعات الصليبية. إبان الحروب الصليبية، فتأثرت ببعض العبادات والطقوس النصرانية نتيجة لذلك .

وأشار المبحث الثاني إلى مساعدة النصيرية للصليبيين وما قدمته هذه الفرقة من معونات للصليبيين للاستيلاء على أنطاكية وغيرها من



المعادل الإسلامية ، وبين مقالته شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذه الفرقية من أنها أشد خطرا من اليهود والنصارى على المسلمين وكيف أنهم كانت عوناً للنصارى الصليبيين على المسلمين أثناء الهجمة الصليبية على العالم الاسلامى .

وبين المبحث الثالث مساعدة الدروز للصليبيين وكيف كان موقفهم سلبيا من الزحف الصليبي ، بحيث لم يبدوا أى مقاومة لهذا الزحف ، وكذلك أشار المبحث الى تعاون بعض أمراء وزعماء الدروز مع الصليبيين وعقد الملح معهم ، وأشار المبحث الى دور السلطان الظاهر بيبرس فى القبض على زعماء الدروز عندما أدرك خطرهم واتصالهم بالصليبيين حتى يأمن جانبهم أثناء جهاده ضد الصليبيين ، وفى النهاية ذكر جواب ابن تيمية عن الدروز بأنه لايجوز استخدامهم فى الحراسة والبوابة لأن هؤلاء القوم دأبوا على الخيانة وتقديم العون للصليبيين وكل عدو للمسلمين .

وأخيرا تضمنت الرسالة خاتمة تبين أهم النتائج التى توصل اليها البحث ، ومجموعة من الملاحق تشتمل على بعض النصوص والوثائق الهامة المتعلقة بموضوع البحث مع بعض التراجم لأشهر القادة المسلمين الذين جاهدوا الصليبيين والباطنية وتراجم أشهر زعماء الباطنية فى تلك الفترة .

(٢) دراسة وتحليل لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث .

لقد اعتمدت في بحثي هذا على عدد لا بأس به من المصادر العربية — بعضها كان معاصرا لأحداث تلك الفترة فأمد البحث بمادة علمية جيدة عن تلك الأحداث، وبعضها كان قريب العهد منها فكان شارحا ومكملا لبعض جوانب النقص في المصادر السابقة، كما اعتمدت على عدد كبير من المراجع العربية الحديثة التي شرحت وبينت بعض جوانب الموضوع، وسأقتصر في هذا العرض على دراسة وبحث أهم المصادر التي اعتمدت عليها، والتي تتمثل اتصالا مباشرا بموضوع البحث وبرزت أهميتها من خلال معالجتي لهذه الدراسة .

فمن المصادر الأصلية التي اعتمد عليها البحث كتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى عام ٦٣٠ هـ، وهو أحد أخوة ثلاثة اشتهر كل واحد منهم في فن من الفنون حيث اتجه كل واحد منهم اتجاها خاصا في حياته العلمية، فاختار الأخ الأكبر مجد الدين أبو السعادات العلوم الدينية فاشتهر في مؤلفاته في الحديث والتفسير، واختار ضياء الدين الأدب فاشتهر بمؤلفاته الأدبية وفي مقدمتها "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، أما عز الدين الأخ الأوسط فقد اختار التاريخ فاشتهر بمؤلفاته التاريخية وفي مقدمتها كتابه "الكامل في التاريخ" و"التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية" (١) .

ولد المؤرخ عز الدين بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل مع والده وأخويه وأقاموا بها، فتلقى العلم والدراسة بها وتنقل

(١) انظر ابن الأثير : التاريخ الباهر، مقدمة المخقق ص ٩، شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ١١١/٢ .

مابين بغداد ودمشق وحلب والقدس حيث التقى فيها بعدد من المشايخ
تلقى على أيديهم عددا من العلوم والمعارف فكان "اماما في حفظ الحديث
ومعرفته ومايتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيرا
بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم" (١) .

ويعتبر كتابه الكامل في التاريخ من أهم المصادر التاريخية
فهو أحسن ما صنف من كتب في التاريخ الاسلامي العام ، فلقد جمع فيه
أخبار العالم الاسلامي شرقه وغربه ، ومابينهما ، وهذا ما لم يسبقه اليه
أحد ، وأفاده في ذلك صلته الوثيقة بإدارة الحكم في الموصل ، وبفضل
أسفاره العديدة في طلب العلم ، والاضطلاع بمهام سياسية رسمية من قبل
صاحب الموصل (٢) .

بدأ ابن الاثير كتابه الكامل بالتاريخ من أول الزمان وانتهى
به عند آخر سنة ٦٢٨هـ وسار فيه على منهج الكتابة على حسب السنين
(نسق الحوليات) مع عدم الاخلال برواية الحادثة الواحدة التي جاءت
مقطعة في سنة واحدة ، وحرص كذلك على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه
المختلفة ، كما بذل جهدا كبيرا في مراعاة التوازن بين الأحداث في
مختلف أنحاء العالم الاسلامي (٣) .

ويعتبر كتاب الكامل العمود الفقري والمصدر الأساسي الذي اعتمد
عليه هذا البحث ، فلقد وردت فيه معلومات غزيرة ومفصلة عن فترة

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٨ .
(٢) انظر نفس المصدر السابق ، البناز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية
ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ابن الاثير : التاريخ الباهر ، مقدمة المحقق ص ١٥ ،
سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٩ .
(٣) البناز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٦ ، عبدالعزيز سالم :
التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٠٣ ، سعيد عاشور : بحوث ودراسات في
تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٩ ، ٤٠٣ .

الحروب الصليبية والباطنية لم ترد بهذا الشكل فى أى مصدر آخر
 وحرص ابن الأثير كعادته فى كتابه على اعطاء الصورة الكاملة عن الحدث
 الذى يتكلم عنه بحيث يعطى القارئ صورة متكاملة عن ذلك الحدث . فحين
 تكلم عن أمر السلطان بركيارق فى قتل الباطنية عرف من هم الباطنية
 وما هو أصلهم ، ثم تحدث عن أول ابتداء أمرهم ، وكيف ظهرت واشتهروا ، ثم
 تكلم عن سبب قتلهم فقال : " فى هذه السنة أمر السلطان بركيارق بقتل
 الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون القرامطية
 ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم " (١) .

واستفاد البحث أيضا من كتاب الكامل لابن الأثير فى تحديد مناطق
 نفوذ الحركة النزارية الباطنية فى بلاد فارس ، فذكر عددا لا بأس به
 من قلاعهم وحصونهم وكيفية استيلائهم على هذه القلاع والحصون ، وكان يعرف
 أحيانا بهذه القلاع من حيث الموقع ، وكيف بنيت ومن الذى بناها وكيف
 آلت الى الباطنية فكانت معلوماته فى ذلك دقيقة ومفصلة . (٢)

وأفاد كتاب الكامل لابن الأثير البحث فى تحديد أسماء القادة
 والوزراء والعلماء والولاة الذين اغتالتهم الباطنية ، فذكر طرقهم
 وأسلوبهم فى ذلك ، ويعتبر كتاب الكامل الكتاب الوحيد الذى أتى على
 ذكر أكبر عدد من أسماء الرجال الذين اغتالتهم الباطنية وشرح كيفية
 وقوع عملية الاغتيال كاملة . وعند الحديث عن دور الباطنية فى افساد
 المجتمع الاسلامى أمدا ابن الأثير بمعلومات دقيقة وهامة عن ذلك ، وذكر
 لنا صورا تاريخية عما كان يفعله هؤلاء القوم بأفراد المجتمع الاسلامى

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ٣١٣/١٠ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ٣١٥/١٠ - ٣١٩ .

(٣) انظر تفصيلات ذلك فى المبحث الثانى من الفصل الثالث .

وكيف كانوا ينشرون الرعب والخوف بين الناس حتى أصبح الواحد منهم لا يستطيع أن ينفرد بنفسه وحيداً. ما شيا في الطريق، وكعادة ابن الأثير في ابراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة ذات أسلوب بسيط واضح، أوضح ذلك المعنى في عبارات ابتدأ فيها الحديث عما يريد ذكره عن ما كان يفعله الباطنية في المجتمع الاسلامي، وأمثلة ذلك كثيرة منها : " لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبعان، أذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم "، " وشاعت الغارة في تلك النواحي، وأكثروا القتل في أهلها والنهب لأموالهم، والسبى لنسائهم " (١).

كما وأمدنا ابن الاثير بمعلومات هامة عن الجهود التي بذلها القادة والحكام المسلمين للفتك بالباطنية وقتلهم ومحاولة تقليص خطرهم ومنعهم من التوسع على حساب مناطق أهل السنة أو الاستيلاء على مزيد من القلاع والحصون، فأشار الى جهود كل من ملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر ومحمود في جهادهم ضد الباطنية ومحاولاتهم المستمرة لتصفيتهم من المجتمع الاسلامي، والمعارك التي خاضوها ضد (٢)، وأشار كذلك الى جهود كل من الدولة الغورية والدولة الخوارزمية في هذا المجال .

أما كتاب التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية لابن الأثير، فلقده خصه لتاريخ الأسرة الزنكية، والدولة التي أسسوها في الموصل على يد عماد الدين زنكي، فبدأ بسرد أخبار الدولة بدأً بقسيم الدولة آقسنقر والد عماد الدين زنكي، فذكر صلته بالسلطان السلجوقي ملكشاه وولايته على حلب من قبله، ثم ذكر مقتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ هـ، ثم تناول أخبار عماد الدين زنكي وجهاده ضد الصليبيين حتى وفاته سنة ٥٤١ هـ، ثم تحدث

(١) انظر ابن الاثير : الكامل ٣١٤/١٠ - ٣١٥ - ٣٩٢ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ٣١٩/١٠، ٣٢٢، ٣٢٠، ٤٣٠، ٥٢٧، ٦٣١ .

عن أخبار نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى وجهوده الجبارة فى جهاده ضد الصليبيين ، وبين ماقام به من عمل متواصل من أجل توحيد القوى الاسلامية فى الشام ومصر من أجل الوقوف فى وجه الصليبيين ، فذكر استيلاءه على حلب بعد وفاة أبيه ، ودمشق سنة ٥٤٩هـ ومصر سنة ٥٦٤هـ والموصل سنة ٥٦٦هـ .^(١)

ولقد أفاد البحث من كتاب التاريخ الباهر عند دراسة جهود نور الدين محمود فى ضم مصر الى صف أهل السنة وادخالها فى الجبهة الاسلامية الموحدة ضد الصليبيين ، فأشار الى الحملات العسكرية المتوالية التى بعثها بقيادة قائده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبيى وبين كيف استطاعا فى النهاية اسقاط الدولة الفاطمية الشيعية واعادة مصر الى صف أهل السنة ، وضم جهود مصر مع جهود الشام فى الجهاد ضد الصليبيين .

ومن المصادر الأصيلة التى اعتمد عليها موضوع البحث كتاب ذبيل تاريخ دمشق لمؤلفه أبى يعلى حمزة بن على بن أسد التميمى المعروف بابن القلانسى والمتوفى عام ٥٥٥هـ ، وينتمى ابن القلانسى الى أحد الأسر الدمشقية الشهيرة والتى كانت رئاسة دمشق لبعض رجالها ومنهم المؤرخ ابن القلانسى ، فتلقى ابن القلانسى تعليمه فى دمشق فدرس الأدب والحديث والحساب واللغة الفارسية ، وتولى ابن القلانسى العديد من المناصب الادارية فى دولة ظهير الدين طغتكين وأولاده من بعده ، فأصبح رئيسا لدمشق مرتين ، حيث رأس ديوان الرسائل وديوان الخراج ، فأتيح بذلك لابن القلانسى عن طريق الوثائق المحفوظة بتلك الدواوين على الاطلاع على كثير من

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر، مقدمة المحقق ص ١٥ - ١٦ ، سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٦ .

أسرار السياسة في دمشق وبلاد الشام خلال فترة حكمه التي تزامنت مع قدوم
(١)
الغزو الصليبي لبلاد الشام .

جعل ابن القلانسي كتابه ذيل تاريخ دمشق، ذيلًا على كتاب المؤرخ
المشهور هلال الصابي الذي ينتهي به عند حوادث سنة ٤٤٨هـ وأنهاه في
عام ٥٥٥هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن القلانسي، وكتاب ذيل تاريخ
دمشق من كتب التاريخ المحلي، فلقد خصه ابن القلانسي لتدوين تاريخ
دمشق وما يدور حولها من أخبار، ويعتبر ابن القلانسي من أقدم من كتب
(٢)
في التاريخ المحلي في بلاد الشام .

وجاءت أهمية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي في أنه أمدنا
بمعلومات قيمة ونادرة عن الباطنية والدور الذي قامت به في دمشق
خاصة وبلاد الشام عامة، فجاء ابن القلانسي بمعلومات هامة ودقيقة عن
الباطنية لم نجدها في أي مصدر آخر، فذكر أول ابتداء أمرهم في
الشام واستفحال أمرهم في دمشق وما كان من تاج الملوك بوري صاحبهم
بعد ذلك في التنكيل بهم وقتلهم وتخليص البلد من نفوذهم بعد أن أشاعوا
الرعب والخوف بين أهلها، وتحدث كذلك عن جهود تاج الملوك بوري في
(٣)
جهاده ضد الصليبيين .

كما وأفاد كتاب ذيل تاريخ دمشق البحث في ذكر معلومات قيمة عن
ما كان بين طغتكين أتابك دمشق والدولة الفاطمية من تفاهم واتفاق على
(٤)
الجهاد ضد الصليبيين، وتكلم أيضا عن جهود ظهير الدين طغتكين في

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ١٧٤/٤، شاکر مصطفى : التاريخ العربي
والمؤرخون ٢٣٧/٢، الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٢ .

(٢) عبدالعزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ١١٠ .

(٣) انظر ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٠ وما بعدها .

(٤) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٣١، ٢٤٠، ٢٩٠، ٢٩١ .

(١)
المحافظة على مدينة صور من سقوطها في أيدي الصليبيين والدفاع عنها
وذكر أخبار الحملات العسكرية الفاطمية المتكررة التي أرسلتها الدولة
الفاطمية لمقاومة الصليبيين . (٢)

ومما أفاد ابن القلانسي البحث فيه أنه أتى على ذكر عدد لا بأس به
من أسماء القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد ضد الصليبيين وعملوا على
توحيد صفوف المسلمين واغتالتهم يد الباطنية، وعرقلة جهودهم في ذلك
أمثال جناح الدولة حسين صاحب حمص والأمير مودود صاحب الموصل . (٣)

ومن المصادر التي استفاد منها البحث كتاب اتعاظ الحنفا لمؤلفه
تقى الدين أحمد بن علي المقریزی المتوفى سنة ٨٤٥هـ، ولد المقریزی في
حارة برجوان بالقاهرة، ولقب لأنه ينتمي إلى أسرة أصلها من مدينته
بعلبك - إحدى مدن لبنان الحالية - وكانت هذه الأسرة تسكن في حارة
المقارزة بمدينة بعلبك . نشأ المقریزی في القاهرة وتعلم على عدد
من الشيوخ حفظ القرآن ودرس الفقه والحديث والتفسير والتاريخ، وتأثر
إلى حد بعيد بأستاذه المؤرخ الكبير عبدالرحمن بن خلدون الذي تتلمذ
على يده. لبغس سنوات أثناء إقامته في القاهرة وتوليه قضاء المالكية
بها، وإلى جانب ذلك اشتغل المقریزی بعدد من الوظائف الحكومية
فعمل أولاً موقعا بديوان الانشاء ثم قاضياً ثم اشتغل بالتدريس مدرساً
للحديث، وولى الحسبة في القاهرة أكثر من مرة كان أولها سنة ٨٠١هـ ،
(٤)
بتعيين من السلطان المملوكي برقوق (٧٩٢ - ٨٠١هـ) .

-
- (١) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٠ .
(٢) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٢٧، ٢٢٩ .
(٣) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٣٠، ٢٥٦، ٣١٥، ٣٣٦، ٣٤١ .
(٤) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٢/٢١ - ٢٢، الشوكاني :
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/٧٩، ٨٠، المقریزی :
اتعاظ الحنفا، مقدمة المحقق ١/١٢، ١١ .

وتأتى أهمية كتاب اتعاظ الحنفا للبحث كون المؤلف خصمه لتاريخ الدولة الفاطمية ، وجاء فيه بخلاصة ماكتبه المؤرخون الذين أرخوا للفاطميين ، ولم يكن المقرئ في منهج هذا الكتاب ناقلا وحسب ، بل كان يحسن اختيار نصوصه والتنسيق بينها وعرضها ، كما كان يخضع النصوص للمقارنة والتحليل والنقد لظهور الحقيقة .^(١)

وقد استفاد البحث من كتاب اتعاظ الحنفا عند الحديث عن الانقسام الذى حدث فى المذهب الاسماعيلى اثر وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمى عام ٤٨٧هـ بين نزارية ومستعلية ، والنزاع الذى حصل بين الأخوين نزار وأحمد المستعلى حول الخلافة ، ودور الوزير الأفضل أمير الجيوش فى ذلك ، وكيف ساند أحمد المستعلى وأخذ له البيعة من الأمراء وكبار رجال الدولة ، وتشبيته فى كرسى الخلافة ، والنهاية التى سار إليها نزار ومن ساندته . كما وأمدنا الكتاب بمعلومات عن زيارة الحسن بن الصباح زعيم الباطنية الى مصر ومقابلته للخليفة المستنصر واستثذانه فى اقامته الدعوة له ببلاد خراسان وغيرها من بلاد المشرق ، ومعرفته أن الامام بعده هو ابنه الأكبر نزار حين سأل من امامى بعدك قال ابنى نزار .^(٢)

وأفاد الكتاب البحث أيضا فى معرفة جهود الوزير الأفضل فى جهاده ضد الصليبيين والحملات العسكرية المتوالية التى كان يرسلها الى الشام لمحاربة الصليبيين ، وبين جهود الملك نور الدين محمود لاعادة مصر الى المذهب السنى والمحافظة عليها من وقوعها فى أيدي الصليبيين وجهود أسد الدين شيركوه وملاح الدين الأيوبي فى ذلك ، والمراسلات التى تمت بين الوزير الفاطمى شاور والصليبيين للاستعانة بهم على شيركوه وملاح الدين

(١) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، مقدمة المحقق ٢٩/١ .

(٢) انظر مايلى : ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٢٣ .

وطردهم من مصر ، الى أن انتهى الأمر بقتل شاور وتولى شيركوه الوزارة
في مصر ثم صلاح الدين الذي أسقط الدولة الفاطمية وأنهى وجودهــــــــــــــا

(١)
في مصر .

ويعتبر كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة من المصادر الهامة لموضوع البحث ، وأبو شامة هو عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عثمان بن محمد المقدسى الشافعى توفى سنة ٦٦٥هـ وكان أبو شامة من كبار الفقهاء والمحدثين ، راسخ العلم فى القراءة والنحو واللغة والخط ، بالإضافة الى التاريخ ، كما كان واسع الاطلاع وعلى صداقة كبرى بالعلماء المعاصرين له .

وتأتى أهمية كتاب الروضتين لأبى شامة الى أنه أرخ فيه لبطلين من أبطال الحروب الصليبية ، وهما : نور الدين ، وصلاح الدين ، وسار أبو شامة فى كتابة هذا الكتاب على طريقة السنين ، كما وأن بعض المصادر التى اعتمد عليها أبو شامة فى كتابة هذا الكتاب ضائعة ومفقودة . وهذا ما أعطى كتابه قيمة هامة ، وبالإضافة الى ذلك استند أبو شامة فى كتابة تاريخه هذا على الوثائق الرسمية ، والمستندات الموثوق بها ، فكان لديه ما يزيد على ٢٠٦ وثيقة ، وثق بها أحداث تاريخه وهذا ما أعطى كتابه قيمة أخرى .

ويعتبر كتاب الروستين سجلا حافلا للدولة النورية ومصدرا هاماً
للدولة الأيوبية ، ولقد أمد البحث بمعلومات قيمة عند دراسته

(۱) انظر مايلي : ص ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۷۰ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨/١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، شاکر مصطفى: التاريخ

العربي والمؤرخون ٢/٢٦٦، أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الملية ص ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ٢/٢٦٧ .

دور نور الدين محمود فى ضم مصر الى الجبهة الاسلامية وحملاته المتكررة عليها، كما بين جهود نور الدين محمود فى جهاده ضد المليبيين وما بذله من جهد فى توحيد القوى الاسلامية لمواجهة المليبيين، كما وأمدنا بقائمة من أسماء القادة والخلفاء وبعض الشخصيات التى اغتالتها يد الباطنية .^(١)

ومن المصادر الاصيلة الأخرى التى أفادت البحث كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لمؤلفه جمال الدين أبو عبد الله بن محمد بن سالم ابن نصر الله بن واصل الحموى الشافعى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ .

ولد ابن واصل فى حماه سنة ٦٠٤ هـ وبها تعلم وتأدب، فدرس الفقه على مذهب الشافعى ودرس الأصول، والحديث، وعلم الكلام، والنحو والعروض، والقوافى، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، والمنطق والهندسة والهيئة، والطب، وقيل أنه كان يشتغل فى ثلاثين علما .^(٢)

وتأتى أهمية كتاب ابن واصل الى أنه أرخ للدولة الأيوبية كلها من نشأتها حتى سقوطها سواء فى مصر أو الشام، كما وأن ابن واصل عمل فى سلك حكومة السلطان المملوكى الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ)، الذى أرسله فى سفارة الى منفرد بن فردريك الثانى ملك صقلية وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة، وعند عودته عين قاضى قضاة حماة ومدرسا بها كل ذلك آتاج لابن واصل معاينة كثير من الأحداث والتفصيل فى بعضها مما أغفله المؤرخون بحكم اتصاله الوثيق برجال الحكم فى عصره وتقلبهم فى الوظائف الحكومية الكبرى .

-
- (١) انظر مايلى : ص ١٤٥ - ١٥٤، ص ٥٩٠، ١١٩، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠١ .
 (٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٤٣٨/٥، أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٨٠، محمد كرد على : خطط الشام ٣٨/٤، محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ص ١٥٦ .
 (٣) أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٨٠، ٢٨١ .

وأفاد كتاب مفرج الكروب البحث فى التعرف على مراحل الصراع الذى كان بين نور الدين محمود والمليبيين على مصر، وتطلع كل منهما للاستيلاء عليها، وأبرز لنا دور القائد أسد الدين شيركوه فى الاستيلاء على مصر وتصميمه على ذلك، واستمد البحث من هذا الكتاب معلومات طيبة عن المراسلات التى كانت بين المليبيين والوزير شاور والحروب التى خاضوها ضد شيركوه للتخلص منه ومن جيشه، وأشار أيضا الى استنجاد الخليفة العاضد بنور الدين محمود للتخلص من خطر شاور والمليبيين (١).

أما كتاب التاريخ الصالح لابن واصل فهو فى التاريخ العالم وألفه ابن واصل للملك الصالح أيوب، والكتاب لا يزال مخطوط الى الآن، ولقد استفاد البحث من هذا الكتاب فى التعرف على بعض أسماء القادة المسلمين الذين اغتالتهم الباطنية، وعن كيفية استيلائهم على قلعة الروذبارد وغيرها.

ومن المصادر المهمة لموضوع البحث كتاب فضائح الباطنية للامام أبر حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، والغزالى أصله من طوس وقدم الى نيسابور حيث تتلمذ على يدى امام الحرمين أبى المعالى الجوينى فتخرج من عنده فى مدة قصيرة، وصار من الأعيان المشار اليهم فى ذلك الوقت ولقى الامام الغزالى الوزير السلجوقى نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالسف فى الاقبال عليه، وفوض الوزير اليه التدريس فى مدرسته النظامية ببغداد وأخذ يلقى دروسه بها، وقصد الغزالى مكة المكرمة للحج ثم الشام ومكة فى دمشق مدة، يلقى الدروس فى جامعها، ثم قصد بيت المقدس ثم مصر وأقام بالاسكندرية فترة من الزمن، وبرع الغزالى فى تصنيف الكتب فى عدة فنون

(١) انظر مايلى : ص ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥ .

فكتب فى الفقه وأصول الفقه وفى المنطق والفلسفة، ورد على الفلاسفة فى عدة رسائل، وكتب فى التصوف والزهد، وفى علوم شتى الى أن لزم بيته فى وطنه طوس وواظب على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهـل القلوب والقعود للتدريس الى أن انتقل الى ربه .^(١)

والغزالى من العلماء الذين نافحوا عن مذهب أهل السنة أمام الخطر الباطنى، فكان رحمه الله على وعى تام بخطرهم على الاسلام، ولهذا كان هجومه عليهم عنيفا مخلصا متحمسا، فألف كتابه فضائح الباطنية وفضائل المستظهيرية، وهدف الغزالى من وراء تأليف هذا الكتاب السبى هدفين : اظهار فضائح الباطنية وهو أمر يتعلق بالعقيدة، وبيان فضائل المستظهيرية، أى خلافة المستظهر بالله العباسى وهو أمر يتعلق بالسياسة ومن هنا جاءت تسمية الكتاب بـ "المستظهيرى" فى "فضائح الباطنية وفضائل المستظهيرية" . وفند الغزالى فى الكتاب أعمال الباطنية ومعتقداتهم فى الالهيات والنبوات والامامة والقيامة والتكاليف الشرعية وفى التأويل الباطنى، وانتهى باقامة البراهين الشرعية على أن الامام القائم بالحق والواجب على الخلق طاعته فى عصرنا هذا (عصر الغزالى) هو الامام المستظهر بالله .^(٢)

ولقد أفاد كتاب فضائح الباطنية البحث فى معرفة أساليب الباطنية فى الدعوة لمذهبهم وماهى الحيل التى يستخدمونها للتدرج مع المدعوين لادخاله فى مذهبهم، وكيف يخدعونهم فى ذلك، وبين لنا بطلان مذهب هؤلاء

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٦/٤، ٢١٧، ٢١٨، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٨٩، ٨٨/٤ .

(٢) الغزالى : فضائح الباطنية، مقدمة المحقق، ص ٥، شاکر مصطفى التاريخ العربى والمؤرخون ٣٤٢/١، ٣٤٣ .

القوم وخطرهم الكبير على أفراد المجتمع الاسلامى ، وأنه لابد على كـل فرد معرفة حيل هؤلاء القوم حتى ينجو من خطرهم .

ومن كتب التراجم التى استفاد منها البحث ، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، للمؤلفه أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان البرمكى الشافعى المتوفى سنة ٦٨١هـ ، وولد ابن خلكان فى مدينة اربل من أعمال الموصل عام ٦٠٨هـ ، ونشأ بها حيث تفقه على والده فيها ، ثم انتقل بعد موت أبيه الى الموصل وأخذ ينتقل فى البلاد حتى صار فقيهاً أديباً مؤرخاً وأخبارياً عارفاً بأيام الناس ، قدم القاهرة فعين بها نائباً لقاضى القضاة يوسف بن حسن السنجارى ، وفى عهد السلطان المملوكى بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) عينه قاضى قضاة الشام ثم عزل ثم عين مرة أخرى قاضياً للشام .

ويعتبر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان من الكتب الجليطة ، وتأتى قيمة هذا الكتاب لموضوع البحث فى أنه احتوى على معلومات قيمة فى التاريخ وتراجم الشخصيات ، فهو من أهم المصادر فى التراجم ولا سيما أن كثيراً من الكتب التى ألفت قبله واعتمد عليها ابن خلكان فى تأليف هذا الكتاب فقد ، ويتميز كتاب وفيات الأعيان بأنه مرتب فى ضبط الأعلام وأسماء البقاع والبلدان وتحقيق الحوادث وترتيب التراجم حسب حروف المعجم فهو يسهل على الباحث عملية البحث عما يريد ، واجتهد ابن خلكان فى تحرى الحقائق بعين نافذة فى لغة سليمة بسيطة ، وعن ذلك أشد العناية

(١) انظر مايلى : ص ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣٣/٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ١/٥٥٥ ، ابن شاکر : فوات الوفيات ١/١١٠ ، أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(١)
بتحقيق سنة وفاة كل مترجم ، ومن أجل ذلك سمي كتاب وفيات الأعيان .
ولقد أفاد البحث من كتاب وفيات الأعيان فأمده بمعلومات قيمة عند
الحديث عن خلفاء الدولة الفاطمية أئمة المستعلية ، فبين لنا حال كل
خليفة منهم وما الدور الذي قام به تجاه المذهب واتجاه سياسة الدولة (٢)
وأمد كتاب وفيات الأعيان البحث بمعلومات هامة عن مراحل الصراع بين
قوات شيركوه قائد نور الدين من جهة والوزير الفاطمي شاور والمليبيين
من جهة أخرى للاستيلاء على مصر ، وكذلك أفاد في معرفة المراسلات التي (٣)
كانت بين مقدم الاسماعيليين سنان في الشام وبين السلطان صلاح الدين
وماكان بينهما من عداوة وتوعد كل منهما للآخر (٤)
ومن الموسوعات الهامة التي أمدت البحث بمعلومات قيمة موسوعة
القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الانشا" ، والقلقشندي هو أبو العباس أحمد
ابن علي بن أحمد ، توفي سنة ٨٢١هـ ، وولد القلقشندي في بلدة قلقشندة
من أعمال القليوبية بمصر سنة ٧٥٦هـ ، وطلب العلوم الشرعية كعادة
العلماء في عصره ، فبرع في الفقه واللغة العربية وآدابها ، وأجيز من قبل
عدة شيوخ كبار في عصره (٥) .

-
- (١) أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص ٢٠٨ .
محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس في مصر ص ١٥٦ ، عمر رضا
كحالة : التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ص ٧٢ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٩/١ وما بعدها ١١٠/٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
١١٠/٥ .
(٣) انظر نفس المصدر السابق ١٣٩/٧ وما بعدها .
(٤) انظر نفس المصدر السابق ١٨٦/٥ ، ١٨٧ .
(٥) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٧/٢ ، القلقشندي : صبح
الأعشى ، مقدمة الناشر ٢٠/١ ، ٢١ ، أحمد عزت عبدالكريم : أبو العباس
القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ص ١٤ .

وتعتبر موسوعة القلقشندى المسماة صبح الأعشى فى صناعة الانشا من أهم الموسوعات لأنها تحتوى على مختلف أنواع المعرفة ، وحفظ لنا القلقشندى فى موسوعته الكثير من الوثائق الرسمية والمراسلات السياسية والتقاليد والمناشير والتواقيع وأشبع كتابه بالمكاتبات الديوانية التى يمكن الاستفادة منها فى الأبحاث التاريخية على طوال التاريخ الاسلامى ، وذلك بحكم اشتغاله فى ديوان الانشاء وتولييه رئاسته مرتين فى عهد السلطان المملوكى برقوق (٧٩٢ - ٨٠١هـ) (١) .

ويمتاز القلقشندى فى كتابه هذا بأنه لم يورد فيه الا الوثائق والرسائل التى يعتقد بصحتها، والتى نقلها من المكاتبات الرسمية التى كانت تقع تحت يده بحكم وظيفته كاتباً للانشاء، فلقد كانت تلك الوثائق والمراسلات متيسرة له الاطلاع عليها، فنقل منها ما استوثق من صحتها فترك لنا معلومات قيمة وهامة فى موسوعته صبح الأعشى لعصور سبقتها ولعصره الذى يعيش فيه . (٢)

وعند دراسة مناطق نفوذ الحركة النزارية فى بلاد الشام أمدنا كتاب صبح الأعشى بمعلومات قيمة عن أسماء قلاع الباطنية هناك وعرف بها وبأماكنها، كما وأفاد فى التعرف على بعض تعاليم وأفكار الحركة النزارية وكذلك المستعلية ، وعرف أيضا ببعض أقوال النصيرية (٣) . (٤)

أما من حيث المراجع الحديثة ، فانى قد رجعت الى عدد لا بأس به

(١) أحمد عزت عبد الكريم : أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى ص ١٥، ١٢١، محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الاسلامية ص ٧٨ .

(٢) انظر نفس المرجع السابق ص ٢٦، ٢٧ .

(٣) انظر مايلى : ص ٦٥، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ .

(٤) انظر مايلى : ص ٤٩، ٧١، ٨٥، ٨٦، ٨٧ .

ولا أرى من الفائدة ذكرها هنا ، بل تكفى الإشارة إليها فى الفهرس العام
فى نهاية البحث .

ومما ينبغى الإشارة اليه فى هذا المقام ، أننى اكتفيت بذكر اسم
المؤلف والكتاب فقط فى هوامش الرسالة ، ولم أتعرض الى المعلومات
الأخرى نظرا لذكرها فى فهرس المصادر فى النهاية وذلك تحاشيا للاطالة
ولكون الرجوع للفهرس بعد معرفة اسم المؤلف آيسر من البحث عنه فى
صفحات الرسالة ، لأن المعلومات فى هذه الحالة لاتذكر الا مرة واحدة
وفى أول ذكر له .

الفصل الأول

حركة الحج إلى المدينة محترمة قدوم الغزو الصليبي

البحث الأول : الحركات المتواعدة على الساعة وفصلتها

النزارية (الحاشية) - المستعينة (الفاطميون)

النصيرية - الدروز

البحث الثاني : مناطق نفوذ هذه الحركات

البحث الثالث : علاقة هذه الحركات بالمسلمين من أهل السنة

البحث الرابع : العلاقات بين النزارية والمستعينة

المبحث الأول

الحركات المتواجدة على الساحة وخصائصها

أولا : النزارية (الحشاشون) .

النزارية هي إحدى الحركات الباطنية التي ظهرت في أواخر القرن الخامس الهجري وهي تنسب إلى نزار بن المستنصر بالله أبو تميم معتمد الخليفة الفاطمي، حيث شرع المستنصر قبيل وفاته سنة ٤٨٧هـ في أخذ البيعة لابنه الأكبر نزار حسبما تقتضيه التعاليم الإسماعيلية، غيّر أن الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي تقاعد عن ذلك ودافع المستنصر من يوم إلى يوم حتى مات المستنصر .^(١)

وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الإسماعيلية قد قصد مصر في زى تاجر واجتمع بالمستنصر، وخطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم وقال : من إمامي بعدك ؟ فقال : ابنى نزار . ولكن الوزير الأفضل سارع بعد وفاة المستنصر إلى عزل نزار وخلعه وباع بالامامة لابن أخيه : أبي القاسم أحمد أخو نزار الأصغر ولقبه بالمستعل بالله، أما سبب عزل الأفضل لنزار فهو أن نزار خرج ذات يوم في حياة أبيه المستنصر فاذا الأفضل قد دخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا فصاح به نزار : انزل يا أرمني يانجس . . . فحقد عليها عليه الأفضل وصار كل منهما يكرهه

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥، المقرئى : اتعاظ الحنفا

١٢٠١١/٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٣٧/١٠ .

(٣) نفس المرجع السابق ٢٣٧/١٠، المقرئى : اتعاظ الحنفا ١٢/٣ .

(١) الآخر . فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخوارج وخوفهم من نزار وأشار عليهم بولاية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد فرضوا بذلك وبايعوه ولقب بالمستعلى . (٢)

أما نزار فإنه لم يرض بهذا الوضع وخرج من وقته هو وأخوه عبد الله وتوجهوا إلى الاسكندرية خفية وكان الوالي بها ناصر الدولة أفتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي والد الأفضل فبايعه أفتكين هو وأهل الاسكندرية ولقب "بالمصطفى لدين الله" . (٤)

علم الأفضل بذلك فغضب غضبا شديدا وعزم على محاربة نزار والتخلص منه فخرج في أواخر المحرم من عام ٤٨٨ هـ بعساكره من القاهرة متجهاً إلى الاسكندرية لمحاربة نزار وأفتكين وهناك التقى الفريقان بظاهر الاسكندرية ودارت بينهما عدة وقائع انكسر فيها الأفضل فرجع هو ومن معه إلى القاهرة منهزماً، فخرج نزار ونهب أكثر بلاد الوجه البحري . (٥)

أخذ الأفضل يعد العدة لملاقاة نزار مرة أخرى واستطاع هذه المرة استمالة أكابر من انتمى إلى نزار من العرب ووعدهم بالأموال والاقطاعات أن هم تخلوا عنه . وسار إلى الاسكندرية بعساكره ودارت بينهم معركة بظاهر الاسكندرية انهزم فيها نزار ومن معه فلجأ إلى داخل الاسكندرية فحاصروهم الأفضل حصاراً شديداً ومنع عنهم الميرة . (٦)

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٣٧/١٠، ٢٣٨، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥، المقرئ : اتعاظ الحنفا ١٢/٣، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٠٧/١ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥، ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١٠ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٠، ٢١١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٣/٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٣/٥ .

(٥) المقرئ : اتعاظ الحنفا ١٤/٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٤/٥ .

(٦) نفس المصادر السابقة .

عندما اشتد الحصار على من بالاسكندرية ضعفت قوى نزار وأفتكبين
ومن معهما من العساكر فخافا وطلبوا الأمان من الأفضل فأمنهما ودخل
الأفضل الاسكندرية منتصرا ومالبث أن قبض على نزار وأفتكبين وأرسلهم
الى مصر، وتسلم المستعلى نزار فبنى عليه حاشطين وجعله بينهما السبي
أن مات، وأما أفتكبين فقد قتله بعد ذلك .^(١)
^(٢)

وهكذا نرى أن الدعوة الاسماعيلية قد انقسمت بعد وفاة المستنصر
بالله الخليفة الفاطمي الى فرقتين متناحرتين بينهما خصومات شديدة.
فرقة أيدت امامة المستعلى فسموا بالمستعلية والتي سنتحدث عنها فيما
بعد وفرقة أيدت امامة نزار واعتبرته هو الامام الشرعي وسموا بالنزارية
والتي نحن بصدد دراستها .

ويعتبر الحسن بن الصباح هو المؤسس لهذه الفرقة لأنه علم من
المستنصر أثناء وجوده في مصر أن الامام بعده ابنه الأكبر نزار ولما
علم بما أحدثه الوزير الأفضل من تحويل الامامة من نزار الى أخيه
الأخير المستعلى غضب لذلك وانتصر الحسن بن الصباح لنزار وأصبح يدعو له
ولأبنائه من بعده . وكان اعتناق الحسن بن الصباح للعقيدة النزارية
مؤذنا بتطور جديد في تاريخ هذه الدعوة .^(٣)

(١) تدعى المصادر النزارية بأن نزارا لم يمت حقيقة، وإنما استتير
وسيعود الى الظهور باعتباره المهدي المنتظر . وهذا دجل ليس له
أي سند تاريخي فكل المؤرخين والمصادر التاريخية يجمعون على أن
نزار مات حقيقة وبالتحديد بين حاشطين بناهما عليه أخيه أحمد
المستعلى . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٥٠/٢، الذهبي : العبر
في خبر من غير ٣٧١/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١٠، المقرئ : اتعاظ الحنفا ١٤/٣، ابن
تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٤٥/٥ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ٢٧٠/٤ .

استطاع الحسن بن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية خير استغلال فأصاب نجاحا بعيد المدى وتمكن من تأسيس دولة اسماعيلية فريدة. — من نوعها مكونة من عدة قلاع وحصون متفرقة عرفت في التاريخ بأسماء متعددة مثل : الدولة الاسماعيلية الشرقية ، والدولة الاسماعيلية النزارية — والباطنية ، والسبعية ، والتعليمية ، والحشاشون ، والملاحدة ، والسفاك — و أقام داخل هذه القلاع والحصون مجتمعات اسماعيلية بحتة يحيطها السر (١) والكتمان .

واستطاع ابن الصباح بحيلة جريئة أن يستولى على الحصن الجبلي المنيع الموت (ومعناه عش العقاب) (٢) وذلك في عام ٤٨٣ هـ . حيث أرسل دعائه الى أهل القلاع والحصون التي في جنوب بحر قزوين فتمكن هؤلاء الدعاة من ادخال عدد كبير من سكان هذه القلاع والحصون في الدعوة الاسماعيلية ولاسيما طبقة الجند . ولما أفلح دعائه في تحويل جنود قلعة

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣١/٥ . الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٠٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ١/٢٠٠ ، أحمد جلي : دراسة عن الفرق ص ٢٣٣ .

(٢) قلعة حصينة من ناحية روزبار بين قزوين وبحر الخزر على قلعة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها ، وهي كرسى ملك الاسماعيلية ، قيل ان بعض ملوك الديلم أرسل عقابا للصيد فتبعه حتى وصل موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه وسماها اله . أموت أي تعليم العقاب بلسان الديلم . ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها لأنها بنيت في سنة ست وأربعين وأربعمائة . وهي : م و ت . انظر : القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠١ ، ابن الأثير : الكامل ١٠/٣١٦ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٠٣ ، ابن أبي الدم الحموي : التاريخ المظفر ، مخطوط ، ورقة ٤٤٣ هـ ، ابن واصل : التاريخ الصالح ، مخطوط ، ورقة ١٧٠ هـ ، كن لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ .

آلموت الى المذهب الاسماعيلى أوعز الى دعائه أن يوجهوا اليه دعوة لزيارتهم ، فوجهت اليه الدعوة بين مظاهر الفرح وذهب ابن الصباح الى القلعة متنكرا فأظهر الزهد ولبس المسح وانتحل اسما غير اسمه ، ولم يعرفه أحد من أتباعه فى القلعة سوى الدعاة فقط ، أما غير الدعاة فكان يتظاهر أمامهم بأنه نائب عن ابن الصباح جاء ليتفقد أحوالهم قبل أن يزورهم ابن الصباح .

قضى ابن الصباح عدة أيام فى تنكره هذا وهو يدرس القلعة دراسة دقيقة ويتبين معالمها ويفحص حصونها وأحوال الناس بها ، فلم يعرف كل ما كان يريد . أظهر شخصيته ، وطلب من حاكم القلعة أن يسلمها لـ (١) نظير مبلغ معين من المال يتسلمه من حاكم مدينة الدامغان ، وكان حاكم الدامغان ممن دخل المذهب الاسماعيلى سرا ، وكان يأتمر بأوامر الداعى ابن الصباح سرا بالرغم من أنه كان من عمال السلاجقة السنيين ، فلم يستطع حاكم قلعة آلموت المقاومة عندما علم أن الجنود الذين كان يعتمد عليهم أصبحوا طوع ارادة ابن الصباح ، لذلك سلم القلعة لـ (٢) ودعا فيها ابن الصباح باسم المستنصر بالله امام الاسماعيلية فى مصر .

منذ ذلك الحين أصبحت قلعة آلموت هى مركز الدولة التى كان ابن الصباح يطمح الى تأسيسها ومقره الرئيسى الدائم الذى انطلق منه لتوسيع رقعة دولته الجديدة ، ولقد ساعده الحظ فى ذلك اذ مات ملك شاه السلطان

-
- (١) الدامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور ، وهو قصبة قومس .
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٣٣/٢ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٥ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٧٠ ، مصطفى غالب : التأثير الحميرى الحسن بن الصباح ص ٥٢ .

السلجوقى عام ٤٨٥هـ عدو الاسماعيلية اللدود ومزقت أملاك السلجوقيين من بعده، فضعفوا وهان أمرهم فى الوقت الذى اشتدت فيه شوكة الاسماعيلية (١)
 واستطاع ابن الصباح أن يضم عدة حصون وقلاع الى دولته الجديدة، فأصبحت تخضع له مئات من الحصون والقلاع القوية فى أقاليم رودبارد وقوهستان (٢) (٣)
 والطالقان وغيرها، ومن هذه الحصون والقلاع وجه ابن الصباح دعواة النزارية نحو بلاد الشام لنشر الدعوة النزارية ومحاربة أهل السنة والسلاجقة والمستعلية والانتقام منهم جميعا (٤) (٥) (٦)

بعد أن استتب الأمر للحسن بن الصباح فى قلعة الموت باشر العمل فى وضع حجر الأساس للدولة الكبيرة التى كان يطمح فى تأسيسها فبدأ فى تنظيم جماعته تنظيمًا محكمًا قائمًا على السرية التامة والطاعة العمياء

-
- (١) الذهبى : العبر ٣٦٩/٢ .
 (٢) رودبارد : ناحية من طسوح أصبهان تشتمل على قرى كثيرة .
 انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعًا والمفترق ص ٢١٣ .
 (٣) قوهستان : تعريب كوهستان ، بمعنى موضع الجبال . وأكثر بلاد العجم لا يخلو عن موضع يقال له قوهستان ، وأما المشهور بهذا الاسم فأحد أطرافها متصل بنواحي هراة ثم يمتد فى الجبال طولًا حتى يتصل بقرب نهاوند وهذان هذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم وهى جميعها فى أيدي الملاحدة من بنى الحسن بن الصباح .
 ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤١٦/٤ .
 (٤) الطالقان : بلدتان احدهما بخرسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينهما وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، قال الاصطخرى : أكبر مدينة بطخارستان طالقان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم .
 ياقوت الحموى : معجم البلدان ٧٠٦/٤ .
 (٥) القلقشندى : صبح الأعشى ١/٢٠، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٧١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٧ .
 (٦) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٧ .

بحيث يضمن لها البقاء ويدفع عنها خطر الأعداء فقسم جماعته إلى مراتب ودرجات وأهم هذه المراتب هي :

المرتبة الأولى : مرتبة شيخ الجبل :

وعدد أفرادها سبعة، منهم نائب الامام ورئيس الدعوة الجديدة . فكان الحسن بن الصباح يلقب نفسه بلقب رئيس الدعوة، ولاسيما بعد أن احتل قلعة الموت في عام ٤٨٣هـ . كما اتخذ لقب مولانا وسيدنا وشيخ الجبل وكان وحده هو الذي يعين الدعاة ويعزلهم ، فأطلق عليه بعض الناس لقب داعي الدعاة، وكان سلطانه لا يحد : يصدر أوامره من الموت فيطيعهم النزارية في كل مكان . وقد جعل وظيفة رئيس الدعوة مقصورة على المتفانيين في الاخلاص للمذهب الاسماعيلي ، ولم يجعل لمبدأ الوراثة أي اعتبار . كما تظاهر جماعته بالتقشف والورع والمحافظة على الشريعة حتى انه قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر .

المرتبة الثانية : مرتبة كبار الدعاة :

ولايتجاوز عدد أفرادها ثلاثة ممن يثق الحسن الصباح بهم ثقة تامة . لأنه قسم العالم أقساما ثلاثة : جعل على رأس كل قطر أو "بحر" واحدا من هؤلاء الدعاة الثلاثة ، وهم أشبه بنظام أئمة المذاهب . على أنسه لم يترك لهم شيئا من الحرية، بل ظل الرأس المدبر والعقل المفكر . ومن أشهر هؤلاء الدعاة الكبار كيابزرك أميد، والحسين القيني ، وأبو طاهر .

المرتبة الثالثة : مرتبة الدعاة :

وهم أكثر عددا من أفراد المرتبة الثانية ويتلقون أوامره من

رؤساء الدعوة فى الموت أو من كبار الدعاة فى الأقاليم الثلاثة، وكانوا يتلقون العلم فى مدارس القاهرة أول الأمر، ثم ينتقلون الى ~~الموت~~ ليتعلموا أسرار الدعوة . وقد اشترط الحسن الصباح فى الداعى أن يكون بارعا فى التشكيك، ماهرا فى التلبيس ليخدعوا العامة ويدخلوهم فى عقيدتهم، وقد كون هؤلاء الدرجات العليا، وكانوا على علم بعقائد وأغراض وسياسة هذا النظام .

المرتبة الرابعة : مرتبة الرفاق :

وكانوا على شئ من الالمام بأسرار هذا النظام ، يتولون تشقيف الدعاة واعدادهم لمهمتهم ، ويتفانون فى المحافظة على المذهب ، متسلحين بأسلحة العلم من فقه ومنطق وفلسفة .

المرتبة الخامسة : الفداوية أو الفدائيون :

وهؤلاء كانوا يستخدمون فى قتل الأعداء غدرا، ويضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ، ولا يشترط فى الفداوى أن يتعمق فى دراسة أسرار المذهب ، إنما يشترط فيه التفانى فى طاعة الرئيس والتضحية الى أبعد الحدود . فأصبحوا آلات انتقام فتاكة ، وخلفوا عصرا مليئا بالخوف والفرع . وكانوا يتمفون بالشجاعة النادرة وحب المخاطرة والعزيمة التى لاتقهر، والصبر الذى لاينفد ويظل الواحد منهم يترقب الفرصة شهورا بل سنين للفتك بعده ، ويشترط فى الفداوى أيضا أن يكونوا من الشبان الأقوياء الذين يجيدون عدة لغات . وكانوا يتلقون الأوامر والمهمات السرية الخطيرة من مركز الامام أو مقر نائبه فى قطره مباشرة . وكانوا على ثلاث درجات :

أولا : الرفاق أو المقدمون : وهم قادة الجيش والفداوية ، الذين

يشرفون على تدريبهم ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغيــــــــــــر
العسكرية .

ثانيا : مرتبة الغدائيين : وهم الذين ينتقون بدقة من العناصر
المخلصة المعروفة بالتضحية والاقدام والشجاعة النادرة، والجــــــــــــرأة
الخارقة، فيكلفون بالتضحيات الجسدية ويتنفيذ أوامر الامام أو نائبه .
ثالثا : المستجيبون : وهم الذين يدخلون مدارس الغدائية من سنن
مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم على أيدي كبار المتقدمين ، ويسهــــــــــــر
على تدريبهم وتعليمهم الامام نفسه أو نائبه " الشيخ " .

المرتبة السادسة : اللاصقون :

وهم ينتسبون الى الدعوة، ولكنهم ليسوا من الدعاة ولا من الغداويــــــــــــة
انما يأخذون العهد على الناس دون أن يكون لهم حق نشر الدعــــــــــــــــوة
ويأخذون العهد على المستجيبين دون أن يتعمقوا في فهم أصول المذهب .

المرتبة السابعة : المستجيبون :

وهم عامة الناس أو المؤمنون المبتدئون ، لا يعرفون الكثير عــــــــــــن
المذهب الاسماعيلي . انما عملهم الرئيسي زعزعة عقائد الناس ، ويبــــــــــــث
(١)
الذعر في نفوسهم .

(١) مصطفى غالب : سنان راشد الدين " شيخ الجبل الثالث " ص ٧١ ، ٧٢ ،
سعيد عاشور : الحركة المليبية ١/٥٦٢ ، ٥٦٣ ، حسن ابراهيم حــــــــــــن :
تاريخ الاسلام السياسي ٤/٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

من هذا التنظيم يتبين لنا أن الفداوية هم أهم مراتب هذا التنظيم. حيث كان يعول عليهم تنفيذ سياسة التنظيم العسكرية والتصدي لكل عدو يريد أن ينال من الدولة النزارية، لذلك اهتم الحسن بن الصبـاح بالفداوية اهتماما خاصا واختار عناصرها من الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين، يختارهم من بين سكان الجبال المجاورة ممن يبدون ميلا إلى المرونة والدرية العسكرية وتتجلى فيهم صفة الشجاعة والاقدام، وكذلك من أبناء الدعاة والمستجيبين المعروفين بغيرتهم للاسماعيلية واستعدادهم للتضحية في سبيل مذهبهم، وأخذ في تدريب هؤلاء الشبان على الطاعة العمياء، والايـمان بكل مايقوله لهم ثم بث فيهم حب التضحية في سبيل العقيدة، والامام، وأخذ يدرّبهم على استعمال الأسلحة المعروفة في تلك الأيام ولاسيما الخناجر، كذلك كان يعلمهم كيف يخفون أمر أنفسهم وأمر من معهم، بحيث لا يبيح أحد بسـمـره أو سر الجماعة التي ينتمى اليها فاذا قبض عليه أحد الأعداء فلا يبيح بكلمة واحدة، بل يجب عليه أن يقتل نفسه قبل أن يضطر إلى أن يتفـسـوه بكلمة واحدة. (١)

إلى جانب ذلك كان هؤلاء الفدائيون ملـمـين أحيانا ببعض اللغـات الأجنبية حتى اللغات الأوروبية فـهـؤلاء هم الذين ندبوا لاغتيال المركيـسـن

conrad of Montferrat

كونراد دي مونتفرات

كانوا يتحدثون باللغة الفرنسية بدرجة كافية، وكانوا يحملون جوازات مرور باعتبارهم رهبانا مسيحيين خلال ستة أشهر يقضونها في معسكر الصليبيين منتهزين الفرصة لتحقيق أغراضهم. (٢) وكانوا يلبسون نفس اللباس الذي كان

(١) ماركو بولو : رحلة ماركو بولو ص ٦٤، محمد كامل حسين : طائفة

الاسماعيلية ص ٧٤، ٧٣ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٧٩/١٢ .

يلبسه الحرس الخاص للقادة. حتى يوهموا الجند بأنهم من الحرس الخاص ويغتالوا القائد الذي يريدون كما فعلوا في محاولتهم لاغتيال القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي حين دخلوا عليه في خيمته وهم يلبسون نفوس لباس الحرس الخاص بصلاح الدين فلم ينتبه لهم أحد وشرعوا في تنفيذ مهمتهم لكن الله سلم بغض الحيلة التي كان عليها صلاح الدين إذ كان يلبس الدروع فلم تؤثر خناجرهم فيه . فكان هؤلاء الفدائيون يقتلون الأمير المسلم في يوم الجمعة وفي المسجد فقتلوا الأمير مودود في المسجد بعد انتهائه من صلاة الجمعة بدمشق . ويقتلون الأمير المسيحي أو الدوق في يوم الأحد وفي أقدم الأماكن لديه وهي الكنيسة على مشهد من جماعة المصلين . فكان هؤلاء الفدائيين يعتقدون أن الموت في سبيل تحقيق أغراض الشيخ "الحسن بن الصباح" على هذه الصورة المروعة أشرف ميتة ، وفيها تأكيد لضمان السعادة ، حتى أن أمهات الفدائيين كن يبكين إذا عاد اليهن أبناؤهن أحياء يرزقون .^(٣)

ولقد بلغت جرأة هؤلاء الفدائيين ذروتها حيث كان الواحد منهم يقتل نفسه طعنا بالخناجر أو يلقي بنفسه من على سور القلعة الشاهق ليسقط متحطما في الوادي إذا طلب منه إمامه وشيخه ذلك . فيروى أن السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) بعث إلى الحسن بن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدهده ويتوعده فقال لرسول السلطان السلجوقي الجواب ماتسراه ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنغذكم إلى مولاكم في حاجة فمن

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٣٠/١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٣/١٢ .

(٢) أبو شامة : الروافضيين في أخبار الدولتين ٢٧/١ ، الذهبي : دول الاسلام

٣٥/٢ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ٢٧٦، ٢٧٥/٤ .

ينهبها فاشرب كل منهم لذلك ، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها لهم ، فأوماً الى شاب منهم فقال له : اقتل نفسك فاجذب سكيننا وضرب بهـ "عنقه" فخر ميتاً ، وقال لآخر ارم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتقطع فى الوادى ثم التفت الى الرسول وقال : قل له عندى من هؤلاء عشرون ألفاً (١)
هذا حد طاعتهم لى .

واستخدم الحسن بن الصباح كل ماله من مكر وحيلة ووسائل خداع حتى يبقى هؤلاء الفداوية طوع ارادته ، فيروى الرحالة البندقي ماركوبولسو أن شيخ الجبل "الحسن بن الصباح" أنشأ فى واد محصور بين جبلين شامخين بستاناً فاخراً ، جمع فيه أشهى الثمرات وأعطر النباتات وشيد فيه قصوراً متنوعة الأحجام والأشكال ، زينت بزخارف من ذهب ، وملئت حجراتها بالمصنوعات الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الدمقس والاستبرق واستخدمت أنابيب مغيرة صممت فى هذه المباني وبواسطتها كانت أنهار من خمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهى تفيض فى كل اتجاه . وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دربن حتى أتقن جميع فنون الغناء ، واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية والرقص ، كما أتقن بوجه خاص أفانين الغزل والاعراء والدلال . وكن يشاهدن دوماً وقد ارتدين أثمن الثياب وهن يتلاعبن ويسلن أنفسهن فى الحديقة وماحوت من جواسق وسراقات . وجرت عادة شيخ الجبل "الحسن بن الصباح" بالتحدث الى الفداوية يومياً فى موضوع

-
- (١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ، ١٣٠ / ورقة ١٣٤ ، ابن واصل : التاريخ الصالحى ، مخطوط ، ورقة ١٧٠ ب ، ابن الجوزى : تلخيص ابلينس ص ١٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٩ / ١٢ .
(٢) الدمقس : هو الديباج أو الحرير الأبيض أو القز . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ٢١٧ / ٢ .

الجنة التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم وعن قدرته هو على الانعام بالدخول اليها للمقربين وبعد حديث طويل يتم من خلاله التشويق الى الجنة ونعيمها يأمر الحسن بن الصباح باعطاء الأفيون (الحشيش) لعشرة أو اثنى عشر من هؤلاء الشبان "الفداوية" فاذا صرعهم النوم فأصبحوا نصف موتى أمر بحملهم الى الأجنحة العديدة للقصور المتناثرة فى البستان ، فاذا استيقظوا من حالة التخدير، صعدت حواسهم بما يرونه من أشياء ووجد كل واحد منهم نفسه محوطا بجوارى فائنات يغنين له ويلعبن بالآلات ويستهيون لبه وحواسه بأفتن أنواع المداعبة والعناق ، ويقدمن اليه أشهى اللحوم وأفخر الخمر ، ولا يزلن به حتى يسكر ، حتى يعتقد تماما أنه فى الفردوس ، فاذا انقضت بهم على تلك الحال أربعة أيام أو خمسة دفعوا بهم ثانية الى حالة من النعاس وحملوا الى خارج البستان . وعندما يدخلون الى حجرة "شيخ الجبل" يسألهم أين كانوا : فيجيبون : " فى الفردوس بفضل عطف سموكم " . عندئذ يقول الرئيس مخاطبا لهم : " لقد وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وعده حقا ، بأن الجنة يرثها عباد الله الصالحون الذين يدافعون عن مولاهم ، واذا أظهرتم اخلاصا فى طاعة أوامرى فان ذلك المصير السعيد ينتظركم " . حتى اذا سرت فيهم الحماسة بأقوال من هذا النوع ، كان كل فرد فيهم يعد نفسه سعيــــــــــــدا . حين يتلقى أوامر سيده ويبدى توقه الى لقاء الموت فى خدمته .

وكانت نتيجة هذا النظام ، أنه متى جرى أى أمير مجاور أو بعيد على اشارة استياء هذا الرئيس كان جزاؤه الموت على يد هؤلاء السفاكين المدربين . ولم يكن أحد منهم يحس أدنى رهبة عند مخاطرته بفقد حياته التى لم يكن لها عندهم وزن كبير ، ما تمكنوا من تنفيذ ارادة مولاهم وبناء على هذا أصبح طغيانه موضع الرهبة والفزع فى جميع الأقطــــــــار

(١)
المجاورة .

أما بالنسبة لاسلوب الدعوة الذى اتبعه الدعاة للدعوة النزارية فقد استخدموا عدة وسائل وتسليحوا بأسلحة مختلفة كى ينشروا أفكارهم ويدخلوا الناس فى الدعوة النزارية ويصف أبو حامد الغزالي وسائلهم التى كانوا يستخدمونها بأنها حيل يحتالون بها على الناس فقال : أما درجات حيلهم فقد نظموها على تسع درجات مرتبة ، ولكل مرتبة اسم أولها الزرق والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التديس ، ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ .^(٢)

أولا : الزرق والتفرس :

ينبغى أن يكون الداعى فطنا ذكيا صحيح الخدس صادق الفراسة متفطنا لبواطن بالنظر الى الشماثل والظواهر قادرا على ادراك مكنونات النفس البشرية يستطيع أن يتبين قوة ارادة الفرد ومبلغ سهولة انقياده فيميز بين من يجوز أن يطمع فى استدراجه ويوثق بلىن عريكته لقبول مايلقى اليه على خلاف معتقده . فرب رجل جمود على ماسمعه لايمكن أن ينتزع منه مايستفيد منه ، فلا يضيعن الداعى كلامه مع مثل هذا وليقطع طمعه منه ، وليلتمس من فيه انفعال وتأثر بما يلقي اليه من الكلام . كذلك على الداعى الا يدعو الناس كلهم الى طريق واحد ، بل يبحث أولا عن معتقد كل انسان ومايميل اليه طبعه ومذهبه ، فان كان يميل الى الزهد والتقشف والتقوى دعاه الى الطاعة والانقياد وزجره عن اتباع الغنى

(١) ماركوبولو : رحلة ماركوبولو "الينابيع" ص ٦٤، ٦٥ .

(٢) أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية ص ٢١ ، البغدادى : الفسوق

بين الفرق ص ٢٩٨ .

والشهوات . وان كان طبعه مائلا الى المجون والخلاعة رسخ الداعى فى نفسه
أن العبادة، بله، وأن الورع حماقة، وانما الغطنة فى اتباع الشهوة ونييل
اللذة وقضاء الوطر من هذه الدنيا الفانية . وهكذا يتدرج الداعى
ويسير مع كل واحد فى الطريق الذى يناسبه .

ثانيا : حيلة التأنيس :

وهو من الأنس بمعنى بعث الأمن والطمأنينة فى نفوس المدعويين
والمستجيبين فرسموا للدعاة أن يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد من
المستجيبين ، ويجتهدون فى استصحاب من له صوت طيب فى قراءة القرآن
ليسمعهم شيئا منه ، ثم يتحدث الداعى بشئ من الكلام الرقيق والمواعظ
المؤثرة فى القلوب ثم يردف ذلك بالطعن فى السلاطين وعلماء الزمان
ويعد بأن الفرج سيأتى قريب ببركة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأثناء الحديث يبكى أحيانا ويتنفس المعداء ، وإذا ذكر آية
أو خبرا ذكر أن لله سرا فى كلماته لا يطلع عليه الا من اجتباه الله
وشمله بلطفه ، وإذا استطاع الداعى أن يتهدد بالليل مهليا وباكيئا
عند غيبة صاحب البيت بحيث يطلع عليه فإذا أحس بأنه اطلع عليه عاد
الى منامه واضطجع كالذى يقصد اخفاء عبادته . كل ذلك ليستحس
الأنس به ويميل القلب الى الاصغاء الى كلامه .

ثالثا : حيلة التشكيك :

ومعناها أن يقوم الداعى بزعزعة وتغيير عقيدة المستجيبين وتعتبر
هذه الخطوة من أخطر الخطوات فيبدأ بالسؤال عن الحكمة من الشرائع

ومامعنى المتشابه من الآيات ومامعنى "آلر" و "كهيعص" و "حم عسق" الى غير ذلك من أوائل السور وهل تعيين هذه الحروف بعينها لأسرار هي مودعة فيها لم تصادف في غيرها، أم لا ؟ • ويشكك في الأحكام : مابال الحائض تقضى الصوم دون الملاء ؟ ولماذا يجب الاغتسال من المنى الطاهر ولايجب من البول النجس ؟ ويشككه في أخبار القرآن فيقول : مابال أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة ؟ ومامعنى قوله : " عليها تسعة عشر " هل انتهت القافية فلم يكمل العشرين ، انه ليخيل الى أن وراء هذا التقييد سرا لا يطلع عليه الا الأنبياء والأئمة الراسخون في العلم ؟ وأن هذا السر فيه فائدة. والعجب من غفلة الخلق لا يشمرون عن ساعد الجد لمعرفة هذه الفائدة ، ولا يزال يشككه حتى ينطبع في نفسه أن تحت هذه الأشياء أسراراً سُدَّت عنه وعن أصحابه ويصبح في شوق لمعرفة هذه الأسرار وحقيقة هذه الأشياء •

رابعاً : حيلة التعليق :

وهي ترك المستجيب بعد تشكيكه في عقيدته معلقاً متشوقاً الى معرفة المذهب الاسماعيلي فيهِوَل الأمر عليه ويعظمه في نفسه ويقول له : لاتعجل فان الدين أجل من أن يُعبث به أو أن يوضع في غير موضعه ويُكشف لغير أهله ثم يقول له : لاتعجل ، ان ساعدتك السعادة وحالفك الحظ ستعرف السر أما سمعت قول صاحب الشرع : " ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق (١) فان المنبت لأرضاً قطع ولاظهوراً أبقى " •

(١) رواه البزار في كتاب الايمان باب التيسير ، الهيثمي : كشف الأستار عن زوائد البزار ٥٧/١ •

وهكذا يبقى يشوقه حتى يصبح متعطشا لمعرفة ذلك السر ، فاذا وصل الى هذه الدرجة قال له : ان هذه الأسرار مكتومة لاتودع الا في سر محصن فحص حرك وأحكم مداخله حتى أودعه فيه . فيقول المستجيب : وما الطريق الى ذلك ؟ فيقول : ان آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع فانه الدر الثمين والعلق النفيس . وما أودع الله هذه الأسرار أنبياءه الا بعد آخذه عهدهم وميثاقهم ، وتلا قوله تعالى : "واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" (١) . وقال تعالى : "وأوفوا بعهدي الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون" (٢) . وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفشه الا بعد أخذ العهد على الخلفاء وأخذ البيعة على الأنصار تحسنت الشجرة ، فان كنت راغبا فاحلف لي على كتمانها ، ولك الخيرة بعد ذلك : فان وفقت لدرك حقيقته سعدت سعادة عظيمة ، وان اشمأزت نفسك فلا حرج عليك كل ميسر لما خلق له ، ونحن نقدر كأنك لم تسمع ولم تحلف ، فان أبى الحلف تركه ، وان استجاب أخذ منه الأيمان والعهود والمواثيق .

خامسا : حيلة الربط :

وهي أن يربط لسان المستجيب بأيمان مغلفة ، وعهود مؤكدة لايقدر على المخالفة لها بأي حال . وهذه نسخة العهد : يقول الدا عسى للمستجيب : " جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله عليه السلام

(١) سورة الأحزاب : آية ٧

(٢) سورة النحل : آية ٩١

وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ، انك تُسرّ ما سمعته منى وتسمعه .
وعلمته وتعلمه من أمرى وأمر المقيم بهذه البلدة . لصاحب الحق الامام
المهedy ، وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ، وأمور المطيعين لله .
على هذا الدين ، ومخالفة المهedy ومخالفة شيعته من الذكور والانثى
والصغار والكبار ، ولا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا تدل به عليه ، الا ما أطلعت
لك أن تتكلم به ، أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم فى هذا البلد أو فى
غيره ، فتعمل حينئذ بمقدار ما رسمه لك ولا تتعداه . جعلت على نفسك
الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك فى حال الرغبة والرغبة ، والغضب
والرضا ، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعنى وجميع من أسمىه .
لك وأبينه عندك مما تمنع منه نفسك وأن تنصح لنا وللامام وللى الله .
نصحا ظاهرا وباطنا ، وألاتخون الله ولأوليه ولا أحدا من اخوانه وأوليائه
ومن يكون منه ومنا بسبب : من أهل ومال ونعمة ، وأنه لارأى ولا عهد .
تتناول على هذا العهد بما يبطله . فان فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم
أنك قد خالفته ، فأنت برىء من الله ورأسه الأولين والآخرين ، ومن ملائكته
المقربين ، ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين ، وأنست
خارج من كل دين ، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وداخل فى حزب
الشیطان ، وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك العقوبة .
والعقوبة ان خالفت شيئا مما حلفتك عليه . بتأويل أو بغير تأويل
فان خالفت شيئا من ذلك فله (عليك أن تحج الى بيته ثلاثين حجة .
نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، وان خالفت ذلك) فكل ما تملكه فى الوقت
الذى تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم نبيك وبينهم
وكل مملوك يكون لك فى ملكك يوم تخالف فيه فهم أحرار ، وكل امرأة
تكون لك أو تتزوجها فى قابل (أى فى المستقبل) فهى طالق ثلاثا بتة

ان خالفت شيئا من ذلك ، وان نويت أو أضمرت فى يمينى هذه خـــــــلاف
ما قصدت فهذه اليمين من أولها الى آخرها لازمة لك . والله الشاهد على
صدق نيتك وعقد ضميرك . وكفى بالله شهيدا . بينى وبينك قل نعم " - فيقول
" نعم " .

سادسا : حيلة التدليس :

وهو أنه بعد اليمين وتأكيده العهد لايسمح ببث الأسرار للمستجيب
دفعه واحدة ، ولكن يتدرج شيئا فشيئا فيذكر له بداية أصول وقواعد
المذهب ويقول : عين الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآرائهم
المتناقضة واعراضهم عن الإلتباع والتلقى من أصفياء الله وأئمتـــــــه
وأوتاد أرضه ، والذين هم خلفاء رسوله من بعده ، فمنهم الذين أودعهم الله
سره المكنون ودينه المخزون ، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر وأسرار هذه
الأمثلة ، وان الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع الى القرآن وأهل البيت
ولذلك قال عليه السلام : " ألم أترك فيكم القرآن وعترتى ؟ " أى أعقابهم
فهم الذين يطلعون على معانى القرآن ثم يقول له : " انى مفشى اليك سرا
وعليك حفظه " . فاذا قال : نعم ، قال : " ان فلانا وفلانا يعتقدون هذا
المذهب ، ولكنهم يسرونه " ، ويذكر له من الأفاضل من يعتقد المستجيب أن فيهم
الذكاء والفطنة ، وليكونوا بعيدين عن بلده ، حتى لا تتيسر له المراجعة
بعد هذه المقدمات يصبح المستجيب فى شوق ولهف الى معرفة كنه هـــــــذا
المذهب فيتدرج الداعى بعد ذلك فى تفصيل المذهب للمستجيب .

سابعا : حيلة التلبيس :

وهى تعريف المستجيب على مقدمات مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس

حتى تترسخ في نفسه ثم بعد ذلك يستدرجه باستخلاص نتائج باطلة من هذه المقدمات .

شامنا وتاسعا : حيلة الخلع والسلخ :

وهما متفتتان ويقصد بهما اقضاء المستجيب عن مذهب أهل السنة نهائيا فالخلع يختص بالعمل فاذا وصلوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت الى درجة الخلع . أما السلخ فيختص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين . فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا (١) وسميت هذه الرتبة : البلاغ الأكبر .

هذه هي درجات حيلهم في الدعوة لمذهبهم . أسلوب قائم على الخداع والحيلة لايقاع السذج من الناس في شراكهم وحبائلهم لذلك كان من الضروري الاطلاع على هذه الحيل ، ففي الاطلاع عليها فوائد جملة (٢) لجماهير الأمة كما يقول الغزالي .

أما فيما يتعلق بالجانب العقدي في الدعوة النزارية الاسماعيلية فهم يقولون : أن الأمر صار الى نزار بعد أبيه المستنصر ، وان من جسد امامته فقد أخطأ ، ويرون أن الطعن على الحسن بن الصباح فيما نقله عن المستنصر في قوله : الامامة بعدى في ولدي نزار ، من أعظم الآثام (٣) . بعد وفاة المستنصر وانتقال الامامة الى ابنه الأصغر أحمد المستعلى

-
- (١) أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية ص ٢١ - ٣٢ ، المقرئزي : خطط المقرئزي ٩٧/٢ - ١٠٧ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٩٨ - ٣١٢ .
- (٢) أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية ص ٢١ .
- (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٢٤٤/١٣ .

شار الحسن بن الصباح واعتبر ذلك اغتصابا للحق الشرعى لنزار فى الامامة، فتركزت جهود الحسن بن الصباح فى نشر الدعوة لنزار وكان يقول هو ومن جاء بعده، من حكام الموت : أنهم دعاة الأئمة من نسل نزار . وقد كان أولئك الأئمة المزعمون فى ستر تام ولم يعرف عنهم أى شئ . فاتبع نظرية الامام المستور وجعل من نفسه نائبا للامام المستور من ولد نزار ، واستغل مبدأ التعليم من الامام المعصوم ، فادعى أنه لا يمكن لى انسان أن يعرف شيئا عن طريق غير طريق الامام أو نائبه، ومادام هو نائب الامام فقد أصبح مصدر العرفان . . .

كما لجأ ابن الصباح الى التأويل ، فأول القرآن للنزارية تأويلا يتفق ونزعاته السياسية فاعتقد الدعاة أنه أحق بتعيينهم ، وقدسهم المستجيبون . . .

ظل الحسن بن الصباح قائما على أمور الدعوة النزارية يربها ويمدها بتوجيهاته وتعليماته ، فلما أحس بقرب الأجل استدعى اليه فى الموت اثنين من أشد الناس اخلاصا له . ولدعوته وهما "كيا بزرگ أميـد" و"أبو على" داعى الدعوة ، فجعل الأول مسئولا عن النواحي الدنيوية .

(١) ذكرت بعض المراجع مثل كتاب أحمد جلى وغيره أن الحسن بن الصباح ابتدع نظرية جديدة، هى نظرية الامام المستور وهذا غير صحيح ، فنظرية الامام المستور قامت عليها أغلب الدعوات الشيعية فمثلا المهـدى الفاطمى أرسل دعائه الى المغرب وبقى هو مستورا ولم يظهر الا بعد أن استقام الأمر له بأفريقية وقامت الدولة الفاطمية . فـإذا الحسن بن الصباح لم يبتدع نظرية الامام المستور بل اتبعها .

(٢) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة، ص ٧٧، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧١/٤، أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧١/٤ .

(١)

وقائدا للفدائيين وجعل الثانى مسئولا على أمور الدعوة الروحية .

بعد وفاة الحسن بن الصباح فى ربيع الثانى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ،
تولى رئاسة الاسماعيلية النزارية فى الموت وسائر القلاع كيابزرك آميد .
وقد تميز عهده بالحروب مع السلاجقة مما أدى الى تدهور قوة الاسماعيلية
فى كثير من القلاع وانحسار دولة الموت فشار أهل آمد^(٢) على من عندهم
من الاسماعيلية فقتلوا منهم نحو سعمائة رجل ، فضعف أمرهم بعد هذه
الواقعة .^(٣)

استمر كيابزرك آميد فى الحكم الى أن مات فى سنة ٥٣٢ هـ وتولى
رئاسة الاسماعيلية بعده أبناؤه وأحفاده ، وفى سنة ٥٥٧ هـ تولى زعامته
الدولة النزارية الحسن الثانى وهو حفيد كيابزرك آميد وكان الحسن
هذا ذا عقلية فلسفية قوية ، درس مؤلفات كبار المفكرين الاسماعيليين
والفلاسفة وخصوصا كتب ابن سينا ، وكتب التصوف ، وأراد الحسن الثانى
العودة بالاسماعيلية فى الموت الى عهد الحسن بن الصباح بما كانت عليه
من حيوية فبدأ فى الدعوة الى تأويل روحى للاسماعيلية مختلف عما
ألفته الاسماعيلية فى عهد أبيه وجده ، وكان الحسن الثانى فصيحاً وعالمياً
فاستطاع التأثير فى أتباع الاسماعيلية فى الموت وقلاع الجبل ، وأصبحت له
عندهم مكانة كبيرة . ويبدو أن بعض هؤلاء قد أخذوا يمجّدونه الى درجة
أن زعموا أنه هو الامام المنتظر .^(٤)

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٧٩ ، محمد السعيد جمال الدين :

دولة الاسماعيلية فى ايران ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) آمد : مدينة قديمة حصينة مبنية بالحجارة السود وهى أعظم مدن

ديار بكر من بلاد الجزيرة ، ونهر دجلة محيط بها من جميع جوانبها .

الامن جهة واحدة ، على شكل هلال . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان

٥٦/١ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٤٩١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٢٥/١٠ ، الذهبى : دول الاسلام ٤٤/٢ .

(٤) عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٤٣/٢ .

بعد عامين ونصف من حكمه بدأ الحسن الثانى فى نشر اصلاحاته ففى ١٧ رمضان سنة ٥٥٩هـ دعا كل الأهالى فى مملكته للاجتماع فى رحبات الصلاة عند سفح قلعة ألموت فطلع عليهم وادعى أنه جاءه شخص سرا من عند الامام المستور يحمل رسالة جاء فيها : " أن الحسن بن كيا بزرگ هو خليفتنا وداعينا وحجتنا، فعلى جميع من هم على عقيدتنا أن يطيعوه فى الأمور الأخروية والدنيوية وأن يأتروا بأوامره ، ويعتبروا كلماته من وحى الله ، وأن لا يخالفوا له أمرا، بل يتقيدوا بها ويعملوا بها كما لو كانت من لدنا" (١) .

وبعد أن قرئ هذا السجل على الناس خطبهم الحسن الثانى وأمرهم بطرح جميع التكاليف الدينية والامتناع عن اقامة الفرائض الاسلاميــــــــــــة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " كلکم راع وكل راع مسئول عن رعيته" (٢) فالامام هو المسئول الأول عن أتباعه، وهو الذى يتحمل بدلهــــــــم الحساب يوم القيامة، ان أطاعوه طاعة تامة واعتقدوا امامته على هذا النحو . وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية فى دور جديد هو دور القيامة أى عدم القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج . وعدم التقيد بما كان عند الاسماعيلية فى دور الظهور الأول "أى فى العصر الفاطمى" من الاعتقاد بالظاهر والباطن والقيام بالشعائر الدينية الظاهرة فوجدت هذه الآراء الجديدة آذانا صاغية من أتباع الاسماعيلية فى ألموت . ثم مالبت الحسن الثانى فى سنة ٥٥٩هـ أن قام بخطوة جديدة، فأعلن أنه

(١) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/٣٤٤، ٣٤٥، محمد كامل حسين :

طائفة الاسماعيلية ص ٨١ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب الجمعة ، البخارى : صحيح

البخارى ١/١٦٠، وأخرجه مسلم فى كتاب الاملاق باب فضيلة الامام

العادل ، مسلم : صحيح مسلم ١٢/٢١٣ .

هو الامام من نسل نزار بن المستنصر الفاطمي ، وأصبح اسمه لا يذكر الا مقرونا بقولهم : " على ذكره السلام " وبذلك أصبح حكام آل موت من الحسن الثاني ومن جاء بعده من سلسلة النسب الفاطمي ، فازداد الناس حوله التفافا وفرحا بظهوره بعد الستر وطاعة له لأنه المسئول عنهم أمام الله وقالوا : ان طاعة الامام الآن أوجب من أى وقت مضى . وهكذا أتى الحسن الثاني بثلاث تجديدات ، مالبث أتباع النزارية فى كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة :

أولا : أعلن نفسه خليفة لله فى أرضه ، ولم يعد مجرد داع كـ
كان أسلافه فى الموت .

ثانيا : نسخ حكم الشريعة .

ثالثا : أعلن قيامة الموتى ، ونهاية الدنيا ، وأن الذين استجابوا لدعوته قد بعثوا الآن للحياة الباقية ، وأن من لم يستجيبوا له قضى
(١)
عليهم بالفناء .

استمر أتباع الاسماعيلية فى آل موت وقلاع الجبل سائرين على هذه التعاليم يمجّدونها الى أن برزت حركة مضادة لحركة القيامة التى أعلنها الحسن الثانى والتى بدأت بتولى الحسن الثالث حفيد الحسن الثانى لزعمامة الاسماعيلية فى آل موت سنة ٦٠٧ هـ اذ أمر باعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده ، وأمر ببناء المساجد واقامة الأذان للعلاة وقرب اليه الفقهاء والقراء . ووردت رسل الباطنية الى بغداد من آل موت وبقية بلادهم أخبروا أنهم أسلموا وأظهروا شعائر الاسلام

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٨١ - ٨٢ ، عبد الرحمن بدوى :

مذاهب الاسلاميين ٣٤٥/٢ .

وبعثوا ذهباً مضروباً باسم "الخليفة العباسي" الناصر لدين الله
 (١) ٥٧٥ - ٦٢٢هـ) . وأرسل الحسن الثالث إلى السلطان السلجوقي وغيـره
 من الملوك والأمراء المسلمين يؤكد لهم صدق عودته إلى التعاليم
 الإسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ، ففرح المسلمون بذلك ، وأخذ
 كل ملك يخلع على الحسن الثالث الألقاب الإسلامية ومن هذه الألقاب
 "المسلم الجديد" . وذهب الحسن الثالث إلى أبعد من هذا إذ انتهز فرصة
 زيارة بعض وفود المسلمين له فأحرق أمامهم كتب الحسن بن الصباح
 وكتب الاسماعيلية السرية ، وطعن في الحسن بن الصباح وكل من تولى أمر
 الاسماعيلية بعده . ورماهم جميعاً بالكفر والالحاد ، ثم بعث أمه وزوجـه
 لأداء فريضة الحج ، وأمر ببناء التكايا على طول الطريق إلى مكة المكرمة .
 ثم شرع في عقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك والأمراء .
 (٢)
 استمر الحسن الثالث على هذه التعاليم طوال فترة حكمه وكذلك
 ابنه محمد الثالث الذي جاء إلى الحكم بعده في سنة ٦١٨هـ سار على
 نفس النهج مؤكداً على تعاليم أبيه ولكن على ما يبدو أن الاسماعيلية
 في الموت من أتباع الحسن الثاني لم يكونوا راضين عن هذه التعاليم
 الجديدة . مما أثار غضبهم الشديد فعقدوا العزم على التخلص من محمد
 الثالث بن الحسن الثالث فأرسلوا إليه أحد الفدائيين فطعنه بخنجر
 فقتله وذلك في عام ٦٥٣هـ . وبمقتل محمد الثالث رجعت الاسماعيلية إلى

(١) ابن أبي الدم الحموي : التاريخ المظفر ، مخطوط ، ورقة ٥٣٢ أ ، ابن
 الأثير : الكامل ٢٩٨/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٩٨/١٢ ، ٢٨٨/١١ ، ٢٨٩ ، محمد كامل حسين : طائفة
 الاسماعيلية ص ٨٢ - ٨٣ ، عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين
 ٤٠٨/٢ ، ٤٠٩ .

آراء الحسن الثانى فعادت الى ماكانت عليه من ضلال وانحراف عن الدين واغتيال وارهاب واستمرت على هذا النهج الى أن اجتاحت جموع الجيش المغولى القلاع والحصون التى فى طريقها وكانت قلاع الاسماعيليين من بينها فدمرت ونهبت وكتبت نهايتها على يد هولاء قائد الجيش المغولى فى عام ٦٥٤هـ وقتل ركن الدين خورشاه آخر الأئمة الاسماعيلية النزارية فى الموت . وبذلك انتهت الدولة الاسماعيلية النزارية فى بلاد فارس والتى دامت احدى وسبعين ومائة عاما، كان بدؤها عام ثلاث وثمانين وأربعمائة (٤٨٣هـ) وانتهى بها عام أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ)، وكان عدد أئمة هذه الدولة ثمانية تولوا الحكم على التوالى بالترتيب وهم :

- (١) الحسن بن الصباح الحميرى (٤٨٣ - ٥١٨هـ)
- (٢) كيابزرك أميد . (٥١٨ - ٥٣٢هـ)
- (٣) محمد بن كيابزرك أميد . (٥٣٢ - ٥٥٧هـ)
- (٤) الحسن الثانى ابن محمد . (٥٥٧ - ٥٦١هـ)
- (٥) محمد الثانى ابن الحسن الثانى (٥٦١ - ٦٠٧هـ)
- (٦) الحسن الثالث ابن محمد الثانى (٦٠٧ - ٦١٨هـ)
- (٧) محمد الثالث ابن الحسن (لثالث) (٦١٨ - ٦٥٣هـ)
- (٨) ركن الدين خورشاه (٦٥٣ - ٦٥٤هـ)

أما عن الاسماعيليين النزاريين فى بلاد الشام فان أول ظهورهم كان عام ٤٩٩هـ حيث تملكوا حصن أفامية فقطعوا الطريق وآخفوا السبل وانغم اليهم (٢)

- (١) الذهبى : دول الاسلام ١٥٨/٢ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليين ص ٨٦، ٨٥ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ .
- (٢) أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٢٧/١ .

(١) كل مفسد . وكان أول من أظهر هذا المذهب الخبيث بالشام هو الحكيم المنجم وأبو طاهر الصائغ أيام الملك رضوان فمال اليهم خلق كثير بسرمين والجزر وجبل السماق . واستطاع الحكيم المنجم بشيء من المكر والدهاء أن يستميل الملك رضوان أمير حلب إلى الاسماعيلية الباطنية فأخذ الملك رضوان يستعين بهم لقلّة دينه فكثروا في حلب وأظهروا مذهبهم وأصبح لهم دار دعوة بها .

أخذ الملك رضوان يستغل شجاعة الاسماعيلية وجرأتهم في التخلص من أعدائه وتحقيق أطماعه الشخصية فأوعز اليهم اغتيال زوج أمه جنّاح الدولة حسين صاحب حمص بعد أن أشاع الباطنية وشاية مفادها أن جنّاح الدولة حسين عازم على أخذ حلب من رضوان ، فأرسل إليه الحكيم المنجم ثلاثة نفر من الفدائية فوشبوا عليه في المسجد الجامع بحمص فقتلوه هو وجماعة من أصحابه بعد انتهائهم من صلاة الجمعة وقتل الحكيم المنجم

-
- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٣/ورقة ١١٤٢، الذهبى : دول الاسلام ٢٨/٢ .
- (٢) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب أهلها من الاسماعيلية . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣/٢١٥ .
- (٣) الجزر : موضع بالبادية وهي كورة من كور حلب . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/١٣٣ .
- (٤) جبل السماق : جبل عظيم من أعمال حلب الغربية مشتمل على مـسـدن عظيمة وقرى وقلاع كلها مساكن للاسماعيلية الملاحدة . البغدادى : مرصد الاطلاع ١/٣١١ .
- (٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/١٦٨، ١٦٩ .
- (٦) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢/٢٢٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٢٠٥، ابن الأثير : الكامل ١٠/٤٩٩، ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ص ١٤٠، ١٤١ .

(١)

بعد الحادثة بأربعة عشر يوماً .

تولى أمر الدعوة الباطنية بطلب بعد مقتل الحكيم المنجم رفيقه
 أبو طاهر الصائغ العجمي فاستمر على سياسة سلفه في نشر الأضاليل وبيث
 الرعب وسفك الدماء فاستطاع في سنة ٤٩٩هـ وبمساعدة أحد دعائهم أبو الفتح
 السرميني وبعض من أهل سرمين من أن يقتل خلف بن ملاعب صاحب حصن أفامية
 وأن يستولى على الحصن ويقيم فيه .^(٢) لكن بلغ الملك رضوان في سنة
 ٥٠١هـ أنه لعن في مجلس السلطان بركيارق السلجوقي بسبب مشايعته
 للباطنية واستعانت بهم وحفظه لجانيهم فأمر أبا الغنائم ابن أخي أبي
 الفتح السرميني الباطني بالخروج من حلب هو ومن معه من أصحابه، فخرج
 القوم من حلب فتخطفوا وقتل منهم أفراد .^(٣) ومع ذلك بقي الملك رضوان
 يستخدم الباطنية في أغراضه الخاصة ويستعين بهم في أموره إلى أن بلغه
 أنهم يريدون اغتياله وأخذ قلعة حلب منه فأدرك خطرهم وبدأ فـ
 اضطهادهم ولكنه توفي سنة ٥٠٧هـ فملك حلب بعده ابنه ألب أرسلان فأرسل
 إليه السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه كتابا قال فيه : " كان والدك
 يخالفني في الباطنية، وأنت ولدي، فأحب أن تقتلهم " . فشرع ابن بديع
 رئيس الشرطة في حلب في الحديث مع الملك ألب أرسلان في شأن الباطنية
 وخوفه منهم وحشه على قتلهم والايقاع بهم . فأمره ألب أرسلان بذلك

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠، ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ١٦٨/٥، ١٦٩، ابن العديم : بغية الطلب ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٢، ابن العديم : بغية الطلب

ص ١٢٩، المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣/٣٦ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٤٤ .

فقبض على مقدمهم أبى طاهر الصائغ وعلى كل من دخل فى مذهبهم وكنان عددهم زهاء مائتى نفس، فقتل فى الحال أبى طاهر الصائغ، واسماعيل الداعى، وأخو الحكيم المنجم والأعيان منهم، وحبس الباقون واستصفيت أموالهم، وشفع فى بعضهم، فممنهم من أطلق، ومنهم من رمى من أعلى القلعة (١) وهرب منهم جماعة قاصدين الفرنج، وتفرقوا فى البلاد .

استمرت محنة الباطنية وبقوا متخفين لا يقدر أحد منهم أن يظهر نفسه الى أن وفد الى الشام داعى الباطنية بهرام فعظم أمره وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزى واللباس فكان يطوف البلاد ولا أحد يعرف شخصه. فأخذ يدعو أوباش الناس فتبعه الجهال منهم وسفهاء العوام فكثر جمعه وأقام بحلب مدة. عند ايلغازى صاحبها، وأراد ايلغازى أن يتقى شره وشر أصحابه فأشار ايلغازى على ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق بأن يجعله عنده. لهذا السبب، فقبل رأيته فذهب بهرام الى دمشق ودعا الى مذهبها بها وأظهر شخصيته وأعانه أبو طاهر بن سعيد المزدقانى وزير طغتكين فعظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه أضعاف ما كانوا حتى كاد أن يملك البلد غير أن بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه. فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى اليه هو ومن اتبعه، فأشار الوزير المزدقانى بتسليم قلعة بانياس اليه، فسلمت اليه فسار اليها.

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٢/ ورقة ٦٣ ب، ابن القلانسى : ذيل

تاريخ دمشق ص ٣٠٢، ابن الأثير : الكامل ١٠/ ٤٩٩ .

(٢) أتابك : معناها أمير أب أى أبو الأمراء أى أكبر الأمراء المقدمين

وليس للأتابك وظيفة ترجع الى حكم وأمر ونهى، وغايته رفعة المحلل

وعلو المقام . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/ ١٨ .

(٣) بانياس : بلدة. قرب دمشق، تحت الجبل الذى فى غربى دمشق، يرى عليه.

الثلج، وفيها الليمون والأترج . انظر البغدادى : مرصد الاطلاع

وتجمع حوله أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره
(١)
واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ولاسيما أهل السنة .

بدأ بهرام وجماعته من الباطنية ينشرون الرعب والغزع في وسط
المجتمع الاسلامي وبدأوا في استخدام اسلوبهم المعهود في الغدر والاضطهاد
وتصفية قادة الجهاد من المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم توحيد الجبهة
الاسلامية والوقوف في وجه الملبين لطردهم من بلاد المسلمين فوجهوا
خناجرهم الغادرة الى قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل — دلا
من توجيهها الى الملبين أعداء المسلمين فقتلوه يوم الجمعة بالمسجد
الجامع وهو يلقى الجمعة مع العامة فخر العالم الاسلامي بمقتله واحدا من
(٢)
قادة الجهاد ضد الملبين والاسماعيلية .

لم يكتف بهرام داعي الباطنية بذلك بل حدثته نفسه بقتل برق بن
جندل أحد مقدمي وادي التيم لغير سب حمله عليه بل اغترارا بعاقبة
الظالمين في سفك الدماء المحرمة وافاضة النفوس المحظورة فخدعه الى أن
حصل في يده فاعتقله وقتله صبرا . ثارت الحمية في نفس الضحاك بن
(٣)
جندل أخو برق بن جندل وجماعته وأسرتهم فعزموا على الأخذ بشأره فتجمعوا
وتعاهدوا وتحالفوا على المصاهرة على لقاء أعدائهم فخرج اليهم
الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع فيهم السيف وقتل منهم

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢، ٣٤٣، ابن الأثير : الكامل

١٠/٦٣٢، ٦٣٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٢/٣ .

(٢) الذهبي : العبر ٢/٤١٣، ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٣٣، ٦٣٤، أبو شامة :

الروضتين في أخبار الدولتين ١/٣٠، ابن العماد الحنبلي : شذرات

الذهب ٦١/٤ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢، ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٥٦ .

عددا كبيرا ، وقتل بهرام وقطع رأسه ويده ، ومضى بهما الى مصر بشسارة
بهلاكه ، أما الذين سلموا من القتل فانهزموا وعادوا الى بانياس على
(١)
أقبح صورة .

تولى أمر الباطنية في الشام بعد مقتل بهرام صاحبه اسماعيل
العجمي وكان بهرام قد استخلفه في بانياس فقام مقامه وجمع فلول الباطنية
ورتب أمرهم وبث دعائه في البلاد وساعده في ذلك الوزير أبو علي
المزدقاني إذ أقام بدمشق مكان بهرام رجلا باطنيا اسمه أبو الوفاء
فقوى أمر هذا الباطني وعلا شأنه وكثر أتباعه حتى أصبح حكمه في دمشق
(٢) (٣)
أكثر من حكم تاج الملوك صاحبها .

لم يكتف الوزير المزدقاني بمشايعته للباطنية ومساعدته لهم بل
ذهب الى أبعد من هذا إذ استحل الخيانة العظمى بمراسلته للفرنج على
أن يسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور ، فاتفقوا على
هذا واستقر الأمر بينهم على أن يأتي الفرنج الى دمشق يوم الجمعة
لأخذها . ورتب المزدقاني الأمر كذلك مع الباطنية في دمشق بقيادة أبي
الوفاء على أن يحتاطوا في ذلك اليوم وأن يقفوا على أبواب جامع دمشق
ولا يمكنوا أحدا من الخروج من الجامع حتى يجيء الفرنج ويملكوا المدينة .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ابن الأثير : الكامل
٦٥٦/١٠ ، ابن أبي الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٤٥٢ ، النويري : نهاية
الأرب ٧٩/٢٧ .

(٢) هو تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين آتابك دمشق ، تولى
الأمر في دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٢٢ هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر
٢/٣ ، القلقشندی : صبح الأعشى ١٢١/١ ، ١٢٢ ، النويري : نهاية الأرب ٢٧/٨٠ .

علم تاج الملوك بورى صاحب دمشق بهذه المؤامرة فعزم على التخلص من الباطنية وشرهم فاستدعى اليه الوزير المزدقانى فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية (١)
فقتل منهم ستة آلاف نفر .

أما اسماعيل الداعى زعيم الباطنية المقيم ببانياس فإنه لما سمع هو ومن معه ما حدث للباطنية فى دمشق خافوا على أنفسهم فراسل اسماعيل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس على أن ينتقل الى بلادهم ليأمن على نفسه هو وجماعته فأجابوه على ذلك فسلم قلعة بانياس اليهم وانتقل هو وأصحابه الى بلادهم فى غاية من الذلة والهوان وكفى للناس المؤمنين قتالهم وخلص الشام من شرهم وهلك اسماعيل زعيمهم فى العام التالى سنة ٥٢٤هـ . (٢)

علم باطنية آلموت بما حدث لأقرانهم فى الشام فأسقوا عليهم وحزنوا حزنا شديدا وعزموا على الانتقام لهم فندبوا اثنين من الخرسانية الغداوية لقتل تاج الملوك فحضرا الى دمشق وتدرجا بالخيالة والمكر الى أن صارا من المرتبين لحفظ تاج الملوك ولما تمكنا منه وثبا عليه فى يوم الخميس الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٢٥هـ فضربه أحدهما بالسيف طالبا لرأسه ، فجرحه فى رقبتة ولم يتمكن من قتله وضربه الآخر بسكين فلم يتمكن من قتله ، فرمى تاج الملوك بنفسه فى

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠ ، ٦٥٧ ، ابو الفدا : المختصر فى أخبار

البشر ٣/٢٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٠/١٢ ، ابن العماد

الحنبل : شذرات الذهب ٦٦/٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٥٧/١٠ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق

ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ابن أبي الدم : التاريخ المظفر ورقة ٤٥٢ ، النويري :

نهاية الارب ٨٠/٢٧ .

الحال عن فرسه سليمان وتكاثر الرجال عليهما وقطعوهما بالسيوف وعولجت
(١)
جراح تاج الملوك فعوفى وسلمه الله من غدر هؤلاء الملعين .

فى هذا الوقت ظهرت شخصية بارزة لها أهميتها بين اسماعيلية الشام
هى شخصية سنان راشد الدين واسمه أبو الحسن بن سليمان بن محمد راشد
الدين ، أمه من قرية عقر السدن من قرى الشرطة بين واسط والبصرة
أهلها كلهم اسحاقية نصيرية (من غلاة الشيعة) أهل ضلالة ومنها كـ
الضال المضل سنان داعية الاسماعيلية ودجالهم ومضلهم الذى فعـ
الأنفـاعـيل التى لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده . وكان يعرف السيمـ
(أى الحيل والشعوذات) .

لم يكن سنان ولا أسرته على مذهب هؤلاء وعقيدتهم بل كانوا على
مذهب الشيعة الاثنى عشرية ولما شب سنان تحول الى مذهب الاسماعيلية
على يد داعى دعاة العراق الذى لمس فيه النجابة والذكاء فحبب اليه
الرحيل الى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الاسماعيلية فذهب الى
آلموت وهناك توطدت صلة سنان بولى العهد فى آلموت الحسن الثانى بن
محمد فلما تولى الحسن الثانى الامامة أمر سنان بالرحيل الى الشام

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٦٥، ٣٦٦، ابن الأثير : الكامل

١٠/٦٧٠، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣/٥، النويرى :

نهاية الارب ٨١/٢٧ .

(٢) الاسحاقية نسبة الى أبى يعقوب اسحق النخعى وهو من أصحاب الحسن

العسكرى كان يقول بالاباحة واسقاط التكالييف ، ويثبت لعلـ "رضى الله

عنه" شركة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى النبوة على وجهـ

غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس . انظر ابن أبى الحديد : شرح

نهج البلاغة ٨/١٢٢ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤/١٣٧ .

ليشرف بنفسه على شئون الطائفة وليبث الآراء الجديدة. التى نادى بهـ
(١)
الحسن .

وفد سنان الى الشام سنة ٥٥٨هـ فى زى الفقراء الصوفية حتى لايعرفه
(٢)
أحد، فوصل الى الرقة ثم الى حلب حيث قصر اتصاله على الأوساط
(٣)
الاسماعيلية هناك ثم انتقل الى مصياف ثم الى الكهف وبقي بها سبع
سنوات، وظل سنان خلال هذه المدة متخفيا ولم يعلن أنه مبعوث من قبـ
آلموت لرئاسة الدعوة فى الشام الا قبيل وفاة أبى محمد المينقى
(٤)
رئيس الدعوة الاسماعيلية فى الشام .

توفى أبو محمد المينقى رئيس الاسماعيلية فى سنة ٥٦٥هـ وتولى
امامة الاسماعيلية فى الشام بعده سنان راشد الدين وتعتبر شخصيـ
سنان شخصية مميزة فى تاريخ الدعوة الاسماعيلية الباطنية فى الشام
اذ نادى بأفكار ومعتقدات جديدة، فأدخل فى المذهب الاسماعيلى فى الشام
مبدأ تناسخ الأرواح الذى كان يؤمن به سنان وهذا لم تقل به الاسماعيلية
من قبل لافى مصر ولا فى آلموت، ويبدو أن سنانا تأثر بمعتقدات البيـ
التى كان يعيش فيها وهو مغير والتى كان أهلها من النصيرية الذين
يقولون بتناسخ الأرواح فرسخت هذه المعتقدات فى مخيلته ونادى بها عند

-
- (١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٩٩، ١٠٠ .
(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الغرات بينها وبين حران ثلاثة أيام
وهى من بلاد الجزيرة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥٩/٣ .
(٣) مصياف : حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس .
وهى فى معجم البلدان بلفظ مصياف . انظر ياقوت الحموى : معجم
البلدان ١٤٤/٥ .
(٤) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٠، عبد الرحمن بـ
مذاهب الاسلاميين ٣٧٠/٢، ٣٧١ .

تولييه امامة الباطنية في الشام . الى جانب هذا ادعى سنان راشد الدين معرفته بالغيب ومقدرته على التنبؤ والرؤية، من ذلك ما رواه أبو فراس في مناقب المولى سنان أن صبيا حمل حجرا ثقيلا ولما دفع الحجر عن الأرض عض على شفته فقطعها من ثقل الحجر فلم يدر أحد بحاله ولكن المولى راشد الدين أمر العمال في ذلك اليوم بأن يرتفعوا عن عملهم قبل الظهر فاستغربوا ذلك فقال لهم ان صبيا منكم قد عض على شفته فقطعها لثقل الحجر التي حملها وهو في حاجة الى من يعتنى به والا مات .
(١)

لم يكتف سنان بهذا بل ذهب الى أبعد من ذلك فلقد ذكرنا أن سنانا كان على معرفة بعلم السيماء (آي الحيل والشعوذات) كما قال ياقوت الحموي ويبدو أن هذه الحيل والشعوذات التي كان يفعلها سنان أفلحت في التلبيس على العامة فاعتقد البعض أنه نبي وصاحب معجزات واعتقد البعض الآخر أنه اله تجسد بينهم فاستغل سنان هذه السذاجة وراح يؤكد في النفوس على هذه المعاني فادعى الألوهية من دون الله، ولقد كتب الرحالة ابن جبير الذي زار منطقة الشام بما فيها مناطق الاسماعيليين الباطنية في سنة ٥٨٠ هـ وهو يصف جبل لبنان ما يلي :

"وهو سامى الارتفاع، ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفي مفرجه حصون للملاحدة، الاسماعيلية، فرقة مرقى من الاسلام وادعت الألوهية في أحد الأنام، قبيض لهم شيطان من الانس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخیالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالتها، فاتخذوه الهة يعبدونها.

(١) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١٩٨، ١٩٩، عبد الرحمن بسندوى : مذاهب الاسلاميين ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليين

ويبذلون الأنفس دونه ، وحصلوا في طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردى من شاهقة جبل فيتردى ، ويستعجل في مرضاته الردى ^(١) .

انتقل سنان من الكهف الى قلعة مصيف حيث اتخذها مركزا لقياداته ومنها وجه اهتمامه لاعداد جيل جديد من المحاربين المدربين على الأعمال الفدائية والأمور العسكرية ورسم القلاع وأمر ببناء قلعة المرقب ^(٢) واستولى على قلعة العليقة بحيلة بارعة ، في هذا الوقت كان نور الدين محمود منهمكا في توحيد الجبهة الاسلامية وفي أوج انتصاراته على الصليبيين ، فلما رأى أن الاسماعيليين يملكون قلاعا داخل دولته ويتوسعون في مناطقهم شعر بأنهم خطر عليه وخنجر في ظهره ، فأخذ يرسل اليهم الحملات العسكرية لتحجيم خطرهم واخضاعهم لكن كل هذه الحملات باءت بالفشل ، فعزم نور الدين على السير بنفسه على رأس جيش لمحاربة سنان وجماعته لكن المنية عاجلته في سنة ٥٦٩ هـ ، فحالت بينه وبين ذلك وتولى ^(٣) زعامة الدولة النورية بعده ابنه الصالح اسماعيل وعمره احدى عشرة سنة . ^(٤) وانتقل الملك الصالح من دمشق الى حلب واستبد سعد الدين كمشتكين في

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٢٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ٥٠٨ ، عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ٣٧٧/٢ .

(٢) المرقب : بلدة وقلعة حصينة تشرف على سواحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس . البغدادى : مرصد الاطلاع ١٢٥٩/٣ .

(٣) العليقة : قلعة على جبل مرتفع عال يرى على بعد وهى على نحو ساعة من المينقة .

انظر القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٧/٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٠٥/١١ ، عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ٣٧٩ ، ٣٧٨/٢ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليين ص ١٠٠ ، ١٠١ .

تدبير دولة الملك الصالح ، فخافه شمس الدين ابن المقدم وغيره من
الأمراء الذين بدمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه
ليملكوه عليهم ، فسار صلاح الدين في مستهل ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ الى دمشق
فملكها ، ثم ملك حمص وحماه في نفس السنة ، ثم سار الى حلب وحاصرها
وبها الملك الصالح اسماعيل ، فارسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم
الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين ، فأرسل سنان جماعة من
الغداوية فوشبوا على صلاح الدين فجرحوه جراحات مثنخة ثم قتلوا دونه .^(٣)

لم يكتف سنان بهذه المحاولة لاغتيال القائد صلاح الدين بل ذهب
يكيد ويدبر المؤامرات ضد هذا البطل ، فدبر محاولة ثانية لاغتياله
وذلك في ذي القعدة من سنة ٥٧١ هـ عندما كان محاصرا لقلعة أعزاز ، إذ وشب
عليه باطنى ففربو بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يد الباطنى
بيده ، إلا أن الباطنى بقى يضرب بالسكين لكن ضربه كان ضعيفا لا يؤثر
فأمسك صلاح الدين السكين بكفه فجرحه الباطنى ولم يطلقها من يده .

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٣/ورقة ١٢٩ ب ، ابن أبى الدم :
التاريخ المظفرى ، ورقة ٥٤٥ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٣/ورقة ١٣٠ ب ، ابن أبى
الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٥٤٥ .

(٣) المصادر السابقة نفس الأجزاء والمفحة ، ابن واصل : التاريخ الصالحى
ورقة ١٩٨ ب ، ابن الأثير : الكامل ١١/٤١٥ ، ٤١٩ ، ابو الغدا : المختصر
في أخبار البشر ٣/٥٦ ، ٥٧ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٥/٣٠٠ .

(٤) أعزاز : قلعة من أعمال حلب من العواصم لها رستاق وسوق . وهى
أيضا اسم لموضع باليمن . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعها
والمفترق ص ٣٠٧ .

(١)

أن قتل الباطنى ، وجاء باطنى آخر فقتل ، وجاء ثالث فقتل .

بعد هذه المؤامرات عزم صلاح الدين على تطهير الشام من الاسماعيليين الباطنية والقضاء عليهم فقصدهم بلدهم فى المحرم من سنة ٥٧٢هـ فنهبه وخربه وأحرقه ثم حاصر قلعة مصياف ونصب عليها المجانيق ، وضيق على من بها . فأرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمى صاحب حماه وهو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له : " ان لم تفعل قتلناك " فحضر شهاب الدين عند صلاح الدين وشفع فيهم ——— وسأله المصح عنهم ، فأجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم .

(٣)

يبدو أن الاسماعيليين من ذلك التاريخ دخلوا فى طاعة صلاح الدين وأصبح يستخدمهم فى اغتيال ملوك وأمراء الصليبيين . وفى سنة ٥٨٨هـ أو عن صلاح الدين الى مقدم الاسماعيليين بالشام وهو سنان بقتل الماركيس الفرنجى صاحب صور ، فأرسل رجلين من الباطنية فى زى الرهبان الى صور ومكثا هناك ستة أشهر يظهران العبادة حتى آنس بهما الماركيس ووثق بهما ، فلما تمكنا منه وثب عليه الباطنيان فجرحاه جراحا بليغة ، وهرب أحدهما ودخل

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ ورقة ١٣٥ ب ، ابن واصل : التاريخ

الصالحى ورقة ١١٩٩ أ ، ابن الأثير : الكامل ١١/ ٤٣٠ ، أبو الفدا : المختصر

فى أخبار البشر ٣/ ٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٣ ، الذهبى

دول الاسلام ٢/ ٨٥ .

(٢) فى ابن خلدون قلعة باميان ، ولكن ما أجمعت عليه المصادر هو لفظ

مصياف والبعض منها يقول مصياف وكلاهما صحيح .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ ورقة ١٣٥ ب ، ابن أبي

الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٥٤٧ أ ، ابن الأثير : الكامل ١١/ ٤٣٦ ، أبو

الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣/ ٥٩ ، ابن خلدون : تاريخ ابن

خلدون ٥/ ٣٤٠ ، المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٦٢ ، ابن

واصل : التاريخ الصالحى ورقة ١١٩٩ .

كنيسة يختفى فيها، فحمل المركيس الى هذه الكنيسة لمعالجة جراحه—
(١)
فوشب عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده .

ولما وقع صلاح الدين الهدنة مع ملك انجلترا ريتشرد قلب الأسد
فى ٢٢ شعبان من سنة ٥٨٨هـ واقتسموا فيما بينهم بلاد الشام ، اشتراط
(٢)
السلطان صلاح الدين دخول بلاد الاسماعيليه فى عقد هدنته .

توفى سنان راشد الدين مقدم الاسماعيليه فى الشام فى سنة ٥٨٨هـ بعد
(٣)
أن قضى ثلاثين عاما فى خدمة المذهب الاسماعيلى فى الشام ، ودفن فى
قلعة الكهف ، وفى عهده كانت اسماعيلية الشام قوية الشوكة ، وخلفه فى
رئاسة الطائفة جماعة من الدعاة . وعندما اجتاحت جموع الجيش المغولى
بلاد فارس ودمرت مافى وجهها من القلاع بما فيها قلاع الاسماعيليه
الباطنية واستولت على قلعة ألموت فى سنة ٦٥٤هـ شعر الداعى أبو الفتوح
محمد زعيم الباطنية فى الشام بالخطر المغولى الرأخف من الشـرق
فأخذ يعد العدة للدفاع عن قلعة مصياف مقر قيادة الباطنية فى الشام
فأمر أن يبنى سورا يحيط بها لحمايتها وذلك فى سنة ٦٥٧هـ ولكن هـذا
السور لم يصمد أمام الزحف المغولى فتساقطت قلاع الاسماعيليه بما فيها
(٤)
مصياف وبذلك تفرق شمل الاسماعيليه فى الشام وتبعثرت قواهم .

تمدت جيوش مصر بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس للزحف—

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٧٨/١٢ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون
٣٨١/٥ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٨٢/٣ .
(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٨٣/٣ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ورقة ١٩٧ ، أبو الفدا : المختصر
فى أخبار البشر ٨٥/٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩٤/٤ .
(٤) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١٤٨ .

المغولى واستطاعت أن تنزل بالمغول هزيمة ساحقة فى موقعة عين جالوت
 فى ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ . فانتهمز الداعى أبو المعالى زعيم الباطنية^(١)
 فى هذا الوقت هذه الفرصة وجمع رجاله واسترد بهم قلاع الاسماعيليه التى
 أخذها المغول ، وبذلك قوى الاسماعيليه بعض الشئ ، لكنهم لم يستطيعوا
 أن يقفوا أمام جيوش الظاهر بيبرس الذى هاجمهم سنة ٦٦٤ هـ وكانوا
 برئاسة الداعى نجم الدين واضطروا الى أن يطلبوا من بيبرس المصلح
 والدخول فى طاعته ، فرضى بيبرس بشرط أن يدفعوا له الجزية ، فقبلوا بدفع
 الجزية وأصبح له الحق فى أن يولى عليهم من يشاء من الدعاة ويعزل^(٢)
 من يشاء .

ويبدو أن الاسماعيليه منذ ذلك التاريخ انضوا تحت لواء دولة
 المماليك وأصبح للسلطان المملوكى الكلمة عليهم ، فأخذ يستخدمهم
 فى بعض الاغتيالات التى دبرها لأعدائه ويذكر الرحالة ابن بطوطة الذى
 زار منطقة الشام بما فيها مناطق الاسماعيليه فى سنة ٧٢٧ هـ أن الاسماعيليه
 كانوا طوع ارادة الملك الناصر يوجههم الى ما يريد فقال :

" ومررت بحصن القدموس ، ثم بحصن المينقة ، ثم بحصن العليقية
 واسمه على لفظ واحدة ، العليق ، ثم بحصن مصيف ، ثم بحصن الكهف
 وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيليه ، ويقال لهم الفداويه ، ولا يدخل

(١) الذهبى : دول الاسلام ١٦٣/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢٠/١٣ ،
 أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٠٥/٣ ، ابن العماد : شذرات
 الذهب ٢٩١/٥ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٢٥/٥ ، اليونينى : ذيل مرآة الزمان
 ٤٣١/٢ ، ٤٣٢ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليه ص ١٠٧ .

عليهم أحد من غيرهم، وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عليه
من أعدائه " (١) .

وبهذا تكون الاسماعيلية الباطنية في الشام قد انتهت سياسيا
وعسكريا وبقيت تعيش كفرقة دينية شأنها في ذلك شأن الفرق الدينية
الأخرى .

(١) رحلة ابن بطوطة ٦١/١ .

ثانيا : المستعلية .

هم الذين أيّدوا امامة المستعلى بالله أحمد بن الخليفة المستنصر بالله بعد موت أبيه المستنصر عام ٤٨٧هـ وهؤلاء هم اسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام . والمستعلية ينكرون امامة نزار بن المستنصر ويقولون أنه نازع الحق أهله ، من حيث أن الحق في الامامة والخلافة كان لامامهم المستعلى بالله فادعاه لنفسه . ويقولون أن شيعته على الباطل . ويرون من الضلال اتباع الحسن بن الصباح داعية نزار والناقل عن المستنصر النص على امامته . (١)

ونلقى الآن نظرة على تاريخ الأئمة المستعلية ودولتهم في مصر بشيء من الاختصار :

تولى المستعلى الامامة وهو صغير السن فترك شؤون الحكم وسياسة الدولة الى خاله الأفضل وعكف على اللهو والمجون . وفي أيامه اختلست دولتهم ، وضعف أمرهم ، وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم ، واستولت عليها الأتراك والفرنج . (٢)

وفي عهد المستعلى بدأت الحروب الصليبية فاستولى الصليبيون على كثير من بلاد المسلمين فأخذوا أنطاكية في عام ٤٩١هـ ، ثم استولوا على بيت المقدس في عام ٤٩٢هـ ، وأخذوا يستولون على المدن والقرى الواحدة بعد الأخرى والمستعلى ووزيره الأفضل لم يحركا ساكنا ، فيعجب ابن تغرى بردى من هذا الموقف المريب فيقول : " ولم ينهض الأفضل باخراج عساكر

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٢٤٣/١٣ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٩٦/١٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٩/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٥/٥ .

(١)
مصر، وما أدرى ما كان السبب في عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال" .
هذا الموقف السلبي شجع الطليبيين على الاستيلاء على مزيد من المدن والأراضي فاستولوا على الساحل الشامي بآجمعه فملكوا حيفا عام ٤٩٣هـ ثم قيسارية في عام ٤٩٤هـ .
(٢) (٣)

وفي دولة المستعلى كثرت الباطنية الملاحدة، فنشروا الرعب وقطعوا السبل، وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء، وعم الرفض والتشيع حتى ان المستعلى رغم تقاعسه عن الجهاد وتهاونه في أخذ البلاد كان متغاليا في الرفض والتشيع .
(٤)

توفي المستعلى في السابع عشر من شهر صفر عام ٤٩٥هـ وتولى بعده ابنه الأمر بأحكام الله أبو علي منصور .
(٥)

تولى الأمر بأحكام الله الخلافة وهو صغير السن في السنة الخامسة من عمره، وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، ولما كبر الأمر قتل الأفضل بن أمير الجيوش وأقام في الوزارة مكانه المأمون أبا عبد الله البطاحي، فأساء السيرة وظلم فقبض عليه الأمر وقتله وقتل

-
- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٧/٥ .
 - (٢) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينهمـا وبين طبرية ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤/٤٢١ .
 - (٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥٢/٥، ابن الأثير : الكامل (٤)
 - (٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥٣/٥، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥/١٩٧ .
 - (٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥/١٩٧، ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/١٨٠ .

(١)

معه خمسة من اخوته وذلك فى عام ٥٢٢هـ .

كان الأمر جيد العقل والمعرفة ، وكان حسن الحظ لكنه خبيث المعتقد .
رافضيا كآبائه ، جبارا فاسقا متجاهرا بالمنكرات واللغو ، واشتغل
بسماع الزمور وشرب الخمر حتى أصبح الناس فى عهده مثل الغنم
بلا راع فاضطربت أحوال مصر .^(٢)

وفى عهد الأمر أخذ الصليبيون مدينة عكا فى سنة ٤٩٧هـ وأخذوا
طرابلس الشام بالسيف فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال واستصفيت
أموال أهلها وجاء الأسطول المصرى بالنجدة . ولكن بعد فوات الأوان فوصل
بعد سقوطها ، ثم ملكوا عرقه وبانياس وذلك فى عام ٥٠٢هـ ثم تسلموا تبنين^(٣)
وجبيل بالأمان فى عام ٥١١هـ . وتسلموا صور فى عام ٥١٨هـ ، وأخذوا^(٤)
بيروت بالسيف فى عام ٥٠٣هـ ، ثم أخذوا صيدا فى عام ٥٠٤هـ .^(٥)
^(٦)

بقى الأمر فى الحكم تسعا وعشرين سنة وتسعة أشهر الى أن قتل فى
سنة ٥٢٤هـ اذ وثب عليه جماعة من الباطنية بالروضة . وقد كان راكبا من
القاهرة الى مصر ، وعبر الجسر الذى بين مصر والروضة ، فلما عبره وثب

- (١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان
٢٩٩/٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٠/٥ .
- (٢) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢١/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة
٤٩٦/٥ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٥ .
- (٣) عرقه : بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ ، وهى آخر
أعمال دمشق . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٩/٤ .
- (٤) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلقة على بلد بانياس بين دمشق
وصور . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٤/٢ .
- (٥) جبيل : بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ منها . انظر
ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٩/٢ .
- (٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٠/٥ ، ابن الأثير : الكامل
٤٧٥/١ ، ٤٧٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٠٠/٥ .

عليه تسعة من الباطنية " وقيل عشرة من أصحاب الحسن بن الصباح " فـضـربـوه
(١)
بـالسـكـاكـين الـى أن مات .

كان مقتل الأمر بداية تطور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية
الباطنية ، ذلك أن الأمر لم يخلف ولدا . يتولى الأمر بعده ، وترك امـرأة
حاملًا ، فاضطرب أهل مصر وقالوا : هذا البيت لا يموت امام منهم حتى يخلف
ولدا . ذكرنا وينص عليه بالامامة ، وكان الأمر قد نص على الحمل قبل موته
ولهذا السبب بويج ابن عمه الحافظ عبدالمجيد بولاية العهد ولم يبايع
بالامامة مستغلا انتظارا لمعرفة ما يكون من الحمل . فوضعت المرأة بنتا
فعندئذ دعا عبدالمجيد لنفسه بالامامة الكاملة ولقب نفسه الحافظ لدين
(٢)
الله وبويج على ذلك .

ولى الوزارة للحافظ أبو على أحمد بن الأفضل ولقب أمير الجيوش ولم
يكن للحافظ معه شيء سوى الاسم فقام بشئون الحكم أحسن قيام ، وأحسن
الى الناس وعاملهم بالخير وأعاد لهم أموالهم المصادرة ، وأظهر
مذهب الامامية وتمسك بالآئمة الاثنى عشر ، وأعرض عن الحافظ وآل بيته
واستمر على هذا الحال الى أن دبر الحافظ عملية قتله ، فخرج الوزير
أبو على الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه ، فكمن له جماعة منهم
مملوك فرنجى كان للحافظ ، فخرجوا عليه ، فحمل الفرنجى عليه فطعنوه
(٣)
فقتلوه .

-
- (١) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦٦٤/١٠ ،
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٩١/٤ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٣٦/٣ ، ٢٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ٢٣٧/٥ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠١/١٥ ، ٢٠٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٧٢/١٠ ، ٦٧٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان
٢٣٦ ، ٢٣٥/٣ .

لما قتل الوزير أبو علي عظم أمر الحافظ فنعت نفسه بالقباب لسم يسبقه اليها أحد، وخطب له بها على المنابر فكان الخطيب يقول : "أصلح من شيدت به الدين بعد دشوره، وأعززت به الاسلام بأن جعلته سببا لظهوره مولانا وسيدنا امام العصر والزمان ،أبا الميمون عبدالمجيد الحافظ لدين الله صلى الله عليه وسلم وعلى آبائه الطاهرين ،حجج الله على العالمين" . وبعد مقتل الوزير أبو علي وزر للحافظ مجموعة من الوزراء لكنهم أساءوا السيرة ولم يحسنوا التدبير فقتلهم الحافظ (١) وتولى الأمر بعد ذلك هو بنفسه الى أن مات .

توفي الحافظ في ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٥٤٤هـ ، وكانت خلافته عشرين سنة الاخمسة أشهر ، وعمره نحو سبع وسبعين سنة . (٢) وولى الأمر بعده بمصر ابنه الظافر بأمر الله .

تولى الظافر بأمر الله الخلافة في مصر وعمره سبع عشرة سنة . وكان أمهر أولاد أبيه سنا ، فكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع الأغاني . وانقطعت دعوته ودعوة أبيه من سائر بلاد الشام والمغرب والحرمين ولم يبق لهم الا اقليم مصر . (٣)

وزر للظافر عدد من الوزراء أولهم ابن مصال ثم ابن السلار ثم عباس ، وكان لعباس هذا ولد جميل اسمه نصر ، فمال اليه الظافر وأحببه حتى اشتغل عن كل أحد بابن عباس ، فسار الناس يتهمون به . فقتل

-
- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٣٨/٥ ، ٢٣٩ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ١٤١/١١ ، ١٤٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٥ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٤ .
 (٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٥ ، ٢٠٣ ، ابن خلكان : وفيه الأعيان ٢٣٧/١ .

عباس لابنه نصر : انك أتلفت عرضك بصحبة الظافر وتحدث الناس في أمركم ما
فاقتله حتى تسلم من هذه التهمة . فدعا نصر الظافر الى داره ليـــــــــــــــــلا
فجاء الى الدار فقتله نصر ودفنه في بئر عند الدار . فلما طلـــــــــــــــــع
الصباح خرج الوزير عباس الى دار الخلافة ودخل القصر فقال لبعض الخدام :
" أين أمير المؤمنين ؟ " فقالوا : " ابنك نصر يعرف أين هو " . ثم
ان الوزير عباس داخل دار الخليفة ، وأخرج الأمير عيسى بن الظافر
وأحضر القضاة وأرباب الدولة وقال لهم : " ان أمير المؤمنين الظافر
نزل البارجة في مركب ، فأنقلب به وغرق ، فولوا ولده عيسى عوضه " .
(١)
فأحضروا له خلعة الخلافة وولوه .

ولما تم لعباس ما أراد من قتل الخليفة وتولية ولده الخلافة
كثرت الأقاويل حتى عرف الناس الحقيقة والخبر الصحيح فأخذوا في اعمال
الحيلة في قتل عباس وابنه نصر ، فكاتبوا الصالح بن رزيك الأرمني
وكان واليا على الصعيد وسألوه الانتصار لهم ولمولاهم ، فأجابهم
الصالح الى ذلك وزحف على القاهرة بقواته حتى أصبح على مشارفها
فاستقبله جميع من بها من الأمراء والأجناد ، أما الوزير عباس فخرج في
ساعته من القاهرة هو وابنه نصر وبعض أنصاره ومعه شيء من ماله
باتجاه بلاد الشام . فكاتبته أخت الظافر الفرنج الذين بعسقلان
واشترطت لهم مالا جزيلا اذا استطاعوا القبض على عباس وابنه ، فخرج
الفرنج على عباس فصادفوه ودارت بينهم معركة بسيطة قتل فيها عباس فأخذ
ماله وأسر ابنه وهرب باقي أصحابه الى الشام . وأرسلت الفرنج نصر بن
عباس الى مصر في قفص حديد فلما وصل تسلم رسول الفرنج المال . أما

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢٨/١ ، ابن العماد : شذرات الذهب
١٥٢/٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٩٦/٥ .

نصر فخلعت أخت الظافر يده. وضرب ضرباً مهلكاً، وقرض جسمه بالمقاريض، ثم
(١)
سلب على باب زويلة حياً حتى مات، ثم أنزل وأحرقت عظامه .

كان مقتل الظافر في المحرم من سنة ٥٤٩ هـ وله اثنتان وعشرون سنة.
وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وتولى الخلافة بعده
(٢)
ولده الفائز عيسى .

بويح الفائز عيسى بالخلافة صبيحة وفاة والده وله من العمر
خمس سنوات وتكفل به الصالح طلائع بن رزيك الذي تولى الوزارة لـ
فساس الأمور ودبر شئون الدولة وظل الفائز في الخلافة لمدة ست سنين
(٣)
توفي بعدها وذلك في عام ٥٥٥ هـ .

تولى الخلافة بعد الفائز ابن عمه العاضد لدين الله أبا محمد
عبدالله وعمره أحد عشرة سنة وولى الوزارة له وتدير شئون دولته
الملك الصالح طلائع بن رزيك وتزوج العاضد ابنة طلائع بن رزيك، وكان
العاضد شديد التشيع متغالياً في سب الصحابة، رضوان الله عليهم
(٤)
وإذا رأى سنياً استحل دمه .

استمر طلائع بن رزيك في وزارة العاضد لكنه أساء السيرة فـ
الرعية وقتل أمراء الدولة ففجر منه العاضد فعزم على التخلص منـ

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/٤٩٢، ٤٩٣، الذهبى : سير أعلام النبلاء
٢٠٦/٢٠٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٣١٠، ابن العماد :
شذرات الذهب ٤/١٥٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٢٩٧ .

(٣) ابن دقماق : الجواهر الثمين ص ٢١٦، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٢٠٧
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٣١٧، ابن العماد : شذرات
الذهب ٤/١٧٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/١١٠، ابن دقماق : الجواهر الثمين ص ٢١٧ .

(١)
فقتله في عام ٥٥٦هـ وولى الوزارة بعده ابنه رزيق بن طلائع . بعد
أن تولى رزيق الوزارة أشار عليه أتباعه بعزل شاور عن ولاية المعيد
وحسنوا له ذلك فبعث اليه كتاب العزل ، فجمع شاور ماعنده من رجال
وسار بهم الى القاهرة لمحاربة رزيق ، فهرب رزيق لما سمع بذلك فقبض
عليه شاور وقتله في سنة ٥٥٨هـ ، وصار شاور وزيرا بعده . وتلقب بأمير
الجيش .

استقر شاور في الوزارة بضعة أشهر فبرز له منازع اسمه ضرغام
جمع ضرغام جموعا كثيرة ونزع شاور في الوزارة حتى ظهر أمره فانهمزم
شاور من أمامه وهرب الى الشام واستولى ضرغام على البلاد وأصبح وزيرا .
(٢)
لجأ شاور في الشام الى الملك العادل نور الدين محمود واستجار به
فبعث معه نور الدين جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر فنزل على
القاهرة وخرج ضرغام لمحاربتهم لكنه قتل فأعيد شاور الى الوزارة ثانيا
مرة وذلك في عام ٥٥٩هـ .
(٣)

بعد أن تولى شاور الوزارة أخذ في ظلم الرعية ومعاملة الخليفة
العاضد معاملة سيئة واستدعى الفرنج أكثر من مرة لأخذ مصر فمسل
العاضد منه وأرسل الى أسد الدين يطلب منه قتل شاور ، فأعمل أسد الدين
هو وملاح الدين الحيلة على شاور حتى قتلوه وأرسل رأسه الى العاضد فولس
العاضد الوزارة الى أسد الدين شيركوه وخلع عليه .
(٤)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٢٧٤/١١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٩٠، ٢٩١/١١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٩٩/١١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٤٠/١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥٢/٥ .

لم يمكث أسد الدين فى الوزارة طويلا حتى وافته المنية بعد شهرين من توليه ، وكان قد أوصى الى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بالوزارة فتولى الوزارة بعده. ولقب بالملك الناصر وذلك فى عام ٥٦٤ هـ .

وعلى يدى الملك الناصر صلاح الدين قوضت دولة الاسماعيلية المستعلية فى مصر ووضع حدا لوجودهم السياسى فيها وذلك فى عام ٥٦٧ هـ وأعاد الخطبة فى مصر للخليفة العباسى المستضى * (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ) وبذلك انقرض هـذا الفرع من الاسماعيلية وهم المستعلية ولم يعد لهم وجود بعد ذلك . وعدد الأئمة المستعلية الذين حكموا مصر هم ستة مرتبين حسب الترتيب الآتى :

- (١) المستعلى بالله أحمد أبو القاسم (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ)
- (٢) الأمر بأحكام الله المنصور أبوعلى (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)
- (٣) الحافظ لدين الله عبدالمجيد أبوالميمون (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ)
- (٤) الظافر بأمرالله اسماعيل أبوالمنصور (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ)
- (٥) الفائز عيسى أبو القاسم (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ)
- (٦) العاضد لدين الله عبدالله أبومحمد (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ)

أما بالنسبة للاسماعيلية المستعلية باليمن فكان لها شأن آخر ورأى فى الامامة مغاير لرأى المستعلية فى مصر . بدأ أمر المستعلية فى اليمن فى عهد الدولة الصليحية فلقد استطاع على بن محمد الصليحي أن يقوم بثورة فى عام ٤٣٩ هـ فى رأس مسار فى جبال حراز أخضع —————

- (١) مسار : حصن عال فى حراز باليمن عظيم الشأن فيه قرى ومزار وموضع فوق مدينة مناخة . . . وهو فى ياقوت بلفظ مشار وهو خطأ ، وقال شاعر على بن محمد الصليحي "الجوبى" فيه :
- كأنا وأيام الحبيب وسرد . . . درادم عفرن الأجل المظفرا
- ولم نتقدم فى سهام ويأزل . . . وببش ولم نفتح مسارا ومسورا
- انظر تعليق المحقق فى هامش (٤) ص ١٠٨ من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ، اليماني : كشف أسرار الباطنية ص ٤٢ .
- (٢) حراز : مخلاف باليمن قرب زبيد . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/ ٢٣٤ .

(١) خلالها قلاع وحصون اليمن لسلطانه . وفى عام ٤٥٣هـ كتب على بن محمد الى المستنصر العبيدى صاحب مصر يستأذنه فى اظهار الدعوة له فى اليمن فآذن له بذلك وخطب الصليحي فى اليمن باسم الامام الاسماعيلى المستنصر واستمر على بن محمد فى فتوحاته حتى دخل مكة المكرمة وضم اليه اقليم الحجاز بكامله واستعد للمسير الى العراق وانتزاعه من أيدي العباسيين ولم تمض سنة ٤٥٥هـ الا وقد استولى على بن محمد الصليحي على اليمن سهله ووعره، وبره وبحره .

لم يلبث أن قتل على بن محمد الصليحي فى عام ٤٥٩هـ وهو فى طريقه الى مكة المكرمة للحج بمدينة المهجم . وتولى الأمر بعده ابنه المكرم أحمد بن على فقام بالأمر بعد والده أتم قيام واستطاع أن يقضى على مناوئى الدولة الصليحية وتوفى المكرم أحمد بن على فى عام ٤٨٤هـ فى ذى جيله ، وجعل وصيته الى الأمير الكبير الداعى سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحي وقد قام بعدة حملات عسكرية على بنى نجاس

-
- (١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ٢٤٧/١ ، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٠١ .
- (٢) يحيى بن الحسن : غاية الأمانى ٢٥٣/١، ٢٥٤، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١١٨، ١١٩، عبدالواسع اليمانى : تاريخ اليمن ص ١٧٢ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل ٥٥/١٠، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٢٦، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٦/١٢ .
- والمهجم : بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٢٩/٥ .
- (٤) ذى جيله : مدينة باليمن تحت جبل صبر وتسمى ذات النهرين . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٦/٢ .

(١) بزبيد، منها معركة الكضائم سنة ٤٨٤هـ والتي قتل فيها القاضي عمران بن المفضل، وتوفى سبأ بن أحمد فى سنة ٤٩٢هـ فى حصنه أشيخ ودفن به .
(٢) (٣)
وتولت الحكم بعده السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية وحكمت مايقارب نصف قرن ضربت فيه أروع الأمثال من الحزم والشجاعات والحكمة والعدل، وفى عهد حكم السيدة الحرة توفى امام الاسماعيليين المستعلية فى مصر الأمر بأحكام الله ولم يكن له ولد، فتولى الامامة بعده ابن عمه الحافظ لدين الله فرفض الصليحيون الاعتراف بالحافظ لأن الامامة فى العقيدة الاسماعيلية تنتقل من الآباء الى الأبناء وهذا مناف للعقيدة الاسماعيلية ومن ثم ليس للحافظ حق فى الامامة . وزعم الصليحيون أن احدى زوجات الأمر كانت حاملا، ووضعت طفلا ذكرا اسمه الطيب بن الأمر، فالامامة اذا لهذا الطفل الذى خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه عن الحافظ وأرسله الى الملكة الحرة أروى الصليحية باليمن وهذه الملكة أخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه فى تولى شئون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقبا (كفيلة الامام المستور الطيب ابن الأمر) ومن هذا التاريخ انفصلت الاسماعيلية المستعلية فى اليمن عن اسماعيلية مصر وأوجدوا لهم دعوة جديدة : هى الدعوة الطيبية نسبة

-
- (١) بنى نجاح : نسبة الى زعيم حبشى اسمه نجاح، وهم أصلا من الحبشة وكان نجاح هذا يحكم الأقاليم الشمالية فى اليمن، فقدم الى زبيد بجموع عظيمة فاستولى عليها وهزم مناوئيه فيها وقتلهم وبدأ فى تأسيس دولة هناك فى عام ٤١٢هـ وهى الدولة التى حملت اسمه (بنى نجاح) ولقب بالمويد ناصر الدين .
انظر المجلة التاريخية المصرية ص ١٠٩، مجلد ٨ لعام ١٩٥٩ م .
(٢) أشيخ : اسم حصن منيع عال جدا فى جبال اليمن . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٠٢/١ .
(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٨/١ - ٢٧٩، أحمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٠٥، ٢٠٦ .

(١)

الى الطيب بن الأمر .

ويقول الدكتور كامل حسين : وفى اعتقادى أن قصة الطيب هذه أقرب الى الأساطير الخيالية منها الى الواقع التاريخى ، فان أحدا من المؤرخين لم يذكر وجود الطيب بن الأمر الامانراه فى كتب دعائه . أما ما يقال عن وجود سجل وجه الى الملكة الحرة من الأمر قبل مقتله فأنه سجل موضوع قصد به الباس القصة ثوب الحقيقة حتى يتسنى للصليحيين ومن تبعهم الاعتقاد بحقيقة امامة الطيب ، والصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية هم وحدهم الذين تحدثوا عن الطيب ، بينما سكت المؤرخون عنه فلم يذكروا حتى مجرد اسمه فى كتبهم ، بل أجمع المؤرخون على أن زوجة الأمر التى كانت حاملا عند موته وضعت أنثى . (٢)

وفى الحقيقة أن قصة الطيب هذه قصة خيالية ليس لها أى سند تاريخى وقصد الصليحيون من وراءها صبغ انفصالهم عن الاسماعيليين . مصر بمصبغة شرعية . ومنذ ذلك الحين أصبح الصليحيون منفصلين عن مصر دينيا وسياسيا وجمعت الملكة الحرة أروى فى يدها السلطتين الدينيّة والسياسية بصفتهما كافلة للإمام المستور الطيب بن الأمر . واستمرت الملكة الحرة فى حكمها ملتزمة بتعاليم الاسماعيلية الى أن توفيت فى عام ٥٣٢هـ . وبوفاة الملكة الحرة ، انتهى حكم الصليحيين وانقرضت دولتهم .

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٥٠ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٥١، ٥٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٩٥/١ .

نهجت الدولة الصليحية نهج الحركات الباطنية فعملت على ارساء قواعد المذهب الباطنى ، فقد كشف أحد علماء السنة فى اليمن العالم محمد بن مالك اليمانى الذى كان معاصرا لازدهار دولة الصليحيين ماكشف عن انحرافهم وتعاليمهم الباطنية ، فقد انخرط محمد بن مالك فى سلك أتباع هذه الدولة وصور من الداخل حقيقة أمرهم . فقال عن الوالى الصليحي على بن محمد الذى كان معاصرا له : " ان له نوبا يسميهم الدعـاة المأذونين وآخرين يلقبون بالمكـلبين ، تشبيها لهم بكـلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحـبائل ويخدعون من يقع فى حـبائلهم بروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه ، وينهجون النهج الباطنى القائم على نظرية الظاهر والباطن . فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة ، وكذلك الصلاة من صلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار . ويبينون له كذلك ان لكل شىء ظاهرا وباطنا وفقا لقوله تعالى : " وذروا ظاهر الاثم وباطنه " ، وقوله : " قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن " (٢) . والظاهر ماتساوى به الناس وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصص علم الناس عن العلم به فلا يعرفه الا القليل ، ومن ذلك قوله تعالى : " وما آمن معه الا قليل " (٣) ، وقوله : " وقليل ما هم " (٤) فالأقل من الناس الذين لا عقول لهم . (٥)

(١) سورة الأنعام : آية ١٢٠

(٢) سورة الأعراف : آية ٣٣

(٣) سورة هود : آية ٤٠

(٤) سورة ص : آية ٢٤

(٥) محمد بن مالك اليمانى : كشف أسرار الباطنية ص ١٢، ١١ .

ويقول : الحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربتة ومخالطته والركون الى قوله " أى على بن محمد الصليحي " فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويفلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه (١)
قد قرب كشف مانحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية .

ويستطرد محمد بن مالك فى الحديث عن الصليحي وكشف مذهبه الباطنى فيقول أن الصليحي ومن على مذهبه يدعون الى ناموس خفى كل جهول غبى بعهود مؤكدة ، ومواثيق مغلظة مشددة ، على كتمان ما بويح عليه ودعى اليه وانه لا يكشف لهم سرا ولا يظهر لهم أمرا . ثم يطلعه على علوم مموهة وروايات متشابهة . يدعوه فى بدء الأمر الى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها باطل ، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا انقاد له وطاوعه أدخله فى طريق المهالك تدريجيا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفا وتعويجا وأقوال مزخرفة الى أن يلبس عليه الدين ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره ابطال الشرائع وتحليل جميع المحارم ، فسارع اليه من لم يكن له بالشروع معرفة فحرم الحلال وأحل الحرام وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج الى بيت الله الحرام . (٢)

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

ثالثا : النصيرية .

النصيرية هي إحدى الحركات الباطنية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري وهي تنسب إلى محمد بن نصير البصري النعميري وهو فارسي الأصل ويكنى بأبي شعيب . وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، وزعم ابن نصير أنه الباب إلى محمد ابن الإمام الحسن العسكري ، أي وكيله وممثله . ومرجعا للناس من بعده ، ثم ادعى أنه رسول الله ونبي من قبل الله تعالى ، وأنه أرسله على بن محمد بن الرضا ، وجحد امامة الحسن العسكري وامامة ابنه . وادعى بعد ذلك الربوبية ، وقال بآباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه أحد الشهبوات والطيبات .^(١)

أما بالنسبة لعقائد النصيرية فهي تتمثل في مبادئ أهمها : أنهم يؤلهون على بن أبي طالب رضي الله عنه ويقولون بأن على حلت في الله . الألوهية وذلك بقولهم أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من على رضي الله عنه . وبعده أولاده . المنصوصون هم خير البرية ، فظهر الحق بصورتهم ، ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم ، فعن هذا أطلقنا اسم الألوهية عليهم .^(٢)

وللأئمة عند النصيريين ميزات خصومية يمتازون بها عن بقية البشر ويقولون : بأن أفعالهم وأقوالهم منطبقة على الإرادة الإلهية انطباقا .

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٣ ، ابن الحديد : شرح نهج البلاغة .

١٢٢/٨ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ابن حزم : الفصل في الملل

والأهواء والنحل ٥/٥٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٢٤٩/١٣ .

تاما . . وهم معصومون . لأن الخطايا رجس . . . وقد قال تعالى : " ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت " ^(١) فهم لذلك مصدر الارادة . الالهية فى أفعالهم
وأقوالهم . والامام عندهم أعلى منزلة من النبی ، لأن الأنبياء يوحى
اليهم بواسطة جبريل ، والأئمة يكلمون الله تعالى بغير واسطة ويأتيهم
الالهام الربانى . والأئمة فى اعتقاد النصيريين لا يولدون كغيرهم من
بنى البشر بل يولدون بكيفية خاصة لا يزاحمهم فيها غيرهم ^(٢) .

ومن عقيدتهم تعظيم الخمر ويرون أنها من النور باعتبار أن الخمر
خلق من شجرة النور وهى العنب ، فلذلك هم يعظمون شجرة العنب التى هى
أصل الخمر حتى انهم استعظموا قلعها ^(٣) .

أما عن موقف النصيرية من الصحابة فهو موقف العداء . والحق
واعتبارهم أبالسة ظالمين لعلی ، وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ، فيصبون
اللعنات والشتائم عليهم ويلعنون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وولديها الحسن والحسين ويسبونهم بأقذع السباب ، ويقتذفونهم بكل
بلية ، ويقطعون بأنهم وابنيها رضى الله عنهم شياطين تصوروا فى صورة
الانسان . ويعتبرون سب وشتم أبى بكر وعمر وعثمان من الفرائض الدينية ^(٤)
والجهاد . وهم يعظمون ويقدرون عبدالرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى ^(٥)

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣

(٢) محمد الطويل : تاريخ العلويين ص ١٨٢ - ١٨٥ ، عبد الله الأمين : دراسات

فى الفرق ص ١٠٧ ، ١٠٨ . سليمان الحطبي : طائفة النصيرية ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٢٥٠/١٣ ، عبدالرحمن بدوى : مذاهب

الاسلاميين ٤٤٢/٢ ، محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٦٩ .

(٤) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥/٥٠ .

(٥) الحسينى عبد الله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٦٤ نقلا

عن الباكورة السليمانية لسليمان الأدنى ، عبد الله الأمين : دراسات

فى الفرق ص ١١٣ .

طالب رضى الله عنه ، ويعتبرونه أفضل الناس لأنه خلص اللاهوت من الناسوت بقتله ، وبذلك تخلص اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره ، ويخطئون من يلعنه .^(١)

أما فيما يتعلق بالجانب العبادى فالنصيريون يصلون فى خمسة أوقات . إلا أنها تختلف فى الأداء وفى عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية فأول وقت للصلاة المفروضة هو الظهر وتتألف من ٨ ركعات والثانى العصر ويتألف من ٤ ركعات ، والثالث المغرب ويتألف من ٥ ركعات ، والرابع العشاء ويتألف من ٤ ركعات ، والخامس الفجر ويتألف من ركعتين . وملازمتهم ليس فيها سجود وان كان فيها ركوع أحيانا . كما وانهم لا يصلون الجمعة ولا يعترفون بها كفريضة . ولا يتمسكون بالطهارة قبل أداء صلواتهم — وضوء ورفع جنابة .^(٢)

أما الزكاة عندهم فهم يفسرونها تفسيرا باطنيا يختلف عن معناها عند المسلمين ، ويقومون بدفع ضريبة الى مشايخهم ومقدارها خمس ما يملكه كل فرد من أفراد الطائفة ، من عروض التجارة والمواشى والمحاصيل الزراعية وحتى من مهور بناتهم . والصيام ليس امتناعا عن الأكل والشرب بل هو امتناع عن معاشره النساء فقط طوال شهر رمضان . ولا يعترفون بفريضة الحج بل يعتبرون الحج الى بيت الله الحرام كفرا وعبادة أصنام .^(٣) اما بالنسبة لأعيادهم فهى خليط من أعياد عدة ديانات مختلفة فهم يحتفلون بعيد الميلاد ويقدمون فيه النبيذ ويحتفلون برأس السنة وبعيد البربارة ، والغطاس ، والشعانين ، والعنصرة ، ومريم المجدلانية ، ومن الأعياد

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٢٥٠/١٣ ، ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥٠/٥ .

(٢) سليمان الحلبي : طائفة النصيرية ص ٥٧ ، ٥٨ ، عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ٤٨٧/٢ .

(٣) سليمان الحلبي : طائفة النصيرية ص ٦٦ ، ٦٥ .

الفارسية يحتفلون بالمهرجان والنيروز . ويحتفلون أيضا بعيد الفطر وعيد الأضحى ، ويحتفلون به فى الثانى عشر من ذى الحجة ، بينما سائر المسلمين يحتفلون به فى العاشر من ذى الحجة . ومن أعيادهم عيد الغدير وعيد عاشوراء ، وعيد الغدير الثانى " يوم المباهلة " وعيد الميلاد وعيد ليلة النصف من شعبان وعيد الفراش أى ليلة مبيت على فى الفراش مكان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .

توالى على زعامة الطائفة النصيرية عدد من الزعماء ، فبعد موت محمد بن نصير النميرى عام ٢٧٠هـ تولى زعامة الطائفة عبدالله بن محمد الجنان الجنبلى نسبة الى بلدة جنبل فى العراق العجمى وكان ذا علم وفلسفة وزهد وتصوف فأسس الطريقة الجنبلىة الصوفية ومن هنا غلبت الصوفية على أفكار الطائفة النصيرية . ولكن لم يلبث أن توفى الجنبلى فى عام ٢٨٧هـ فتولى زعامة الطائفة من بعده تلميذه حسين بن حمدان الخصيبى الذى كان يقول بالتناسخ والحوال ، وترك الخصيبى مدينته جنبل وقصد العراق ثم حلب حيث استقر فيها على مقربة من سيف الدولة الحمدانى الذى استمد منه القوة لنشر أفكاره مما ساعده على تشييع الدعوة النصيرية فكان الخصيبى ألمع رؤساء النصيرية وأكثرهم أثرا فى مذهبهم ساعده على ذلك ذكاؤه وطول عمره ، حيث عاش مايقرب من ٩٨ عاما وقدرته على التأليف فى المذهب وتطويره حتى كان يلقب بشيخ الدين .

-
- (١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٤ ، سليمان الحلبي : طائفة النصيرية ص ٧١ - ٧٤ ، عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٥٨/٢ - ٤٦٢ عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٠ ، ١٢١ .
- (٢) ابن حجر : لسان الميزان ٢٧٩/٢ ، ٢٨٠ .
- (٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

بعد وفاة الخصيبى عام ٣٥٧هـ تولى بعده عدد من الرؤساء لم يبلغوا منزلته وشهرته مثل السيد محمد بن على الجلى، وآبى سعيد الميمون الطبرانى نسبة الى مدينة طبرية بفلسطين وآبو حسن الطرسوسى المغيرة (١) وآبو حسن الطرسوسى الكبير .

ظل النصيريون على هذا الحال يتقلبون فترات تحت زعامات قوية وفترات تحت زعامات ضعيفة حتى نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجرى حيث ازدادت هجمات الأكراد السنيين على المناطق النصيرية بسبب معتقداتهم الفاسدة وممالئتهم للأعداء فلم يجد النصيريون بدا من طلب العون والمدد من الأمير حسن بن يوسف المعروف بالمكـزـون (٢) السنجارى فهب لنجدتهم سنة ٦١٧هـ فى جيش قوامه ٢٥ ألف فارس ولكنه منى بالهزيمة أمام الأكراد، ومالبت أن عاد مرة أخرى لنجدة النصيريين وذلك فى عام ٦٢٠هـ فى جيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل فاستطاع أن ينزل الهزيمة بالأكراد أعداءه وأعداء طائفة، وأن يحقق عليهم النصر فقسم الأراضى على أبناء طائفته ونظم أمورهم، وأمن أحوالهم . (٣)

وقامت فيما بعد محاولات كثيرة من زعماء المسلمين لاصلاح هذه الطائفة وارجاعها الى طريق الاسلام الصحيح، وأول محاولة فى ذلك قام بها صلاح الدين الأيوبي بعد دخره للصليبيين حيث حاول اصلاحهم ببناء المساجد واقامة الصلاة والصيام وغيرها من الفروض الاسلامية، فأطاعوه ولكن بعد

(١) محمد الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، مصطفى الشكعة :

اسلام بلا مذاهب ص ٣٢٢، ٣٢٣ .

(٢) نسبة الى سنجار مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعاً والمفترق مقعاً .

ص ٢٥٤ .

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٢٣، ٣٢٤، محمد الطويل : تاريخ

العلويين ص ٣١٠ .

وفاته عادوا الى ماكانوا عليه من معتقدات وخرّبوا المساجد وجعلوها
(١)
زرائب للحيوانات .

ويروى الرحالة ابن بطوطة الذى زار بلاد الشام فى القرن الثامن
الهجرى بما فيها مناطق النصيرية فقال : " وأكثر أهل هذه السواحل
هم الطائفة النصيرية ، الذين يعتقدون أن على بن أبى طالب اله . وهم
لا يصلون ولا يتطهرون ولا يمسحون ، وكان الملك الظاهر (الظاهر بيبرس) ألزمهم
ببناء المساجد بقراهم ، فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة
ولا يدخلونه ، ولا يعمرونه ، وربما أوت اليه مواشيهم ودوابهم ، وربما وصل
الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له : لاتنشق علفك
(٢)
يأتيك " .

ظل النصيريون على هذا الحال من فساد فى المعتقد الى مواقف
معادية لأهل السنة مماثلة لأعدائهم ، مما سبب الضعف داخل المجتمع المسلم
وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين الغاصبين لأرض المسلمين فهم دائما كما
(٣)
قال عنهم الامام ابن تيمية مع كل عدو للمسلمين .

(١) محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ٦٥/١ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ١٥٠/٣٥ .

رابعاً : الدروز .

الدروز فرقة اسماعيلية باطنية ادعت ألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وهم يعتبرون أنفسهم ومنذ ألف سنة مضت في دور الستر وهم شديداً التكتم على عقائدهم ولا يعبرون عنها الا بطريق الرموز والكتابة كآسرار الماسونية وطريقة الجمعيات السرية ، حفظا على كتم أسرارها من الافتتاح .^(١)

وهناك ثلاثة أشخاص تنسب الى كل منهم بداية هذه الدعوة وهم : حمزة بن أحمد الزوزنى ويعرف باللباد ، وحسن بن حيدرة الفرغانى المعروف بالأخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين . والمعلومات حـ^(٢) هؤلاء الأشخاص الثلاثة قليلة جداً ومضطربة ، الأمر الذى أدى الى غموض وخلاف حول مصدر الدعوة وأول من بدأ بها .^(٣)

-
- (١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٦١ ، حنا أبى راشد : جـ^١ الدروز ص ٤١ ، محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٣ .
- (٢) هناك خلاف بين المؤرخين على كلمة (درزى) وهل هى بضم الدال وسكون الراء أم بفتح الدال والراء كليهما . والسبب أن هناك خلاف حول الشخص الذى ينسب اليه الدروز هل هو محمد بن اسماعيل نشتكين الدرزى بفتح الدال المشددة والراء وهو الذى نشر الدعوة فى وادى التيم أم هو أبو منصور أنوشتكين الدرزى ، بضم الدال المشددة وسكون الراء وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله . ويقال أن الطائفة تنسب الى هذا الأخير دون الأول ، وهم يلعنون نشتكين ويجلون أنوشتكين .
- انظر : مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٥٨ .
- (٣) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٥٩٣/٢ .

وفد حمزة بن على الزوزنى الى مصر عام ٤٠٥ هـ ، وانتظم فى سلك دعاة
الفرس الذين كانوا يختلفون الى دار الحكمة التى أسسها الحاكم عام ٣٩٥ هـ
وأخذ ينشر فى الخفاء الدعوة الى تأليه الحاكم ، وصنف كتابا ذكر فيه
أن روح الله تعالى حلت فى آدم عليه السلام ثم انتقلت الى على بن أبى
طالب ، وأن روح على انتقلت الى العزيز ثم الى ابنه الحاكم ، فالحاكم
(١)
إذا لها عن طريق الحلول .

اتصل بحمزة بعض الدعاة الذين آمنوا بفكرته وعلى رأسهم حسن بن
حيدرة الفرغانى الأخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذى كانت له ميسول
يهودية مجوسية . فكان أكثر الأنصار حماسا لفكرة تأليه الحاكم هو الحسن
الأخرم ، فقربه الحاكم اليه وخلع عليه ، فجهر الأخرم بدعوى ألوهية الحاكم
وخرج فى خمسين من أصحابه على دوابهم وقصدوا جامع عمرو بالقاهرة وسلموا
الى القاضى فى الجامع فتوى صدرت "باسم الحاكم الرحمن الرحيم" ، فأشار
الأخرم بذلك حنق السنيين فوشب عليه رجل من أهل السنة فقتله وقتل معه
(٢)
ثلاثة من أتباعه .

أما محمد بن اسماعيل الدرزى فقد قدم الى مصر عام ٤٠٨ هـ فقربه
الحاكم وفوض الأمور اليه ، وبلغ منه أعلى المراتب ، بحيث أن السوزراء

-
- (١) حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٣٤ . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام
السياسى ٢٥٩/٤ ، ٢٦٠ ، مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٨٣/٤ ، محمد كامل حسين : طائفة
الدروز ص ٧٥ ، مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ .

والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابيه ولا ينفض لهم شغل الاعلى بيده
(١) وكان قصد الحاكم أن تنقاد الحاشية والوزراء الى الدرزي فيطيعونه .

اتصل محمد بن اسماعيل الدرزي بحمزة بن علي وعمل معه على رسم خطط
الدعوة ، ولم يكتف الدرزي بهذا بل لقب نفسه بلقب سند الهادي أي سند
(٢) حمزة ، لأن الهادي هو حمزة .

أخذ الدرزي يحسن للحاكم فكرة ادعاء الألوهية ويبدو أن الحاكم
وافقه سرا وترك له اعلان هذا الأمر ، فما كان من الدرزي الآن أعلن الدعوة
الى تآليه الحاكم بالجامع الأزهر بالقاهرة . فثار عليه الناس
وأرادوا الفتك به ، فأعلن الحاكم البراءة منه ومن دعوته ، ولكن فـى
نفس الوقت وفر له الحماية وسهل له الفرار الى وادي التيم في الشام
فقام ببث الدعوة بين أهل تلك المنطقة فلقى منهم استجابة ، ويقـال
أن الحاكم هو الذى نصح الدرزي بالرحيل الى هذه المنطقة في الشام
(٣) وأعانه بالمال .

من هذا يتبين لنا أن الدروز ينتسبون تسمية الى محمد بن اسماعيل
الدرزي ، بينما يعتبر حمزة بن علي الزوزنى هو المؤسس الحقيقي وواضح
متن وقواعد عقيدة الدروز وقوامها التناسخ وحلول الأرواح ، وقام حمزة
(٤) بدوره في استغلال الدرزي والحسن الأخرم في الدعوة لأفكار العقيدة الدرزية .

-
- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٤/٤ .
 - (٢) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٧٣ ، محمد عبدالله عنان : الحاكم
بأمر الله ص ٣٢٠ ، أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٦٣ .
 - (٣) ابن تيمية : الفتاوى ١٦١/٣٥ ، أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٦٤ ، ٢٦٣ .
 - محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٧٧ .
 - (٤) محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٣٢١ ، حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٥٦ ، حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٣٥ .

أما أمل عقيدة الدروز فجذورها تتكون من مزيج من العقائد القديمة ومن الحكمة في اليونان وعبادات إيران والهند، وربما أيضا في مصر القديمة التي شهدت أمثال أمحوتب الذي عاش حوالي سنة ٢٩٠٠ ق م الذي بلغ من الحكمة ما جعله يرفع إلى مصاف الآلهة . وفي إحدى المخطوطات العربية المنسوبة لحمزة بن علي إمام الدروز ، ورد ذكر هذا الحكيم المصري ممجدا معظما مرات عديدة .^(١)

وعقائد الدروز تدور كلها حول تأليه الحاكم من ناحية وابطال الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ، ويعتقد الدروز أن الحاكم هو الصورة الانسانية للاله ، ويعطونه من ثم كل صفات الله تعالى ، وقد أثبت الدروز هذا التصور للحاكم والتوجه له بالعبادة والطاعة فيما يعرف عندهم "بميثاق ولي الزمان" الذي يؤخذ على كل من يدخل ديارهم بأن يصـرح ويقول : " توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عـن الأزواج والعدد، أقر فلان بن فلان اقرارا أوجبه على نفسي ، وأشهد به على روحه في صحة عقله وبدنه وجواز أمره طائعا غير مكره ولا مجبر، أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان على اختلافاتها، أنه لا يعترف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره، وأنه لا يشرك في عبادته أحدا مـضى أو حضر أو ينتظر . . . وينتهي إلى أن من اعتقد أو أقر أنه ليس فـي السماء اله معبود ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين " .^(٢)

(١) سامي مكارم : أضواء على مسلك التوحيد ص ١٠٠ .

(٢) محمد عنان : الحاكم بأمر الله ص ٤٠٣ ، مصطفى الشكعة : اسلام بلامذاهب

ص ٢٧٤، ٢٧٥ ، احسان الهى ظهير : الاسماعيلية ص ٧٣٠، ٧٣١ .

ومن عقائد الدروز التقمص أو التناسخ ، فيعتقدون أن النفس لا تموت بل يموت قميصها وهو الجسم البشرى فتنتقل الروح منه الى جسم بشرى آخر يولد حديثا فتحل فيه ، وعقيدة التناسخ عند الدروز تعتمد على نظرية أن العالم لايزيد ولا ينقص ، فكلما مات انسان ولد آخر لتحل فيه روح المتوفى قبله وهكذا .^(١)

أما عن عقيدتهم في اليوم الآخر "القيامة" والجنة والنار، فهم يرون أن اليوم الآخر هو يوم ظهور الحاكم بأمر الله وهو اليوم الذى يظهر فيه مذهب عقيدة التوحيد على كل المذاهب والأديان ، ويضطر المخالفون لعقيدة التوحيد أن يتحولوا عن دينهم بحد السيف ، وموعد هذا اليوم مجهول ، كما تقول رسائل الدروز ، أما علامة قرب هذا اليوم هو عندما يرى الملوك يملكون حسب مآربهم وأهوائهم الشخصية ولا يعدلون بين الرعية ويتسلط المسيحيون واليهود على البلاد ، ويستسلم الناس الى الآثام والفساد والآراء الفاسدة . من هذا يتضح أن الدروز يعتقدون أن يوم ظهور الحاكم بأمر الله بعد الغيبة واستلامه مقاليد السلطة هو يوم القيامة وان العلامات التى جعلوها لهذا اليوم بعضها مقتبس من العقيدة الاسلامية ولكن مع تحريف شديد بما يتناسب مع أهوائهم .^(٢)

والجنة عندهم هي الايمان بالتوحيد ، وثمارها المعرفة الحقيقية والنار هي رفض التوحيد أى الشرك والاتكال على العدم .^(٣)

(١) عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٤٦، ١٤٧، سامى مكارم : أضواء

على مسلك التوحيد ص ١٢١، ١٢٢، حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٤٤ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ١٢١، أحمد الفوزان : أضواء

على العقيدة الدرزية ص ٥٦، ٥٧ .

(٣) أنور يامين : بين العقل والنبي ص ٣٤٥، ٣٤٦، الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٩ .

وللدروز رسائل يعارضون فيها بسخرية ماورد من ذكر لأوصاف الجنة والنار، فالجنة عند الدروز روحانية خالصة تقوم السعادة فيها على التوحيد، وهى فى نظرهم الدعوة الهادية المهدية وأشمارها العلوية. الالهية الحقيقية التى بها يتخلص الموحدون من جهلهم من داء الشرك. أما النار عندهم فهى غلبة الشقوة وهوى النفس البهيمية الغالب عليها الجهل. وباختصار فالجنة عند الدروز هى الايمان بالتوحيد والنار هى رفض التوحيد، أى الشرك والاتكال على العدم والشرعية (١).

أما بالنسبة لموقفهم من العبادات الاسلامية فهم يزعمون أن الشرائع كلها منسوخة. وبالتالى فان تكاليفها قد سقطت عن الناس فلا صلاة ولا صيام ولا زكاة. بل ان الدروز قد أولوا هذه الشعائر تأويلا يخدم مذهبهم الفاسد، فالصلاة لاتشير الى الصلاة المعمودة فى الشرع، بل تعنى صلاة قلوب الدروز بتوحيد الحاكم وزعموا أن الحاكم النهم لم يزل مدة طويلة وكان لا يصلى الجمعة ولا صلاة الجنائز ولا العيدين، واستدلوا بقوله عليه السلام: " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " فذكروا أن أبا بكر وعمر هما الفحشاء والمنكر (٢).

والزكاة تشير عند الدروز الى توحيد الحاكم وتركية القلب وتطهيره فى الحالتين جميعا " الظاهر والباطن " وترك ماكان الانسان عليه قديما وفسروا قوله تعالى: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا معا تحبون " بأن البر

أنور ياسين: بين العقل والنبي ص ٣٤٣ - ٣٤٦، أحمد الفوزان: أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥٨. محمد الخطيب: عقيدة الدروز ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) حمزة بن على: رسائل الحكمة - رسالة رقم ٤١ ص ٣١٦، عبدالرحمن بدوى: مذاهب الاسلاميين ٧١٧، ٧١٦/٢.

هو توحيد الحاكم ونفقة ماتحبون الظاهر والباطن ، ومعنى نفقة الشئ : تركه
(١)
لأن النفقة لا ترجع الى صاحبها أبدا .

والصوم عندهم معناه الامتناع عن الرفث ومعنى ذلك أنه يجـوز
الأكل والشرب مع الصوم ، وهو عشرة أيام في ذى الحجة تنتهى بالعيـد
ويفسر الصوم عندهم أيضا بالصمت وكتمان العقيدة . عن غير أهلها .
(٢)

أما الحج فالدروز لا يعتبرونه فرضا ولا يؤمنون بمناسك الحج ويسفـهونها
ويرون فيها ظاهرة وثنية ويقولون بأن مولاهم الحاكم قطع الحج سنيـن
عديدة وقطع عن الكعبة كسوتها . وقطع الكسوة عن الشئ يقصد منه كشفه
وهتكه ، فالمراد من قطع كسوة الكعبة بيان أن المراد في غيرها وأن ليس
فيها منفعة .
(٣)

لم يقف الدروز عند هذا الحد من تعطيل الشرع وتأويل العبادات
تأويلا يتفق وأهواءهم بل اتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها اسم الفرائض
التوحيدية ، وهى معرفة البارى وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء ثم
معرفة الامام قائم الزمان وهو حمزة بن على وتمييزه عن سائر الحدود
ووجوب طاعته طاعة تامة ، وقالوا ان المولى قد أسقط عن الموحدين سبـح
دعائم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع خصال توحيدية هى :
أولا : صدق اللسان ، ويشترطون الالتزام به فى دائرة الدروز فقط
وهو عوض الصلاة .

(١) عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧١٨/٢ ، محمد الخطيب : عقيدة
الدروز ص ٢٢٤ .

(٢) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩ ، محمد الخطيب : عقيدة
الدروز ص ٢٢٤ .

(٣) عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧٢٢/٢ ، الشكعة : اسلام بلا مذاهب
ص ٣٠٩ ، محمد الخطيب : عقيدة الدروز ص ٢٢٥ .

- ثانيا : حفظ الاخوان ،ويقصد به حفظ الدروزي أخاه في المعتقد — وهو عوض الزكاة .
- ثالثا : ترك ماكان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العدم .
- والبهتان ،وهو عوض عن الصوم .
- رابعا : البراءة من الآبالسة والطغيان ،آى من الأنبياء السابقين ومن كل الأديان والشرائع ،وهذا عوض الحج .
- خامسا : التوحيد للمولى " آى للحاكم " في كل زمان ودهر — وأوان ،وهو عوض الشهادتين .
- سادسا : الرضا بفعله " آى الحاكم " كيفما كان ،وهو عوض الجهاد .
- سابعا : التسليم لأمره في السر والحدثان ،وأنه يجب أن يعلم كل واحد أن المولى يراه حيث لايرى (١) .
- هذا هو حال الدروز في معتقدهم ،والحال يغنى عن الجواب ،وسنرى كيف كان موقف الدروز السلبي من الصليبيين أحيانا والمتعاون معهم أحيانا أخرى ،مما سبب تمدعا في الجبهة الاسلامية ،وعرقلة للجهد — ضد الصليبيين .

أفرياسين: بين العقل والنبي ص ٣٥٥ - ٣٦٦ ،كامل حسين : طائفة الدروز ص ١١٨ ،
(١) ١١٩ . عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧٢٩/٢ ،أحمد جلى : دراسة
عن الفرق ص ٢٧٩ ،حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٤٣ ،٤٢ .

المبحث الثاني

مناطق نفوذ هذه الحركات

عملت الحركات الباطنية منذ نشوئها على اتخاذ مراكز حصينة لها تتحصن بها من أعدائها، وتنطلق منها لنشر أفكارها ومبادئها بين الناس، فركزت على القلاع والحصون لمناعتها وكثرة تحصيناتها وصعوبة مهاجمتها من قبل المناهضين لها، فحاولوا الاستيلاء على القلاع والحصون المهمة في بلاد فارس والشام فكانت أول قلعة ملكتها الباطنية النزارية في بلاد فارس قلعة يقال لها الروذبارد من نواحي الديلم، وكانت لأحد أصحاب السلطان ملكشاه، وكان نائبه بها يرى رأى الباطنية، فأعطاه (١) الحسن بن الصباح زعيم الباطنية ألفاً ومائتي دينار فسلمها إليه . واستطاع الباطنية النزارية فيما بعد أن يستولوا على عدة حصون وقلاع كانت كالخناجر في قلب الدولة الإسلامية، نال المسلمون منها الضرر العظيم، فقد استولوا على قلعة أصبهان، وهذه القلعة بناها السلطان ملكشاه، وكان سبب بنائها أنه كان قد جاء رجل من مقدمى الروم إلى السلطان فأسلم وسار معه يوماً إلى الصيد، فهرب منه كلب حسن الصياد وصعد الكلب إلى جبل عال، فتبعه السلطان والروم معه، فوجد الكلب موضع القلعة، فقال له الرومى : لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصناً. ننتفع به، فأمر ببناء القلعة ثم عين عليها دزداراً، وحصل أن اتصل

(١) ابن واصل : التاريخ العناني، مخطوط، ورقة ١٧٠ أ .

(٢) دزدار : فارسية معناها حاكم حصن أو حارس قلعة . انظر عبدالنعيم حسنين : قاموس الفارسية ص ٢٤٧، وانظر أيضاً النويري : نهاية

الأرب ٣٦٢/٢٦ حاشية رقم (١) .

بالدزدار أحمد بن عطاش مقدم الباطنية، وكان الباطنية قد ألبسوه تاجاً
وقدموه عليهم مع جهله، ووثق الدزدار بابن عطاش وقلده بعض الأمور فى
القلعة، فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها، فذاق المسلمون
منه الويلات الكثيرة، فكان الناس يقولون : ان قلعة يدل عليها كليب
(١)
ويشير بها كافر، لابد وأن يكون خاتمة أمرها شر .
(٢)
ومن قلاع الباطنية المشهورة قلعة آلموت الحصينة عاصمة دولتهم
البنزارية فى بلاد فارس والتي استطاع الحسن بن الصباح أن يستولى عليها
بعد رجوعه من مصر عقب مقابلته للامام الاسماعيلى المستنصر بالله
(٣)
فاستولى عليها بحيلة ماهرة، وذلك فى عام ٤٨٣ هـ .
(٤)
ظل الباطنية يتوسعون وينتشرون فى كل مكان، حتى أصبحوا لا تكاد
تخلو منهم قرية ولا مدينة فاستفحل أمرهم وعظم خطبهم، وكثروا بالعراق
وأصبيان والجبل، وملكوا القلاع وقويت شوكتهم، وكثر الباطنية على وجه
(٥)
الخصوص فى آمد حتى أن أهل آمد ضاقوا بهم ذرعا فألبوا عليهم العسكر

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٥/١٠، ٣١٦، ابن كثير : البداية والنهاية

١٦٧/١٢، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٤/٢ .

(٢) هى من نواحى قزوين قيل أن ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التمسيد

فأرسل يوماً عقاباً، وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده

موضعا حصينا، فأمر ببناء قلعة عليه، فسموها آله موت، ومعناها

بلسان الديلم : تعليم العقاب، ويقال لذلك الموضع وماجاورة

طالقان . انظر : ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠، أبو الفدا : المختصر

٢١٤/٢ .

(٣) انظر ما سبق ص ٣٤، ٣٣ .

(٤) أبو الفدا : المختصر ٢٠٠/٢، القلقشندى : صبح الأعشى ١٢٠/١ .

(٥) الذهبى : دول الاسلام ٢٣/٢، الذهبى : العبر فى خبر من غير ٣٦٥/٢-٣٦٩ .

(١)
فسار اليهم عسكر آمد فقتلوا منهم سبعمائة .
(٢)
ومن مناطق نفوذ النزارية طبس وبعض قوهستان ، وكان سبب ملكهم لهذا
أن قوهستان كان فيها رجل اسمه المنور من بقايا بنى سيمجور أمراء (٣)
خراسان أيام السامانيين ، وكان مطاعا عند العامة والخاصة . وكان حاكم
قوهستان السلجوقي قد سلك في الناس مسلك الطغاة ، فظلم الناس وعسفهم
وأراد اختا للمنور بغير حل ، فحمل ذلك المنور على الالتجاء إلى
الباطنية النزارية وصار معهم فعظم حالهم في قوهستان واستولوا عليها
وعلى ماحولها من مدن وقرى منها خور وخوسف وزون وقاين وتون وبعض (٤)
الأطراف المجاورة لها . (٥)
(٦)
(٧)
(٨)
(٩)

ومن قلاع الباطنية التي استولوا عليها بالقوة أو بالحيلة والغدر
قلعة وسنمكوه وهي بقرب أبهر ملكوها سنة ٤٨٤هـ وتأذى بهم الناس ولاسيما (٩)

-
- (١) الذهبي : دول الاسلام ٤٤/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/١٢ .
(٢) طبس : مدينة في برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان . انظر : ياقوت :
معجم البلدان ٢٠/٤ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٠٦ .
(٣) سيمجور : نسبة إلى سيمجور وهو غلام للسامانيين وأولاده أمراء وفضلاء
انظر السمعاني : الأنساب ٢٢٧/٧ .
(٤) خور : الخور هو الخليج يند من البحر وهو من أرض فارس ، انظر ياقوت
المشترك وضعها والمفترق ص ١٦٢ .
(٥) زوزن : كورة واسعة بين نيسابور وهراة ويحسبونها في أعمال
نيسابور . ياقوت : معجم البلدان ١٥٨/٣ .
(٦) قاين : بلد قريب من طبس بين نيسابور وأصبهان . ياقوت : معجم
البلدان ٣٠١/٤ .
(٧) تون : مدينة من ناحية قوهستان قرب قاين . ياقوت : معجم البلدان
٦٢/٢ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر
٢١٤/٢ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٥٩ - ٦٠ .
(٩) أبهر : بلدة من نواحي أصبهان . ياقوت : المشترك وضعها والمفترق
ص ١١ .

(١) أهل أبهر . ومنها قلعة خالنجان (٢) وكانت لجاولى سقاوا ، فجعل نائبه بها رجلا تركيا فصادقه نجار باطنى ، وأهدى له هدية جميلة ، ولأزمه حتى وثق به . وسلم اليه مفاتيح القلعة ، فعمل الباطنى دعوة للتركى وأصحابه ، فسقاهم الخمر حتى أسكرهم ثم استدعى عبد الملك بن عطاش زعيم الباطنية فجاء فى جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركى فانه هرب ، وقوى ابن عطاش بها ، وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة . ومن قلاعهم أستوناوند ، وهى بين الرى وآمل (٤) ، نزل منها صاحبها فاغتالوه (٥) وأخذوها منه ، ومنها قلعة أردهن ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح وكذلك قلعة كروكوه (٦) .

ومن قلاع الباطنية النزارية فى بلاد فارس قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور بينها وبين أرجان فرسخان ، أخذها أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان ، ثم سافر الى مصر وتلقى بها علوم المذهب الاسماعيلى

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠ ، أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ .
 (٢) خالنجان : مدينة بأصبهان ، كان بها قلعة قديمة حصينة ملكها الباطنية وخربها السلطان محمد سنة ٥٧٠ هـ . انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٤١/٢ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠ ، أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٦٦ .
 (٤) استوناوند : اسم قلعة مشهورة بدنباوند من أعمال الرى . ياقوت : معجم البلدان ١٧٦/١ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٩٣ .
 (٥) آمل : اسم لأكبر مدينة بطبرستان وهى مشهورة . ياقوت : معجم البلدان ٥٧/١ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٦ .
 (٦) أردهن : قلعة حصينة من أعمال الرى بين دنباوند وطبرستان ، بينها وبين الرى مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت : معجم البلدان ١٤٩/١ .
 (٧) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠ ، أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٦٥ .

(١)

الباطنى وعاد الى أرجان داعية لباطنية مصر ومذهبهم .

ومن قلاعهم قلعة خلادخان وهى بين فارس وخوزستان ، أقطعها السلطان ملكشاه للأمير أونر . فجعل نائبه بها دزدارا ، فأرسل اليه باطنية أرجان يطلبون منه بيعها فأبى ، فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظره حتى يظهر لك الحق ، فأجابهم الى ذلك ، فأرسلوا اليه رجلا ديلميا يناظره ، وكنن للدزدار مملوكا قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة ، فاستماله الباطنى واتفق معه على القبض على الدزدار وتسليم القلعة اليه فقبض المملوك على الدزدار وسلم مفاتيح القلعة الى الباطنية .

(٢)

واستغل أحمد بن عبد الملك بن عطاش زعيم الباطنية فى أصفهان النزاع الذى وقع على عرش السلاجقة بين بركياروق بن السلطان ملكشاه وأخيه محمود فاستولى على القلعة المنيعه المشرفة على أصفهان والمعروفة بشاهدن . وذلك فى سنة ٤٨٧هـ فأصبحت مركزا دائما له ولأتباعه .

(٣)

(٤)

وساتولى الباطنية على قلعة لمرس وهى تقع فى منطقة الرودبارد وكان أهل هذه القلعة يرفضون دعوة الحسن بن الصباح الباطنية فأرسل أحد رفاقه المسمى كيابزرك أميد مع جماعة من الملاحدة فتسلق القلعة خفية فى شهر ذى القعدة من عام ٤٩٥هـ فقتل ساكنيها ، وأقام بزرك أميد عشرين

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٣١٩/١٠ ، أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ .
 (٢) نفس المصادر السابقة .
 (٣) شاهدن : قلعة حصينة على جبل آصبهان وكانت معقلا لأحمد بن عطاش مقدم الباطنية ، استحدثها السلطان ملكشاه ، ومعنى شاهدن قلعة الملك .
 انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣١٦/٣ .
 (٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٩٦ ، مصطفى غالى :
 الشاعر الحميرى ص ١٢٩ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة
 ص ٦٥ .

عاما فى تلك القلعة ولم يكن ينزل منها الا عندما يستدعيه امامه الحسن بن الصباح ، واستطاع من خلالها أن يثبت سلطة الاسماعيليه النزارية الباطنية (١) فى جميع منطقة الرودبارد .

ومن قلاع الباطنية النزارية قلعة ميمون دز والتي كانت معقلا لركن الدين خورشاه آخر حكام النزارية وحصنا له (٢) ومن مناطق نفوذ النزارية قلعة طريثيث فى قوهستان والتي فتحها السلطان سنجر عام ٥٢٠هـ وكذلك قرية طرز قرب بيهق (٣) (٤) (٥)

من هذا يتبين لنا أن قلاع الباطنية فى بلاد فارس كانت تمتد من بحر قزوين فى الشمال الى أصفهان وطيس فى الجنوب ، ومن جبال الطالقان فى الشرق الى حدود أذربيجان مع الرى فى الغرب .

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠١ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيليه الجديدة، ص ٥٩ .

(٢) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٤٥ .

(٣) طريثيث : ناحية ذات قرى كثيرة من أعمال نيسابور وطريثيث قصبتها .
ياقوت : معجم البلدان ٣٣/٤ .

(٤) بيهق : أصلها بالفارسية بيهه : ناحية كبيرة ، وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة ، من نواحى نيسابور . انظر البغدادى : مراصد الاطلاع ٢٤٧/١ .

(٥) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيليه الجديدة، ص ٨٠ .



خريطة بين مناطق نفوذ الحركة النزارية في بلاد فارس .

أما مناطق نفوذ الحركة الباطنية النزارية في بلاد الشام فهي على غرار مناطق نفوذ اخوانهم في بلاد فارس، فلقد ركزوا جهودهم على القلاع والحصون ذات المواقع الاستراتيجية لما فيها من حماية لهم من أعدائهم المحيطين بهم من كل جانب، فضلا عن تمكينهم من نشر دعوتهم بين عامة الناس القريبين منهم .

وقلاع وحصون الباطنية الرئيسية في بلاد الشام تكاد تكون محصورة ومعدودة لا تتجاوز الخمسة عشرة قلعة، والمعلومات التاريخية التي تبين طرق حصولهم عليها قليلة، وقلاع الباطنية في الشام لاتسامى منعة ولا تترام (١) حصانة .

ولكن هناك بعض الاشارات من المؤرخين عن كيفية الحصول والاستيلاء على بعض هذه القلاع والحصون، ففي عام ٤٩٩هـ استطاع الباطنية النزارية أن يستولوا على حصن آفاميه بأمر من أبي طاهر الصائغ زعيم الباطنية في الشام وبمساعدة رجل من الباطنية في آفاميه يعرف باسم أبي الفتح السرميني فاستولوا على القلعة وقتلوا صاحبها خلف بن ملاعب (٢) .

وفي ذى القعدة من عام ٥٢٠هـ استطاع بهرام زعيم الباطنية النزارية في الشام من أخذ قلعة بانياس، وبهرام هذا قصد دمشق أيام تاج الملوك بوري ودعا الى مذهبه بها وعاضده على ذلك سعيد المزدقاني وزير بوري حتى علت كلمته في دمشق، عند ذلك طلب بهرام من بوري حصنا يآوى اليه هو ومن اتبعه، فأشار الوزير المزدقاني بتسليم قلعة بانياس اليه، وبعد أن تسلمها وانتقل اليها، واجتمع حوله أصحابه من كل ناحية، عظم أمر

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٦/٤ .

(٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان مخطوط ١٣/ورقة ١١٤٢ أ .

بهرام فى قلعة بانياس وأخذ يتوسع فملك عدة حصون بالجبال عرفت باسم
(١)

• قلاع الدعوة •

(٢)

وفى عام ٥٢٧هـ اشترى الباطنية فى الشام حصن القدموس من صاحبه

ابن عمرون ومعدوا اليه وسكنوه وقاموا بحرب من جاورهم من المسلمين
(٣)

حتى أنهم كرهوا مجاورتهم •

(٤)

وبعد بضعة سنين من ذلك تملك الباطنية قلعة الكهف حيث تنازل

ابن عمرون عنها لهم اثر الصراع الذى دار بينه وبين أبناء عمه من
(٥)

• أجل الحكم •

وفى عام ٥٣٥هـ ملك الباطنية النزارية حصن مصيف وكان واليها

(٦)

عليه مملوكا لبنى منقذ أصحاب شيزر، فاحتالوا عليه ومكروا به حتى

(٧)

معدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن • ومصيف هى قاعدة قلاع الدعوة

• فى الشام •

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ١/١٢١، ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٣٢ - ٦٣٣ ،

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢ - ٣٤٣ •

(٢) القدموسى : قلعة بالقرب من الخوابى • انظر القلقشندى : صبح

الأعشى ٤/١٤٧ •

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ١٣/٢٢٣، ابن الأثير : الكامل

٨/١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٠٤ •

(٤) الكهف : قلعة بالقرب من القدموس على نشز جبل مرتفع عال يبرى

على بعد • انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٧ •

(٥) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة، ص ١٢٥ •

(٦) شيزر : قلعة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم وهى تعد

فى كورة حمص • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣/٣٨٣ •

(٧) ابن الأثير : الكامل ١١/٧٩، الذهبى : دول الاسلام ٢/٥٤، ابن القلانسي

ذيل تاريخ دمشق ص ٤٢٨ •

وفى عام ١١٣٦م (٥٣١هـ) استعادة الحشيشية النزارية للسيطرة على
 (١) حصن الخريبة حيث استطاعوا اجلاء الحامية الصليبية عنه والسيطرة عليه .
 (٢) ومن مناطق نفوذ الباطنية النزارية فى الشام قرية الحجيرا والتش
 (٣) بقيت فى أيديهم الى أن استرجعها الملك الصالح سنة ١١٧٩م (٥٧٥هـ) .
 (٤) ظل الباطنية النزارية فى الشام يتوسعون ويستولون على المزيد من
 القلاع والحصون كلما لاحت لهم فرصة لذلك ، فاستطاعوا الاستيلاء على عدة
 (٥) حصون وقلاع أخرى منها قلعة المرقب ، وقلعة الخوابى ، وقلعة صهيون
 (٦) وقلعة المينقة ، وحصن أبو قبيس ، وقلعة الرصافة (الرصاص) ، وقلعة
 (٧) (٨) (٩)

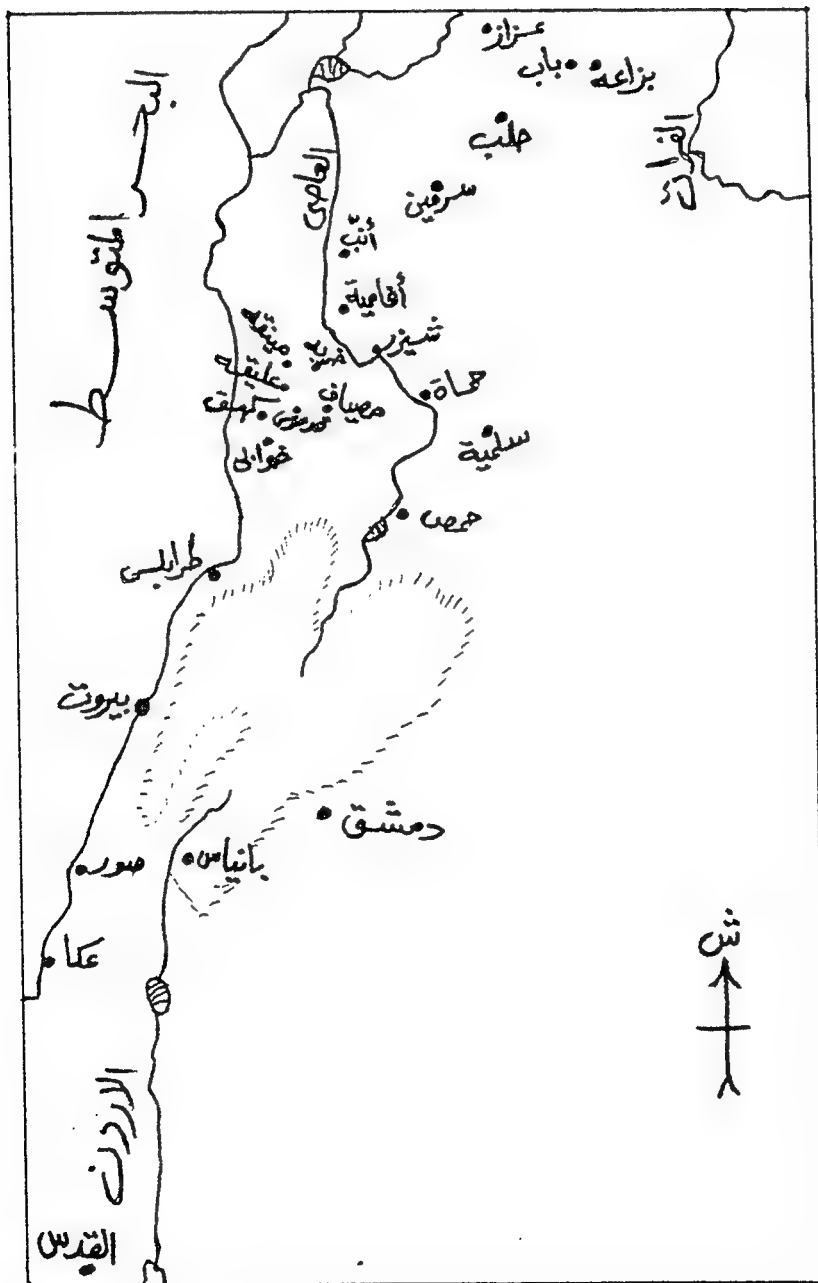
-
- (١) الخريبة : حصن بساحل الشام . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعها
 والمفترق ص ١٥٥ .
 (٢) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥ .
 (٣) الحجيرا : قرية من قرى غوطة دمشق . انظر ياقوت الحموى : معجم
 البلدان ٢/٢٢٦ .
 (٤) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٣٤ .
 (٥) الخوابى : قلعة فى جهة الشمال من طرابلس . القلقشندى : صبح
 الأعشى ٤/١٤٧ .
 (٦) صهيون : قلعة حصينة فى طرف جبل وهى من أعمال سواحل بحر الشام
 من أعمال حمص . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣/٤٣٦ .
 (٧) المينقة : قلعة بالقرب من الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع .
 القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٧ .
 (٨) أبو قبيس : قلعة حصينة غربى حلب مقابل شيزر . القلقشندى : صبح
 الأعشى ٤/١٢٤ ، ياقوت الحموى : المشترك وضعها والمفترق ص ١١ .
 (٩) الرصافة : قلعة للاسماعيلية من ناحية الخوابى وهى بالقرب من
 مصيف . القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٦ ، ياقوت الحموى : المشترك
 وضعها والمفترق ص ٢٠٦ .

(١)

المهالبة، وقلعة العليقة . . .

وكانت قلاع الباطنية النزارية في الشام تمتد من قلعة بانياس في الجنوب وحتى جبل السماق واعزاز والباب في الشمال . ومن البحر الأبيض المتوسط في الغرب وحتى دمشق وحمص وحماء وأفاميه في الشرق .

(١) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١١٦، مصطفى غالب : الشاعر الحميري ص ١٣٤، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥، فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢/٢٤٥ .



خريطة تبين مناطق نفوذ الحركة النزارية في بلاد الشام

أما عن مناطق نفوذ الباطنية المستعلية، فإنها كانت تتمركز بصفة مستمرة في مصر واليمن وأحيانا في جنوب بلاد الشام والحجاز .

أما مناطق نفوذ الباطنية النصيرية فكانت عند ابتداء الحروب الصليبية تتركز في الموصل وديار بكر وحلب والعواصم (١) أي طرسوس، وآدنه (٢) ومصيفة، وإياس، وهرونيه، وبياس، وجهات أنطاكية وجبله (٣) مع اللاذقية (٤) وبانياس وطرطوس (٥)، وطرابلس، وجهات حماه وحمص وصور وساحل اقلية (٦) م البلاد السورية حتى القدس (٧) .

-
- (١) ديار بكر : ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات . القزويني : أشار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٨، ياقوت : معجم البلدان ٤/٢ ٤٩٤ .
 - (٢) العواصم : هي حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها أنطاكية . ياقوت : معجم البلدان ٤/٤ ١٦٥ .
 - (٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . ياقوت : معجم البلدان ٤/٢٨، القزويني : أشار البلاد وأخبار العباد ص ٢١٩ .
 - (٤) مصيفة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ياقوت : معجم البلدان ٥/١٤٤ - ١٤٥ ، القزويني : أشار البلاد ص ٥٦٤ .
 - (٥) بياس : مدينة صغيرة شرقي أنطاكية وغربي المصيفة وهي بينهما قريبة من البحر . ياقوت : معجم البلدان ١/٥١٧ .
 - (٦) جبله : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت : المشترك وضعها ص ٩٥ .
 - (٧) طرطوس : بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا . ياقوت : معجم البلدان ٤/٣٠ .
 - (٨) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٨٨، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ٤/٢٦٥، فريد وجدى : دائرة المعارف ١٠/٢٤٩، عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/٤٩٧ - ٤٩٨ .

أما بالنسبة لمناطق نفوذ الدروز فأول موطن لهم كان فـــــــ
وادي التيم الذي ترعرعت فيه الدعوة الدرزية بعد وصول محمد بن اسماعيل^(١)
الدرزي الذي قام بنشر الدعوة بين أهالي سكان ذلك الوادي، فاستجابوا
له وأصبحوا فيما بعد رعاة دعوة تآليه الحاكم بأمر الله الفاطمي .
ظل الدروز في موطنهم في وادي التيم الى قبيل الحروب الصليبية
حيث أخذوا في الانتشار من موطنهم في وادي التيم في جنوب لبنان الى
منطقة الشوف، وجبل السماق، والى الشرق من مدينة بيروت^(٢) .
ومن مناطق نفوذ الدروز في بلاد الشام حرمون (جبل الشيخ) حيث
كانوا متجمعين في المناطق الجبلية وعلى الأخص في منطقة حرمون^(٣) .

(١) وادي التيم : لم أعثر فيما توفر لدى من معاجم وكتب بلدان على
تعريف لهذا المكان، ولكن هناك تعريف له في كتاب فيليب حتى، تاريخ
سوريا يقول : الاسم مأخوذ من تيم الله (تيم اللات أصلا) وهــــم
اسم لقبيلة عربية كانت في منطقة الفرات حيث تنصرت ثم تحولت الى
جنوب لبنان . انظر فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
٢١٧/٢ حاشية (٤) .

(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢١٩/٢، سامي مكارم :

أضواء على مسلك التوحيد ص ١٤١، محمد كرد على : خطط الشام ٣/٢ .

(٣) سامي مكارم : أضواء ص ١٤٢ .

المبحث الثالث

علاقة هذه الحركات بالمسلمين من أهل السنة

فى وقت نشوء الحركة النزارية ومحاولتها تأسيس دولة لها، كان السلاجقة فى أوج قوتهم وذروة توسعهم، وكانوا منافحين عن المذهب السنى وأعادوا للخلافة العباسية هيبتها بعد أن كادت أن تتلاشى على أيدي البويهيين الشيعة، فأصبح السلاجقة حماة الدولة العباسية، وحاملين لواء السنة فى وجه الباطنية التى أخذت فى الانتشار داخل المجتمع الاسلامى فاتسمت العلاقات بين النزارية الباطنية والسلاجقة فى البدايات بالعداء المطلق خاصة بعد نجاح النزارية فى الاستيلاء على قلعة ألموت فى عام ٤٨٣هـ بقيادة زعيمهم الحسن بن الصباح، وأصبحوا يشكلون مصدر خطر على أهل السنة المجاورين لهم، فعظم بلاؤهم وقطعوا الطريق وخرّبوا القرى .^(١)

وكان أول من تنبأ بخطر الباطنية الوزير نظام الملك بحكم زمالتيه للحسن بن الصباح فى الدراسة، فقال ذات مرة بفراسته عم قريب يفضل هذا الرجل .^(٢) ويتنبؤ نظام الملك بخطر الباطنية وشرهم أخذ فى الاكثار من تخذير السلطان السلجوقى ملكشاه منهم وتنبيهه الى وجوب اعادة ديوان البريد الذى ألغاه السلطان ألب أرسلان حتى تبلغه أخبار الباطنية .^(٣) أولا بأول .

-
- (١) الذهبى : دول الاسلام ١٣٠/٢ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠، عمر أبو النصر : قلعة ألموت ص ١٢٦ .
 (٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٨ .

ونتيجة لذلك بذل الوزير نظام الملك غاية جهده فى استئصال الفتنة الباطنية من جذورها، فسعى الى تجهيز العساكر والجيش لقمعهم وقسرهم وذلك لما كان يراه بنظره الشاقب من شمائل أحوالهم الفاسدة وخطرهم على المجتمع . ومنذ ذلك التاريخ أصبح نظام الملك العدو للباطنيين وللحسن بن الصباح وشيعته النزارية الباطنية، فأخذ الحسن بن الصباح يعمل على التخلص من عدوه نظام الملك وحتى يذيع صيته باغتيال هذه الشخصية المرموقة، فامتدت يد الغدر والخيانة الى حياة الوزير نظام الملك فأنفذ الحسن بن الصباح أحد فدائيته واسمه أبو طاهر الأرانى على هيئة صوفى متظلم الى نظام الملك، وبعد أن فرغ من افطاره وخرج فى محفته الى خيمة حريمه تقدم اليه هذا الباطنى فى صورة مستغيث، ولمس اقتراب منه طعنه بخنجر فاستشهد الوزير نظام الملك متأثراً بجراحه . (١)

بعد ذلك كانت العلاقات بين النزارية الباطنية وسلاطين السلاجقة تتسم بالمهادنة أحيانا وبالعداوة أحيانا أخرى، فنرى السلطان السلجوقى ملكشاه يرسل الى الحسن بن الصباح وشيعته الامام أبو يوسف يعقوب بن سليمان الخازن وكان فقيها عارفا بالأصول على مذهب أبى الحسن الأشعرى لمناظرتهم فناظرهم وألف كتابه المسمى بالمستظهرى وأجاب على مسائلهم . (٢)

ولكن على ما يبدو أن هذه المناظرة لم تحقق الهدف الذى تطلع اليه السلطان ملكشاه من محاولته اقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبازدياد ضرر النزاية الباطنية لجيرانهم من المسلمين وقطعهم للطريق، لجأ

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاي ص ١٩٧، ابن الاثير : الكامل ٢٠٤/١٠، ابن

الجوزى : المنتظم ٦٦/٩، ٦٧، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٠ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٩/١٢ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٢٤/٢ .

السلطان ملكشاه الى العمل المسلح ضدهم ، فأرسل أحد قواده ، واسمه أرسلان تاش في أوائل عام ٤٨٥هـ على رأس جيش كبير لمحاربة الحسن بن الصباح وأتباعه ، فحاصر قلعة ألموت معقلهم الرئيسي وضيق عليها الحصار حتى أن الذين بها كانوا يعيشون على مايسد الرمح من قليل القوت ، فطلب الحسن ابن الصباح النجدة من أحد دعائه المسمى بدهدار أبو علي المقيم في قزوین فقدم فأرسل ثلاثمائة رجل من أتباعه الباطنية لنجدة الحسن بن الصباح والذين معه ، فألقوا أنفسهم داخل القلعة ، وبمعاونة المقيمين فيها أغاروا ليلا على جيش أرسلان تاش فانهزم هو وجيشه وذهبوا عن ألموت وعادوا أدراجهم الى ملكشاه .^(١)

جزع السلطان ملكشاه من هذه النتيجة لكنه أصروعد العزم على استئصال الباطنية ، لكن المنية عاجلته وحالت بينه وبين ذلك ففاضت روحه الى بارئها ليلة الجمعة منتصف شوال عام ٤٨٥هـ .^(٢)

بعد وفاة السلطان ملكشاه دب النزاع بين أفراد البيت السلجوقي وتنافس أبناء ملكشاه على السلطة وظهر في أفق النزاع أسماء بركياروق ومحمود ومحمد وسنجر أبناء السلطان ملكشاه ، وكان الصراع في البدايات بين بركياروق ومحمود ولكن صفا الجو لبركياروق بعد أن هزم أخيه ومناصروه في موقعة بالقرب من أصفهان . وأصبح بركياروق هو سلطان السلاجقة فعين أخاه سنجر واليا على خراسان ومحمدا واليا على أذربيجان .^(٣)
^(٤)

(١) الجويني : تاريخ جهنكشاي ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢١٠/١٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧٤/٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ٢١٥/١٠ .

(٤) انظر عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٨٩ ، ٩٠ .

انتهز النزارية الباطنية فرصة الاضطرابات بين أفراد البيوت السلجوقى فحاولوا تحسين علاقتهم ببعض الأمراء فتمكنوا من استمالة تاج الدولة تتش أخو السلطان ملكشاه أمير دمشق والذي كان يطمع فى زعامة البيت السلجوقى ، ولما قتل استمالوا ابنه رضوان وحاولوا التدخل بين بركياروق وأخيه محمد عندما دب النزاع بينهم ، فنصروا بركياروق على أخيه محمد ودخلوا فى جيشه حتى أصبحوا يكونون ربه .^(١)

لكن لم يلبث أن تنبه بركياروق الى خطرهم واستفحال أمرهم خاصة بعد أن اتهم بركياروق بالميل الى مذهبهم فأمر بقتلهم والفتك بهم فآخذوا من خيامهم وأخرجوا الى ميدان عام فقتلوا فيه ولم يغلت منهم الامن لم يعرف . وتواصل القتل والفتك بالباطنية حتى أن عدد القتلى منهم بلغ ثلاثمائة .^(٢)

أما عن السلطان محمد فلقد كانت علاقته بالنزارية الباطنية العداوة المطلق ، ولما يئس النزارية من كسب السلطان محمد الى صفهم استمالوا وزيره سعد الملك الآبى وطائفة من العاملين فى بلاطه .^(٤)

رغم ذلك لم يأل السلطان محمد جهدا فى محاربة النزارية الباطنية واجتثاث خطرهم ، فبدأ أولا بالقبض على وزيره سعد الملك وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان حتى مات وصلب معه أربعة من أعيان أصحابه ، ثم حاصر^(٥)

-
- (١) أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
 - (٢) ابن الأثير : الكامل ٣٢٣/١٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٣٥٤/٢٦ - ٣٥٥ .
 - (٣) ابن الجوزى : المنتظم ١٢٠/٩ .
 - (٤) أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨١ .
 - (٥) ابن الأثير : الكامل ٤٣٧/١٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٣٦٣/٢٦ .

قلعة أصبهان والتي كانت قاعدة سرير زعيم الباطنية عبد الملك بن عطاش
فاستولى عليها في عام ٥٠٠ هـ وقتل ابن عطاش وسلخه حياً، ثم استولى على
قلعة آلموت عام ٥٢٤ هـ .^(١)
^(٢)

أما السلطان سنجر فلقد استتمت علاقته بالنزارية الباطنية بالعنداء
في بادىء الأمر ثم بالمهادنة ، ففي عام ٥٢١ هـ أوقع السلطان سنجر
بالباطنية في آلموت فقتل منهم عدداً كبيراً قيل كانوا يزيدون على
عشرة آلاف نفس .^(٣)

ولكن بسبب تهديدات النزارية الباطنية للسلطان سنجر ونجاش
الحسن بن الصباح بحيلة مكرة في استمالة أحد خدم السلطان استطاع
بواسطته أن يغرس خنجراً مسموماً أمام سرير السلطان في الليل وهو نائم
فلما استيقظ ورأى السكين ساوره القلق ، فأرسل الحسن بن الصباح على
الفور رسولا وحمله رسالة جاء فيها : " لو لم تكن ارادة الخير بالسلطان
قائمة لكان أجدر بذلك الخنجر الذى غرس فى الأرض الصلبة أن يغرس فى
صدر السلطان اللين " ، فخاف السلطان ومال الى مصالحتهم لهذا السبب .^(٤)

وقصارى القول أن العلاقات بين النزارية الباطنية ومن جاوهرهم من
المسلمين كانت علاقة عداوة . وحقد استعمل الباطنية فيها كل أساليب الغدر
والخيانة والدس بين السلاطين والسلب والنهب وقطع الطريق ، ففي عام ٤٩٨ هـ
تجمع قفل الحجاج مما وراء النهر وخراسان والهند عند خوار النهر
فأتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا السيف فيهم ، وقتلوهم كيف شاءوا .^(٥)

-
- (١) الذهبى : دول الاسلام ٢/٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦/٣٦١ - ٣٦٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٦٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٩٨ .
(٤) الجوينى : تاريخ جهنكشاي ص ٢٠٥ .
(٥) خوار : مدينة كبيرة من أعمال الرى بينها وبين الرى نحو عشرين فرسخا . ياقوت : معجم البلدان ٢/٣٩٤ .

(١)

وغنموا أموالهم ودوابهم ، ولم يتركوا لهم شيئاً .

أما عن العلاقات بين النزارية الباطنية الحشاشين في بلاد الشام ومن جاورهم من أهل السنة فكانت قائمة آيضا على العداء وبث الرعب فقطعوا الطريق وآخفوا السبيل وانضم اليهم كل مفسد وحاربوا ——— (٢)
جاورهم من المسلمين .

حاول النزارية الحشاشون في بلاد الشام استمالة بعض القادة والوزراء الى صفهم والاستفادة من وضعهم السياسى فى تدعيم مذهبهم ونشره بين الناس ، ومن لم يستطيعوا استمالته حاربوه واغتالوه حتى يتخلصوا من ضرره عليهم ، فمثلا استطاعوا استمالة الأمير رضوان ملك حلب اليهم وبمساعده تمكنوا من اظهار مذهبهم ، وفى عهده أصبح لهم دار دعوة بحلب . (٣)
لكن الأمير رضوان تنبه الى خطرهم وعزم على الفتك بهم ، فعاجلتهم المنية ولم يتحقق له ذلك ، لكن ابنه آلب أرسلان الذى تولى المملكة بعده وبمساعدة ابن بديع رئيس الشرطة فى حلب فتك بهم وقتلهم وخلص حلب منهم . (٤)

ظل الباطنية على هذا المنوال يظهرون تارة ويختفون تارة أخرى ولكنهم اعتمدوا فيما بعد على طريقة أخرى لا يذاء من جاورهم من المسلمين بالحيلة والغدر ، فاستولوا على حصن مصياف من صاحبه الذى كان واليها عليه من قبل بنى منقذ أصحاب شيزر ، فاحتالوا عليه ومكروا به حتى معدوا

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٢/١٠ - ٣٩٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٤/١٢ ، الذهبى : دول الاسلام ٢٨/٢ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٠٥/٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/١٠ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٢٧/٢ .

(١)
الى الحصن فقتلوه وأخذوا الحصن . واستطاعوا أيضا بحيلة جريئة
أن يستولوا على حصن شيزر من أصحابه بنى منقذ حيث استغلوا نزول
بنى منقذ من الحصن لمشاهدة عيد فصح النمارى فوثبوا على الحصن ففى
غفلة من أهله فملكوه وصعدوا الى القلعة فملكوها هى وأبراجها، وأغلقوا
باب الحصن ، ثم استطاع بنو منقذ أن يستردوا الحصن منهم فى نفس
الليلة . (٢)

لم يكتف النزارية الحشاشون بعلاقة العداء لمن جاورهم من المسلمين
بل امتدت أيديهم الغادرة الى قادة الجهاد الاسلامى والى القادة الذين
وقفوا فى وجه توسعات الباطنية ومقاومة أفكارهم ، فاغتالوا على سبيل
المثال الأمير مودود صاحب الموصل الذى رفع راية الجهاد ضد الملبىيين
وهزمهم فى أكثر من موقعة ، وأخذ على عاتقه توحيد الجبهة الاسلامية ، فخاف
الباطنية منه فامتدت أيديهم الغادرة الى هذا القائد واغتالوه ففى
صحن جامع دمشق بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة ، حيث وثب عليه باطنى
فضربه بسكين فجرحه أربع جراحات فمات وذلك فى عام ٥٠٧ هـ . (٣)

أما بالنسبة للعلاقات بين المستعلية وأهل السنة فهى تتمشى مع
الخط العام للباطنية من نصب العداء والكيد لأهل السنة ، واستغلال كل
فرصة للانتقام منهم ، وقدأبت الدولة الفاطمية المستعلية على الاغارة
باستمرار على بلاد الشام الخاضع لحكم السلاجقة السنيين ومحاولتهم

-
- (١) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١٢٥ .
(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، اسامة بن منقذ : كتاب
الاعتبار ص ١٥٩ - ١٦٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٩٦/١٠ - ٤٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ،
١٧٣/١٢ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ٢٧/١ .

المستमितة للسيطرة عليه ، أو بث الخوف والرعب بين سكانه لدرجــــــــــــة
أن السلطان السلجوقي ملكشاه شرع فى تجهيز الجيوش عازما على غزو مصر
وأخذها من الرافضة .^(١)

ولما علم المستعليون عدم جدوى الغارات الحربية للسيطرة على بلاد
الشام لجأوا الى طريق آخر ، ففي عام ٤٩٠هـ ورد على فخر الملوك رضوان
ملك حلب كتاب المستعلى بالله صاحب مصر مع رسوله يلتبس من رضوان
الدخول فى طاعته واقامة الخطبة والدعوة لدولته . ولحاجة فى نفــــــــــــس
رضوان أجاب الى ما التمس منه المستعلى ، فأمر بأن يدعى للمستعلى على
سائر منابر الشام التى فى يده ، فدعا الخطيب أبو تراب حيدرة بن أبــــــــى
أسامة بحلب للمستعلى ثم لوزيره الأفضل ثم لرضوان وذلك فى يوم الجمعة
السابع عشر من شهر رمضان عام ٤٩٠هـ ، فاستمرت الخطبة على هذا المــــــــــــدة
أربع جمع ، وصادف أن حضر الى حلب الأمير سيمان بن أرتق وياغى سيمان صاحب
أنطاكية فانكرا ذلك على رضوان واستعظماه وأشارا عليه بابطال ذلك
فقبل بما أشير به عليه وأعاد الخطبة للعباسيين وأرسل الى بغــــــــــــداد
يعتذر مما كان منه .^(٢)

-
- (١) الذهبى : دول الاسلام ١٣/٢ .
(٢) كان هناك صراع عنيف بين الملك رضوان وأخيه دقاق ملك دمشق وكان
كل منهما يطمع فى السيطرة على أملاك الآخر فوجد رضوان الفرصة
مناسبة للاستعانة بالفاطميين على أخيه رضوان وفى ذلك يقول ابــــــــن
القلانسى : وكان الملك رضوان قد بنى الأمر فى ذلك على الاجتماع
مع العسكر المصرى والنزول على دمشق لأخذها من أخيه دقاق . انظر
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٦٩/١٠ - ٢٧٠ ، ابن العديم : بغية الطلب ص ٣٤٤ ،
ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٤/١٢ ، الذهبى : العبر ٣٦٢/٢ ، النويرى
نهاية العرب ٧٢/٢٧ .

بعد فشل المستعلية فى بناء العلاقات الودية مع الملك رضوان ، وظهرت عدم مقدرتهم على وضع قدم لهم بالشام ، لجأوا الى أسلوبهم المعهود فجهز الأفضل أمير الجيوش فى مصر عام ٤٩١هـ جيشا كبيرا ونزل به على بيت المقدس الذى كان تحت حكم الأميرين سكران وإيل غازى ابنا أرتقى السنيين وجماعة من أقاربهما ، فحاصر الأفضل بيت المقدس ونصب عليه المجانيق فتهدم جزء من السور ، واستطاع أن ينتزع بيت المقدس من يده الأراتقة السنيين فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يحاصرون مدينته أنطاكية .^(١)

أما بالنسبة للعلاقات بين النميرية والدروز بمن جاورهم المسلمين فلا توجد هناك أى علاقات مباشرة بين الطرفين ، على الرغم من الاختلاف العقائدى بينهما ، ووجود التجمعات النميرية والدزية داخل المحيط الإسلامى السنى ، فقد كان النميرية معتمدين بالجلال منعزليين عن حولهم ، ومنكمشين فى قراهم الجبلية ، أو متفرقين منطوين على أنفسهم فى المدن أو السواحل .^(٢) ونلاحظ أن النميرية نزلوا الى السواحل من جبالهم أثناء الحروب الصليبية وحروب التتار ، وبعد اندحار هؤلاء نجدهم يرجعون الى جبالهم .^(٣)

أما الدروز فكانوا يعيشون أيضا فى مجتمعات مغلقة وليس لهم أى اتصال بمن جاورهم ، ويبدو أن هذه العزلة التى فرضها الدروز على أنفسهم نابعة من معتقداتهم وأسس مذهبهم ، فهم لا يقبلون أحدا فى دينهم

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ .

(٢) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٠ .

(٣) محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٣٠ .

(١)
ولايسمحون لأحد بالخروج منه . ولايجوز عندهم زواج الدرزية من غير
الدرزي ، ولازواج الدرزي من غير الدرزية ، فإذا حدث زواج من هذا القبيل
فانه يكون باطلا . بالاضافة الى ذلك فان العقيدة الدرزية عقيدة
باطنية ، ولايجوز لأى أحد الاطلاع على الكتب الدينية للدروز غير
الدروز أنفسهم . (٢)

فتعليمات وقواعد العقيدة النصيرية والدرزية هي التي أثرت فى
سلوك هؤلاء القنوم ، وجعلتهم منطوين على أنفسهم ومنعزلين عن جاورهم
وليس لهم أى علاقات بأحد من جيرانهم فيما عدا العلاقات التي كانت
بينهم وبين الصليبيين أثناء الحروب الصليبية لالتقاء الطرفين فى
عدائهم للمسلمين ، وهذا ماسنراه فى الفصل الرابع .

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٠٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

المبحث الرابع

العلاقات بين النزارية والمستعلية

بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، أجلس الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي أمير الجيوش ابن الخليفة المستنصر الأصغر أحمد على سرير الخلافة ، ولقبه المستعلي بالله ، فلما علم داعي الاسماعيلية في بلاد فارس الحسن بن الصباح بذلك غضب غضبا شديدا . خاصة أنه علم من المستنصر خلال زيارته لمصر حينما سأله من امامي بعدك ؟ فقال لــــــ المستنصر : ابني نزار ، والمعروف أيضا في العقائد الاسماعيلية أن الامامة عندهم دائما تكون في الأعقاب ، أي تنتقل من الأب الى الابن الأكبر مباشرة . لهذه الأسباب ثار الحسن بن الصباح وأعلن الدعوة لنزار ولأولاده من بعده . في بلاد فارس ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الخليفة الفاطمي الذي يحكم في القاهرة في نظر النزارية مغتصبا للحق الشرعي في الامامة (١) ومن الواجب المقدس عندهم أن يخلع وتقام امامة نزار .

بعد القضاء على ثورة نزار في الاسكندرية ضد أخيه الأصغر لتولية الخلافة من دونه ، وصفاء الجو في مصر لصالح أمير الجيوش الأفضل والخليفة المستعلي ، أخذ الأفضل في تتبع جميع من كان مع نزار أو ماله أو أعانته فقبض على كثير من وجوه البلد الذين أيدوا نزار وأودعهم السجون وعلى رأسهم قاضي شجر الاسكندرية أبو عبد الله محمد بن عمار الذي اعتقله (٢) مدة ثم قتله .

(١) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١٢٤ .

(٢) المقرئ : اتعاظ الحنفا ١٥/٣ .

استحكم العداء بين النزارية والمستعلية خاصة أن النزاريــــــــــــة بقيادة الحسن بن الصباح أخذوا في السعى لتأسيس دولة على غرار الدولة المستعلية في مصر حتى تكون مأوى لاتباع النزارية ودعاتها، وبعد نجاح النزارية في تأسيس شبه كيان لهم أخذوا في نشر دعائهم على مختلف الأقطار والمناطق داعين إلى إمامة نزار والمذهب النزارى الجديد، فكانت مصر من المناطق المهمة التى توجه إليها دعاة النزارية خاصة أنــــــــــــه يوجد بها المستعلية أعداؤهم اللدودون، وبعد فترة من الزمن وفى خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى وبالتحديد فى عهد الخليفةــــــــــــة المستعلى الفاطمى الحافظ لدين الله، انفجرت أكثر من ثورة مواليةــــــــــــة لنزار، لكن جيوش مصر استطاعت أن تخمد هذه الثورات وتقضى عليهاــــــــــــا وأخذت الحكومة المستعلية فى مصر بعد ذلك فى صرف معظم انتباهها للتغلب على الدعاية النزارية بين رعاياها .^(١)

أخذ النزارية بعد هذا التضييق فى استخدام وسائل وأساليب أقــــــــــــوى وأكثر تمييزا وتأثيرا ضد أعدائهم ومنافسيهم المستعلية، فاستطاعــــــــــــوا فى عام ٥١٥هـ اغتيال عدوهم الأول الوزير الأفضل أمير الجيوش فى مــــــــــــصر الذى كان المسئول الأول عن عزل نزار واغتصاب الحق الشرعى فى الامامــــــــــــة لصالح ابن أخته الأصغر المستعلى وذلك من قبل ثلاثة فدائية حشيشيةــــــــــــة من حلب .^(٢)

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٦٩، ٤٧٠، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية ص ١٢٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢٢/١، الذهبى : العبر ٢/٤٠٤، ٤٠٥، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ .

لم يقف النزارية عند هذا الحد فى عدائهم للمستعلية ، بل أرادوا فى هذه المرة أن يكون سيدهم ثميناً ، فدبروا الأمر لاغتيال الخليفة المستعلى نفسه ، حتى يكون الشار مساوياً لقتل امامهم نزار . فاستطاعوا فى عام ٥٢٤هـ اغتيال الخليفة المستعلى الأمر بأحكام الله فلقى مصرعه فى القاهرة على يد عشرة من الحشيشية النزارية ، وكانت كراهية الأمراء للنزارية معروفة بشكل جيد ، فلقد روى بأنه بعد مصرع بهرام داعى الباطنية النزارية فى الشام على يد جماعة ضحاك بن جندل أخو برق بن جندل مقدم وادى التيم الذى اغتالته الباطنية النزارية ، أخذ رأس بهرام وبيدها وخاتمه من قبل أحد سكان وادى التيم الى القاهرة حيث استلم حاملهم جوائز وخلعة من الأمر نفسه .^(١)

ظل العداء مستحكماً بين النزارية والمستعلية ولم يرو أنه حصل أى اتمام أو اتفاق بين الطرفين ، وظل كل طرف يحيك المؤامرات ضد الطرف الشان ، وكل واحد منهم أخذ فى تتبع أتباع الطرف الآخر ويصفىهم فلقد روى بأنه فى عام ٥١٤هـ قتل رجل على يد الحشيشية النزارية فى دمشق اتهم بأنه كان يتجسس على الحشيشية النزارية فى الشام لحساب الحكومة المستعلية فى مصر .^(٢)

هذه هى طبيعة العلاقات بين النزارية والمستعلية عداء محكم قائم على الكيد لمحاولة تخلص أحد الطرفين من الآخر ، ولم يقف العداء عند هذا الحد بل تعداه الى الاغتيال والقتل وسفك الدماء أحياناً فهذه هى طبيعة الحركات الباطنية فى كل عصر وزمان .

-
- (١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٤٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٠٠ ، المقرئ : اتعاض الحنفا ٣/١٢٨ - ١٣٧ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ ، عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/٣٦٧ .
- (٢) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ .

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين
والصليبيين

المبحث الأول : تعامل الفاطميين مع الصليبيين

المبحث الثاني : مقاومة الفاطميين للصليبيين

المبحث الأول

تعامل الفاطميين مع الصليبيين

بعد أن تحركت جموع الصليبيين من أوروبا باتجاه الشرق في أول حملة صليبية على العالم الاسلامي وبعد وصول هذه الجموع الى مضيق البسفور ودخولها في اراضى الدولة البيزنطية ، أقسم زعماء هذه الحملة يمين الولاء والطاعة للامبراطور البيزنطى الكسيوس كوفين ، ونصحهم الامبراطور بأن يسعوا للوصول الى نوع من الاتفاق مع الفاطميين في مصر ———— اذ أن الفاطميين كانوا من أشد الناس خصومة للترك السلاجقة السنيين ولا يقبلون مطلقا مصالحتهم ، بينما اشتهروا بالتسامح مع رعاياهم من ———— المسيحيين ، وكانوا دائما مستعدين للتفاهم مع الدول المسيحية (١) ثم واصل الصليبيون زحفهم وتقدمهم عبر الأناضول وخاضوا عدة معارك مع سلاجقة الروم انتصروا في غالبها ، وواصلت هذه الجموع زحفها فاقتحمت نيقية (٢) ومرعش ، وحصون الدروب ، ووصلت الى جبل السماق ، وأخيرا اصطفت أمام أنطاكية أول معقل وحصن اسلامى على الحدود الاسلامية البيزنطية ———— فشدوا عليها الحصار الذى استمر قرابة الثمانية أشهر سقطت بعده المدينة بأيديهم في أول رجب من عام ٤٩١ هـ .

في هذا الوقت الحرج والعالم الاسلامى مهدد بالغزو الصليبي ————

(١) ستيفن رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ٣٢٥/١ ، مصطفى الكنانى :

العلاقات بين جنوة والفاطميين ١٢٦/١ .

(٢) نيقية : مدينة من أعمال اصطنبول على البر الشرقى . ياقوت الحموى

الحموى : معجم البلدان ٣٣٣/٥ .

(٣) مرعش : مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم . ياقوت الحموى

معجم البلدان ٢/٢٠٢ .

وهو فى حاجة ماسة لمد يد العون والى كل جهود مخلصه لتوحيد جبهة المسلمين فى وجه الصليبيين . فى هذا الوقت العصيب لم تقف الخلافة الفاطمية صامتة متفرجة على الزحف الصليبي فحسب بل كان موقفها مريباً غامضاً مشيراً للشكوك والدهشة ، مما حدا بالمؤرخين المسلمين المعاصرين الى اتهام أمير الجيوش الفاطمي الأفضل بالتقصير والتفريط فيعجب ابن تغرى بردى من هذا الموقف المريب وهو أكثر المؤرخين تسامحاً فى وصف موقف الأفضل فقال : " ولم ينهض الأفضل باخراج عساكر مصر ، وما أدرى ماكان السبب فى عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال " (١) .

لم يكتف الأفضل بهذا ولم يقف عند هذا الحد وبدلاً من أن يجيئ الجيش لصد المعتدين أرسل سفارة الى الصليبيين بينما كانوا يحاصرون أنطاكية ، وتفيد بعض المصادر الصليبية بأن ٥٠٠٠ الأفضل عندما رأى حصارهم لأنطاكية قد طال ، خاف من أن يتسرب الضعف والملل الى نفوس الصليبيين لذا أرسل اليهم سفارة ترجو قادتهم مواصلة الحصار ، وأكد لهم أنه سيساعدهم بالامدادات العسكرية والمواد الغذائية ، وكلف سفراء مخصصين بالعمل على كسب قلوب قادة الصليبيين ، فوصلت السفارة المصرية فى أوائل الربيع الى معسكر الصليبيين المحاصر لأنطاكية ، فاستقبل القادة الصليبيون السفارة المصرية بحفاوة بالغة ، وعقدوا معهم عدة اجتماعات وتسلموا منهم رسالة الأفضل ، ومكث الوفد الفاطمي فى المعسكر الصليبي عدة أسابيع عادوا بعدها الى بلادهم تعجبهم سفارة صليبية تحمل الهدايا .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٧/٥ .

(١) الوفيرة للتباحث مع الأفضل فى الأمور التى اتفقوا عليها . والجدير بالذكر ان السفارة الفاطمية قبل ابحارها عائدة الى مصر أرسل اليهـا الصليبيون حمولة أربعة جياذ من رؤوس القتلى السلاجقة السنين هديةـة لخليفة مصر فأبدى أفراد السفارة سرورهم البالغ لذلك المشهد .^(٢)

لم يكن هذا هو الاتصال الأول بين الفاطميين والصليبيين فهناك اشارات أوردها المؤرخ اللاتينى المعاصر للحملة الصليبية الأولى كـفارو الكاسكيفلونى فى حوليائه ذكرها الدكتور مصطفى العنانى فقال : " ليكن معلوما لدى الجميع الآن وفى المستقبل ، وفى عهد البابا أوربان الثانى الطيب الذكر ، أن الدون جونفريدو بمحبة الكونت فراندلينيـس ، وعدد آخر من النبلاء والسادة الذين رغبوا فى زيارة ضريح السيد المسيح (عليه السلام) قد ذهبوا الى مدينة جنوة ، ومنها ركبوا السفينة الجنوبية المعروفة باسم بوميلـا *Pomella* ليبحروا الى الاسكندرية . ولما وصل الوفد الى ميناء الاسكندرية ، اتجهوا بصحبة الجنود (الفواطـم) الى ميناء مدينة بيت المقدس (أى يافا) . وعندما أرادوا دخول المدينة عبر بواباتها لزيارة ضريح السيد المسيح ، رفض حراس المدينة دخولهم الا بعد أن يدفعوا الرسوم المفروضة عليهم حسب ما هو مقرر كالعـسادة ومقدارها بيزنط واحد ليتمكنوا من الدخول " ويفسر الدكتور العنانى

(١) ستيغن رنيسمان : الحروب الصليبية ٣٢٦/١ ، يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأذن وفلسطين ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، مقال فى المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٦ لعام ١٩٦٩ م ، ص ٢١ ، حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس : ترجمة حسن حبشى ص ٦٣ .

هذا الحدث بقوله : ان هذه الرحلة التى قام بها الأمراء الصليبيون لم تأت من فراغ وبلا مقدمات واتصالات مسبقة بين هؤلاء الأمراء والفاطميين فى مصر ، فلا يعقل أن يقوم هؤلاء الأمراء الصليبيون بزيارة ميناء الاسكندرية دون أن يستقبلهم مسئولوا الأمن بالميناء ، ودون وجود اتصالات سابقة وترتيب سالف . وهذا يؤيد ما قام به الفاطميون من ارسال جند حراسة اصطحبوا السفينة بوميللا الى ميناء بيت المقدس ، وكان الهدف من ذلك حماية هؤلاء الأمراء من خطر السلاجقة ابان رحلة الذهاب والعودة من الاسكندرية الى بيت المقدس التى استغرقت أكثر من عامين .^(١)

لم يتمهل الأفضل واستغل فرصة انشغال السلاجقة فى شمال الشام بالتصدى للزحف الصليبي فأرسل قواته الى صور وفتحها عنوة وملكها .^(٢) ثم أرسل قواته فى العام التالى ونزلت على بيت المقدس واستطاعت أن تنتزعه من أصحابه الأراتقة سكران وأخيه ايلغازى . ولو بقى^(٣) بيت المقدس فى أيدي الأراتقة لكان أصلح للمسلمين على حد قول ابن ظافر .^(٤) لاشك أن سلوك الأفضل هذا كان عاملا من أهم العوامل فى انتصار الجيوش الصليبية ، ووصولها الى هدفها من دخول بيت المقدس واحتلال معظم بلاد الشام ، لقد كان بمقدور الأفضل أن يقف فى وجه الصليبيين ويتصدى لزحفهم ويردهم عن بلاد المسلمين فالأحوال فى مصر كانت هادئة مستتبعة .

(١) مصطفى العنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى

٨٨/٢ - ٨٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٦٤/١٠ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٢٢/٣ .

(٤) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٢ .

وكانت مصر تتمتع بالرخاء ،بالإضافة الى ذلك كان الأفضل قادرا على المال والرجال كما قال ابن تغرى بردى . وليس أدل على ذلك من قدرة الأفضل على احتلال صور وتملكه لبيت المقدس . فى هذا الوقت كانت الجيوش الصليبية فى طريقها الى القدس فلم ينتظر الأفضل وصولها أو حتى التصدى لها، بل عاد لتوه الى القاهرة ،فى حين كانت القوات الصليبية التى حاصرت بيت المقدس فى غاية الانهك والتعب ،وعانوا أثناء الحصار كثيرا من الحرارة الشديدة التى ظلت تهب أياما عديدة فأثارت بذلك أعصاب الصليبيين الذين لم يألّفوها، أما قلة حصولهم على الماء فقد زاد وضعهم صعبة وعسرا، ففى كل يوم كانت تهلك عطشا أعداد كبيرة من الدواب والماشية والأغنام التى جمعها الجيش ،بالإضافة الى ذلك لم تكن أعداد الجيش الصليبي المحاصر لبيت المقدس كبيرة ومخيفة كما صور ذلك بعض المؤرخين فهى لم تتجاوز ١٥٠٠ فارس و ٢٠ ألف من المشاة لقد كان بمقدور المسلمين فى هذا الحال تحطيم القوات الصليبية الغازية، لكن موقف الدولة الفاطمية بحكم أنها الدولة القوية كان فاتحا لها أبواب النصر ،وهذا ما أشار تعجب المؤرخ ابن تغرى بردى فقال : "والعجب أن الفرنج لما خرجوا الى المسلمين كانوا فى غاية الضعف من الجوع وعدم القوت ،حتى أنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الاسلام فى غاية القوة والكثرة ،فكسروا (أى الصليبيين) المسلمين وفرقوا جموعهم^(١) " .

ومما لاشك فيه أن الدولة الفاطمية كانت على علم بأهداف الصليبيين وخط سيرهم حتى قبل وصولهم الى أراضى الدولة البيزنطية ،فلقد بلغ الصليبيون أهدافهم وأمير جيوش الدولة الفاطمية حامل متردد حائس

(١) رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣٩٩/١، يوسف غوانمه : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٢، مصطفى الكنانى : العلاقات بين الفاطميين وجنوة ١٢٤/١ .

فرماه بعض المؤرخين بالخيانة والبعض الآخر قال بأنه كان يعمل على
معاونة الفرنج وتيسير فتوحاتهم، والدليل على أن الأفضل والدولة
الفاطمية كانوا على علم بقدوم الصليبيين ما قاله المؤرخ المعاصر ابن
الأثير : " أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية
وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر
ولاية أخرى تمنعهم، ودخول الأقيس إلى مصر وحصرها، فخافوا وأرسلوا إلى
الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه" (١) .

في هذا الوقت الحرج، وعدم وجود قائد مسلم يجمع كلمة المسلمين
حوله، تطلعت الأبصار إلى مصر باعتبارها أقوى دولة إسلامية آنذاك
ولديها القدرة والكفاءة ما يرد المعتدين لو أخلصت النية، ولقد ذكر
الدكتور يوسف غوانمة عن المؤرخ وليم الصوري ما عبر عن ذلك فقال:
"فإن خليفة مصر كان أكثر المسلمين قوة بسبب ثروته الكبيرة وقواته
العسكرية" (٢) . ولكن موقف الدولة الفاطمية خيب الثن وأفقد الأمم
فالحلفية الفاطمي الأمر كان كما قال ابن تغري بردي : " متناهي في
العظمة، متقاعد عن الجهاد، متهاون في أمر الغزو - ومن هذا يظهر عدم
اكتراث أهل مصر بالفرنج من كل وجه" (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٧٣/١٠ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٢٤/٥ ،
انظر مصطفى الكناني : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي
٩٦/٢ .

(٢) يوسف غوانمة : دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٣ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٧٨/٥ ، ١٧٩ .

وهكذا يتبين لنا أن موقف الدولة الفاطمية المتحالف مع الصليبيين كان يهدف الى ضرب السلاجقة السنيين فى الشام والقضاء عليهم ، وعدم تمكينهم من الوحدة . وجمع صفوفهم لمواجهة الصليبيين ، وهذا ما دل عليه قول وليم المورى الذى نقله الدكتور يوسف غوانمة فقال : " ان محاصرة الصليبيين لأنطاكية أثلجت صدر الأفضل ، واعتبر أن خسارة الأتراك السلاجقة (السنين) لآى جزء من أملاكهم انما هو نصر له نفسه " (١) .

ولكن الحقيقة لم تلبث أن تكشفت ، فالصليبيون أخذوا بنشوة النصر على المسلمين فى أنطاكية ، وأخذوا يتنطلون من الاتفاق الذى حصل بينهم وبين الأفضل ، وبدأوا يزحفون صوب هدفهم الأساسى بيت المقدس ، فأخذت جمونهم تزحف نحو الجنوب فاستولوا على المعرة (٢) ، ثم رحلوا عنها الى جبل لبنان فقتلوا من بهد ، وأخذوا يستولون على المدن والقرى التى فى طريقهم حتى وصلوا الى طرابلس الشام وضربوا عليها الحصار ، وبدلاً من أن يخرج الأفضل بالجيوش لمحاربة الصليبيين وتوقيف زحفهم جنوباً أرسل اليهم سفارة أخرى وهم يحاصرون طرابلس هناك فيها على ما فعلوه ، وطلب منهم التشديد على الأتراك السلاجقة السنيين والخلافة العباسية فى بغداد ، واحتلال المزيد من أملاكهم ، والحد من العجرفة المفرطة للأتراك

(١) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٤ ، وانظر أيضاً .

مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ١٢٦/١ حاشية رقم ١٠ .

فايد عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ص ١١٠ .

(٢) المعرة : مدينة كبيرة مشهورة وهى معرة النعمان من أعمال حمص بين

حلب وحماه . ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٥٦/٥ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٢٣/٣ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة .

ولكى يثبت لهم حسن نواياه واستعداده للتعاون معهم، وكمكافأة لهم على ما فعلوه، أرسل مع السفارة الهدايا النفيسة والأموال الضخمة لكل واحد من زعماء الصليبيين، وذكر لهم أنه سوف يمنحهم امتيازاً خاصاً. وذلك بالسماح لمجموعات من الحجاج غير المسلحين بزيارة القدس، تكون كل مجموعة بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ حاج، وتعهدهم بأن يعيدهم سالمين بعد أداء مراسم الحج . فاعتبر الصليبيون هذه الرسالة، وهذا العرض اهانة لهم، فأجبروا أعضاء السفارة المصريين على العودة. ومعهم الجواب الذى جاء فيه : " ان الجيش لن يقبل الذهاب هناك فى فصائل صغيرة طبقاً للحالات المقترحة. وعلى النقيض من ذلك فإنه سيحذف الى القدس كجيش واحد متحد، وانهم سيتمكنون من الحج فعلاً، ولكن باذن الله . . . وليس باذن الخليفة . (١) الفاطمى " .

لم يتمهل الصليبيون، فبعد سقوط طرابلس واصلوا زحفهم جنوباً واشتد حماسهم لاحتلال مدينة الرملة التى تقع فى جوف الأراضى المقدسة لاتخاذها مركزاً للانطلاق منه لحصار مدينة بيت المقدس، فنزلوا عليها (٢) وملكوها . ومنهما وفى شهر رجب من عام ٤٩٢ هـ تحركت جموع الصليبيين باتجاه بيت المقدس ضاربة الحصار عليه تمهيداً لاحتلاله .

تمكن الصليبيون من بعد حصار دام أربعين يوماً من احتلال بيت المقدس فى شهر شعبان من عام ٤٩٢ هـ، ولبثوا اسبوعاً يقتتلون المسلمين وأحرقوا ما كان ببيت المقدس من مصاحف وكتب، وقتل الصليبيون بالمسجد

(١) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٥، سعيد عاشور

شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢، رينسمان : تاريخ الحروب

الصليبية ٣٩٠/١ .

الأقصى مايزيد على سبعين ألفا من المسلمين، منهم جماعة كثيرة من
أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم . وعندما أراد القنـاءـد
الصليبي ريموند زيارة ساحة المعبد، لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء
المسلمين إلا في معوية بالغة، فأخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء
التي بلغت ركبتيه .^(١)

في هذا الوقت، وبعد أن كشف الصليبيون عن حقدهم تجاه المسلمين
وهدفهم، لم يتخذ الأفضل أي إجراء حاسم لردع الصليبيين وتوقيفهم عند
حدهم . وبدلاً من أن يتحرك الأفضل بجيشه مسرعاً لانتفاذ بيت المقدس كانت
قواته تتشعب متباطئة في سيرها فوصلت إلى عسقلان في منتصف شهر رمضان
أي بعد سقوط بيت المقدس بعشرين يوماً وقد فات الأمر . ومن عسقلان أرسل
الأفضل إلى الصليبيين في بيت المقدس يوبخهم ويتهدهدهم وينكر عليهم
ما فعلوه، ومن تقضيهم للمعاهدة التي تمت بينه وبينهم، وأعاد الصليبيون
الرسول بالجواب، وركبوا في أثره، وعقب وصول الرسول باغتت القوات
الصليبية الأفضل وجيشه في الموضع المعروف بالبصرة فهزمتهم وقتلت منهم
عدداً كبيراً . وغنمت مافي معسكرهم من مال وسلاح، واحتتمى البعض من الجند
المهزومين بشجر الجميز وكان هناك كثيراً، فأحرق الفرنج بعض الشجر
حتى هلك من فيه، وقتلوا من خرج منه . ثم انهزم الأفضل وشتات جيشه إلى
^(٢)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٢٨٣/١٠ - ٢٨٤، المقریزی : اتعاظ الحنفا ٢٣/٣ .
(٢) رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ٤٠٤/١ .
(٣) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ص ٢٢٣ .
(٤) المقریزی : اتعاظ الحنفا ٢٤/٣، ابن الأثير : الكامل ٢٨٦/١٠ .
(٥) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٢ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ٢٨٦/١٠، المقریزی : اتعاظ الحنفا ٢٤/٣، ابن
القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ص ٢٢٣ .

عسقلان وتحصن بها، وحاصره الصليبيون فيها، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحام المدينة، فعادوا إلى بيت المقدس، وبقيت عسقلان تحت سيطرة الدولة الفاطمية إلى عام ٥٤٨هـ، وهذا دليل على أن الدولة الفاطمية كانت قوية. والآن لما استطاعت أن تصمد هذه الفترة الطويلة في عسقلان، ولكن للأسف لم توجه هذه القوة ضد الصليبيين .

بعد موقعة عسقلان وانهزام الأفضل وجيشه أمام الصليبيين، زال خوف الصليبيين من الأفضل وقواته، فقامت عزيمتهم على انتزاع المدن الفلسطينية والشامية والسيطرة عليها، فضعفت هزيمة أهل الشام واقتنعوا بأن لافائدة ترجى من الفاطميين، فعندما حاصر الصليبيون أرسوف وضيقوا عليها الحصار أرسل أهل أرسوف إلى الأفضل يطلبون النجدة، فأرسل الأفضل حملة صغيرة لايتجاوز عدد أفرادها الثلاثمائة رجل، في حين وصلت الصليبيين نجادات بحرية كثيرة، فلم يبق أفراد تلك الحملة على الصمود أو المقاومة مما اضطر أهالي أرسوف إلى الاستسلام للصليبيين وتسليم المدينة إليهم بالآمان فأخذوها وأخرجوا أهلها منها .

ثم مالبت أن استولى الصليبيون في عام ٤٩٣هـ على حيفا على ساحل البحر المتوسط بالسيف، وواصلوا بسط سلطانهم على المدن الفلسطينية فاستولوا في العام التالي على قيسارية بالسيف، وقتلوا أهلها .
(٢)

-
- (١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٥، خاشع المعاصيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ص ١٣٢، سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٥ - ٢٦، فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص ١١٨ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٥، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٣ .

وعند منتصف عام ٤٩٣هـ رجع عدد كبير من أمراء الحملة الصليبية الأولى إلى بلادهم ، ولم يبق في الساحل الشامى وفي فلسطين ، سوى عدد محدود من الجنود بلغوا ثلاثمائة فارس ، وألفين من المشاة . ومع ذلك لم يقيم المسلمون بأى عمل عسكرى ولو بسيط ، ولقد كان بإمكان الأفضل وزير الدولة الفاطمية والتي كانت دولته أقوى دولة في العالم الاسلامى انتزاع ما استولى عليه الصليبيون من قرى ومدن ، أو على الأقل احراجهم وضعفة مركزهم في فلسطين ولكنه لم يفعل .^(١)

لقد كان موقف الأفضل باهتا حائرا ، وحملاته التي أرسلها لنجدة بلاد الشام لم تجد شيئا ، حتى أن ابن تغرى بردى قال : ليته لم يرسلها فرغم عدة محاولات قامت بها قواته ، إلا أنها لم تؤثر في الموقف في بلاد الشام ، فالقوات التي أرسلها الأفضل لقتال الفرنج كانت ضعيفة هزيلة . في هذا الوقت لم يتخل بلدوين الأول ملك بيت المقدس عن فكرة الاستيلاء على بقية المدن الساحلية التي مازالت بأيدي الفاطميين ، فاستولى على عكا عنوة في رمضان عام ٤٩٧هـ ، ثم استطاع وبمساعدة منجيل صاحب أنطاكية من تشديد الحصار على طرابلس ، فملكوها بالسيف بعد حصار دام سبعة أعوام وذلك في عام ٥٠٢هـ ، فنهبوا مافيها ، وأسروا رجالها . وسبوا نساءها وأطفالها .^(٢)

ونتيجة لهذا الموقف الضعيف من قبل الدولة الفاطمية سقطت بقية المدن الساحلية بيد الصليبيين ، فسقطت بيروت عام ٥٠٣هـ ، فنهبوا مافيها .

(١) يوسف غوانمة : دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٨/٥ .

(٣) ابن القلانص : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢ ، المقرئى : اتعاظ الحنفيا .

وأَسروا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، واستولوا على الأموال، وغنموا من أهلها من الأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالا يحد ولا يحمى،^(١) أما حينئذ فسلمت إلى الفرنج بالأمان في عام ٥٠٤ هـ بعد أن عجز الأسطول المصري^(٢) عن إنقاذها .

ولم تلبث مدينة عسقلان هي الأخرى أن أوشكت على الدخول تحت سيطرة الصليبيين، وهي القاعدة الحربية والمعقل الرئيسى للفاطميين في فلسطين - وذلك أن حاكم عسقلان من قبل الدولة الفاطمية - شمس الخلافة - راسل بلدوين الأول ملك بيت المقدس " وأهدى إليه مالا وعروضا " طالبا منه عقد اتفاقية دفاعية بين الطرفين، مع استعداده لدفع الجزية للصليبيين - فوصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الفاطمي الأمر ووزيره الأفضل، فانزعج لتلك الأخبار، لأن عسقلان بالذات كانت بالنسبة للدولة الفاطمية مفتاح فلسطين، وبالنسبة للصليبيين مفتاح مصر . لذلك أرسل الأفضل حملة عسكرية تحت غطاء محاربة الصليبيين، وأعطى تعليمات سرية لقائد الحملة بعزل شمس الخلافة، ويتولى هو حكم المدينة بدلا منه .^(٣) لكن شمس الخلافة توجس خيفة من هذه الحملة، فرفض أن يفتح لها أبواب عسقلان، كما رفض أن يخرج لمقابلة قائد الحملة، وأرسل إلى بلدوين يطلب منه أن يمسكه بالرجال ويعدده بتسليم عسقلان وأن يعرضه عنها، فلما علم الأفضل بذلك خاف أن يسلم عسقلان إلى الفرنج، فأرسل إليه، وطيب قلبه، وسكنه، وأقربه على عمله، وأعاد عليه اقتطاعه بمصر .^(٤)

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٧٦/١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ٤٧٩/١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٨٠/١٠، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٨١/١٠، المقرئ : اتعاظ الحنفا ٤٦/٣ - ٤٧ .

ومع هذا لم يطمئن شمس الخلافة، وأخذ يتشكك فيمن حوله من العرب وأهل عسقلان، "فأحضر جماعة من الأرمين واتخذهم جندا"، فأساء بذلك إلى شعور أهل عسقلان، فثاروا عليه وقتلوه، ونهبوا داره وجميع ما فيها فلما علم الأفضل بذلك أرسل في الحال حامية قوية أعادت الأمور إلى نصابها في عسقلان . (١)

أما مدينة صور فكانت مثل عسقلان، من المدن التي استعصت على بلدوين الأول ملك بيت المقدس لأنها اعتمدت دائما على الخلافة الفاطمية وتتلقى منها الامدادات، ولكن أهل صور لم يلبثوا أن أحسوا بخرج موقفهم أمام الغارات الصليبية المتكررة من ناحية، وعجز الدولة الفاطمية عن مساعدتهم في كثير من الحالات من ناحية أخرى، فلذلك اتجهوا نحو طغتكين أتاك دمشق السلجوقي طالبين حمايته بوصفه أكبر قوة إسلامية قريبة منهم، فما كان من طغتكين إلا أن استجاب إلى ما طلبوا، فأرسل إليهم عسكرا، وجعل عندهم واليا من قبله اسمه مسعود، وبعث معه المؤن والأموال فوزعها على أهل صور حتى طابت نفوس أهل البلد، ومع هذا لم تغير الخطبة في صور للآمر صاحب مصر، ولا السكة، وكتب طغتكين إلى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول : متى وصل إليها من مصر من يتولاها، ويذب عنها سلمتها إليه، فشكره الأفضل على ذلك، وأثنى عليه، وصوب رأيه فيهم . (٢) فعله . وعندما طلب أهل صور من طغتكين السلجوقي الاشتراك في حكمهم وحمايتهم، ذهب إليهم وتسلم البلد، وقال لهم : " أنا ما فعلت ما فعلت إلا لله تعالى، لا رغبة في حصن ومال، ومتى دهمكم عدو جئكم بنفسى ورجالى"

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٨١/١٠، ابن القلانص : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٢٠/١٠ .

(١)

كل ذلك حدث ولم تأت نجدة المصريين .

ان المتتبع لتاريخ الدولة الفاطمية فى هذه المرحلة ،يلمس فتورا ملحوظا فى مواجهة المصليبيين ومقاتلتهم ،فكان هناك اتجاه قوى فـسـى المعسكر الفاطمى يميل لمهادنة المصليبيين ،، وعدم الجد فى محاولة طردهم من مواقعهم فى جنوب بلاد الشام ،وظهر هذا الاتجاه قويا بين المتطرفين من شيعة البيت الفاطمى ،وهم الذين رأوا فى بقاء المصليبيين ضمانا لحماية أملاك الفاطميين من أطماع السلاجقة ،وزادت من سلبية الدولة الفاطمية فى هذه المرحلة أيضا أن الوزير الأفضل أمير الجيوش أخـذ يقترب من نهايته ،فلقد اغتيل الأفضل فى الثالث والعشرين من رمضان عام ٥١٥ هـ ،وقيل فى سبب مقتله أنه سمح لطغتكين - أتابك دمشق السنـى - ارسال قوة للمشاركة فى الدفاع عن صور، الأمر الذى أشار غلاة الشيعة فى مصر ،مما أدى الى مقتل الوزير الأفضل بيد بعض الباطنية الذين كانوا يكرهون الأفضل لأسباب أخرى منها تضييقه على امامهم (الخليفة الفاطمى) ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عـن

(٢)

معارضتهم .

لكن الخليفة الفاطمى الأمر لم يستطع أن يكشف عن سياسته تجاه المصليبيين بعد مقتل الوزير الأفضل مباشرة ،حرصا منه على مكانته فـسـى العالم الاسلامى ،لذلك رأى أن يسترضى الرأى العام ،فأنفذ حملة كبرى من عسقلان لحصار يافا، وتمكنت هذه الحملة من احكام الحصار على يافا

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٢/٥، سعيد عاشور : شخصية

الدولة الفاطمية ص ٣٥، ٣٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٨٩/١٠، ٥٩٠، سعيد عاشور : شخصية الدولة

الفاطمية ص ٣٨، ٣٧ .

المصريين فى أول الأمر أنهم تقاعدوا عن نصرة المسلمين ،والآن بأخذهم
سيف الدولة من صور صاروا نجدة للغرنج^(١) .

لما علم الصليبيون بما فعله الفاطميون من أخذهم للأمير سيف
الدولة مسعود، وخلقوا البلد من قائد قوى يستطيع أن يبعد هجماتهم ،قوى
طمعهم فيها، فأخذوا يستعدون للنزول عليها ومحاصرتها، فلما علم والى
الفاطمي الجديد بذلك وأيقن أنه لاقوة له بدفع الصليبيين عنها، لقلقة
ماعنده من الجند والميرة ،أرسل الى الخليفة الفاطمي الأمر يخبـره
بحقيقة الأوضاع فى صور، وأشار عليه أن ترد ولاية هذه المدينة لطغتكين
أتاك دمشق ،فوافق الخليفة الفاطمي على ذلك ،وتسلم طغتكين صور، ورتب
بها العدد اللازم من الجند والسلاح^(٢) .

أما الصليبيون فانهم واصلوا السير الى صور، وضيّقوا عليها
الحصار ،فقلت الأقوات ،وسئم أهلها القتال ،وضعت نفوسهم ،وأرسلوا
طغتكين الى الفاطميين بمصر يستنجدهم فلم يستجيبوا له ،فأدى ذلك الى
ازدياد الحالة سوءا فى صور، مما حمل واليها على أن يكتب الى طغتكين
أتاك دمشق ،يعرض عليه أن يسلم صور للصليبيين ،على أن يسمحوا لمن
بها من الجند والرعية الخروج منها، وحمل ما يستطيعون حمله من أموالهم
فاستقر الحال على ذلك ،وفتحت صور أبوابها واستولى عليها الصليبيون
سنة ٥١٨هـ ،بعد أن تأخر الفاطميون عن نجدةها، وعجز طغتكين وحده عن صد
الصليبيين عنها، وانتهى الأمر بأهلها الى تفرقهم فى البلاد ،ولم
يتعرض الصليبيون لأحد منهم عند خروجهم^(٣) .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٢/٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٢١/١٠ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٦ .

(٣) نفس المصادر السابقة .

قال الدكتور سعيد عاشور : وارتفع من مصر صوت خافت يتهم الخلفية الأمر الفاطمي بأنه فرط في صور، ويطالب الخلافة الفاطمية باتخاذ سياسة ايجابية في الجهاد ضد الصليبيين بالشام، وزاد من الانقسام الداخلي في الدولة الفاطمية أن الخليفة الأمر الفاطمي قبض على وزيره ابن البطاحي عام ٥١٩هـ ثم صلبه، ولم يتخذ الخليفة الأمر بعد ابن البطاحي "وزير سيف بل استبد بأموره وباشرها بنفسه" ^(١)، واستعاض بالمشيرين من غير المسلمين، فولاهم مناصب الدولة، وظهر منهم بهرام الأرمي الذي "صادر عامة من بالديار المصرية، من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم" ^(٢) . وكان ممن الطبيعي أن يجنح مستشارو الدولة الفاطمية من المسيحيين إلى مسالمة الصليبيين بالشام . وزاد هذا الاتجاه قوة بعد اغتيال الخليفة الأمر في خريف عام ٥٢٤هـ وقيام ابن عمه الحافظ محله في الخلافة . لأن الحافظ هذا كان من أشد المتحمسين لمسالمة الصليبيين، وقيل بأنه أشار بقتل الوزير الأفضل ^(٣) .

ظلت الدولة الفاطمية على هذا الحال، لا تستجيب لأي نداء ينشأ بضرورة الوحدة الإسلامية، والجهاد ضد الصليبيين، وكانت تقف عقبة في طريق ذلك، وكان الخلفاء الفاطميون يتخلصون من الوزراء الذين ينادون بفكرة الجهاد على وجه السرعة، وهذا ما حدث مع الوزير رضوان بن الولخشى الذي كان من أشد المتحمسين لحركة الجهاد ضد الصليبيين، فمما

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ٧٣/٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٦٩/١٣ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٤، سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٠ .

ان تولى الوزارة حتى أنشأ ديوانا جديدا أطلق عليه اسم "ديوان الجهاد". وفى الوقت نفسه أخذ يطارد الأرمن ويقصمهم عن مناصب الدولة، حتى بلغ به الأمر حد التنديد بالخليفة الحافظ الفاطمى، وسياسة الاستكانة التى اتبعها تجاه المصليبيين بالشام . وعندما علم رضوان بن الولخشى أن الخليفة الحافظ يعمل سرا لتمكين الأرمن من استعادة نفوذهم فى الدولة، فضلا عن جهود الخليفة فى استشارة عداؤه بعض طوائف الجيوش الفاطمى ضد الوزير، الأمر الذى يؤثر تأثيرا خطيرا على حركة الجهاد التى عزم رضوان بن الولخشى المضى فيها . فر ابن الولخشى نحو الشمال لاجئا الى بطل من أبطال الجهاد الاسلامى وعلم من أعلام الوحدة الاسلاميَّة هو عماد الدين زنكى ليستعين به فى تنفيذ مشروعاته وخطته فى الجهاد (١) ضد المصليبيين .

ظل الوضع على هذا الحال فى الدولة الفاطمية، فازدادت ضعفا على ضعف، وتسلط الوزراء على الخلفاء وأصبحوا هم المتصرفون فى شئون الدولة، ولم يكن الخلفاء معهم الا صورة بلا اسم، وتصارع القواد والسيولة على مركز الوزارة الى أن استطاع شاور السعدى الذى كان واليا على المعيد فى عهد الخليفة العاضد لدين الله الفاطمى من الاستيلاء على الوزارة بعد أن تخلص من الوزير العنادل بن طلائع بن رزيك فى المحرم من عام ٥٥٨ هـ، ولكن مالبث أن شار أحد قواد الجيش وهو أبو الأشبال ضرغام على شاور فقهره واستولى على الوزارة منه، وقتل ولده الأكبر طى بـ شاور، فما كان من شاور الا أن توجه الى الشام مستغيثا بالملك العنادل نور الدين محمود بن زنكى ومستجيرا به . (٢)

-
- (١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤١ .
 (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٥/٧، ابن الأثير : الكامل ٢٩٨/١١، ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٦ .

أطمع شاور الملك نور الدين محمود في مصر ، وطلب منه أن يرسل معه العساكر الى مصر ليستعين بها في استعادة نفوذه بها . وقال له : "أكون نائبك بها ، وأقنع بما تعين لي من الضياع والباقي لك " ^(١) . ووعده كذلك بأن يعطيه ثلث خراج مصر اذا عاونه في التغلب على ضرغام وانتزاع الوزارة منه ، " وأن يتصرف على أمره ونهيه واختياره " ^(٢) .

تردد نور الدين محمود بادى الأمر في ارسال حملة عسكرية — شاور ، خوفا من أن يتورط في هذا المشروع وهو لا يزال أمام أعداء أقوياء في الشام ، ولم يستطع بعد توحيد الجبهة الاسلامية في شمال بلاد الشام ولكنه استخار الله تعالى ، واستقام اليه الأمر بارسال حملة عسكرية الى مصر ، فاستدعى أكبر قواده أسد الدين شيركوه من اقطاعه في الرحبة ^(٣) . وأمره بأن يجهز حملة عسكرية الى مصر ، وأرسل معه ابن الخيـه صلاح الدين وهو كاره لذلك ، وأمر نور الدين باعادة شاور الى منصبه والانتقام ممن نازعه في الوزارة ^(٤) .

سار الجميع ، وسار معهم نور الدين محمود الى أطراف الشام ، حتى يشغل الفرنج بعدم التعرض لأسد الدين شيركوه وجيشه ، ووصل أسد الدين شيركوه الى مصر سالما هو ومن معه ، فأرسل ضرغام الى الصليبيين مستنجدا وتعهد الى القنائد الصليبيين عموري مقابل مساعدته له أن يعقد معه

-
- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٦/٥ .
 - (٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ١٣٨/١ .
 - (٣) أبو شامة : الروشتين ١٦٦/١ ، والرحبة : قرية من قرى دمشق . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣٣/٣ .
 - (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان

(١)

معاهدة تصبح مصر بمقتضاها تابعة للصليبيين . لكن آسد الدين شيركوه لم يدع فرصة لضرغام في مراسلة الصليبيين ، فوصل لمصر قبل أن تأتي جيوش الصليبيين لنجدة ضرغام ، فالتقى آسد الدين شيركوه بجيشه مع جيش أرسله ضرغام بقيادة أخيه ناصر الدين ، وفي منطقة تعرف باسم تل بسطة في الدلتا، دارت بين الفريقين معركة انهزم فيها ناصر الدين وعاد إلى القاهرة مهزوما . وواصل آسد الدين شيركوه زحفه باتجاه

(٢)

القاهرة حتى وصلها في أواخر جمادى الأولى سنة ٥٥٩ هـ ضاربا الحصار عليها، فما كان من الخليفة والجيش وعامة الناس إلا أن تخلوا عن ضرغام فقتل أثناء محاولته الفرار عند مشهد السيدة نفيسة، فاستولى شاور على الأمور، وخلع عليه خلع الوزارة في مستهل رجب سنة ٥٥٩ هـ وأعيد إلى الوزارة وتمكن منها، وحصل له مقصوده .

(٣)

عندما تمكن شاور من الوزارة أساء معاملته الناس، ونسى وعهده المعسولة لنور الدين محمود وظهرت منه امارات الغدر بآسد الدين شيركوه ، فأرسل إليه يطلب منه الرجوع إلى الشام ، ولكن شيركوه رفض ذلك وطلب منه أن يرسل ما كان قد استقر بينه وبين نور الدين ، فلم يجبه شاور إلى ذلك ، ولما علم آسد الدين شيركوه اصرار شاور على الغدر أرسل نوابه إلى مدينة بلبس فتسلموها وتحصن بها .

(٤)

(٥)

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٠ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ١/١٦٦، ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٣٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١١/٢٩٩، ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٣٩، ابن خلكان

وفيات الأعيان ٧/١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) بلبس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام

انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/٤٧٨ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٣٩، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة

٥/٣٤٧، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١، زكي النقاش : العلاقات

بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية ص ٤٤، ٤٥ .

عندما رفض أسد الدين شيركوه طلب شاور بالعودة الى الشام ، أرسل شاور الى مري (عموري الأول) ملك بيت المقدس الصليبي يستنجد به . على شيركوه ، ويخوفه من نور الدين محمود ان هو ملك الديار المصرية فقال له : " ان شيركوه طلع معى نجدة على ضرغام ، فلما حصلوا فى البلاد طمعوا فيها ، ومتى ملكوها مضافة الى بلاد الشام لم يكن لك معهم عيش ولا قرار " (١) .

طمع الفرنج فى ملك مصر ، خاصة بعد أن بذل لهم شاور مالا كثيرا يحملهم اليهم ان هم ساعدوه فى اخراج أسد الدين من مصر ، فسارعوا الى تلبية طلب شاور ، فتوجهوا بجيوشهم الى مصر ، ولما اقتربوا من مصر انسحب أسد الدين شيركوه الى بلبيس وتحصن بها هو وعساكره ، أما شاور فخرج بعساكره واجتمع بالفرنج وتوجهوا الى بلبيس وحاصروا أسد الدين فيها ، واستمر حصارهم له ثلاثة شهور ، فحماها أسد الدين ولم ينالوا منها . نصيبا (٢) . وبينما هم على هذا الحال يجدون فى حصار بلبيس ، آتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم ، وتملك نور الدين لها ، ومسيره بعد ذلك الى بانياس لأخذها ، فاسقط فى أيديهم ، وخافوا على البلاد ، فراسلوا أسد الدين فى الصلح وتسليم ما أخذه واستولى عليه من البلاد الى المصريين فأجابهم الى ذلك لأن الأقوات قلت عليه ، وعلم عجزه عن مقاومة الفريقين فصالحهم وخرج من بلبيس فى ذى الحجة من عام ٥٥٩ هـ وهو فى غاية القهر (٣) .

-
- (١) أبو شامة : الروضتين ١/١٦٦ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١ .
 (٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٤٠ .
 (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١ - ١٢٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٣٤٨ ، ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ ، زكى النقاش : العلاقات بين العرب والفرنج ص ٤٥ .

كان لهذه السياسة التي اتبعها شاور أثر كبير في توجيه أنظار كل من نور الدين محمود صاحب دمشق والفرنجة ببیت المقدس الى غـزو مصر مرة ثانية، وأثبتت لهم التجربة العملية في أرض مصر عن مدى ثروة البلاد وضعفها الشديد، حتى بدا لهم أن الاستيلاء عليها يمثل الهنـاء دون عناء، ولكن الملاحظ أن الطمع في ثروة مصر، والخوف من أن يستفيد منها الصليبيون حربيا وماديا، لم تكن الدوافع الوحيدة لاهتمام نور الدين في ذلك الدور بأمر مصر، وإنما كان هناك - بالإضافة الى ماسبق - دافع آخر مذهبى له أهميته في توحيد الجبهة الاسلامية . ذلك أن الخلافة الفاطمية بوضعها في مصر، كانت مصدرا من مصادر الفرقة في العالم الاسلامى، لأن قيامها في القاهرة كان كفيلا ببقاء المذهب الشيعى حيا - على الأقل في مصر - في حين ساد المذهب السنى بلاد الشام وغالبية العراق .^(١)

وفي عام ٥٦٢هـ أعد نور الدين محمود حملة عسكرية ثانية بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين لانفاذها الى مصر ليملكها . وكان سبب ذلك أن العناصر الخليفة الفاطمى لما رأى استبداد شاور وغلبته عليه، كتب الى نور الدين يستنجد به . على شاور، ويخبره بأن شاور "قد استبد بالأمر وظلم وسفك الدم" ، وسبب آخر : " كان في قلب نـور الدين من شاور حزازة لكونه غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه .^(٢) بالفرنج " .

خرجت الحملة من دمشق في منتصف شهر ربيع الأول من عام ٥٦٢هـ ، وسار

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٢، محمد جمال الدين سرور :

الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٨/٥ .

أسد الدين الى أن بلغ الديار المصرية ، ووضع في حسابه أن شاور سوف يستنجد بالفرنج ، فوجد أن من الحكمة عدم مهاجمة القاهرة ، فعبر النيل الى الجانب الغربى من عند اطفيح ونزل بجنده في بر الجيزة .^(٢)

رأى شاور أن يستنجد بالفرنج مرة ثانية ، فأرسل اليهم يستغيثهم ويستمرخهم ، فأتوه على الصعب والذلول ، خوفا من أن يستولى جيش نور الدين محمود على مصر ويضمها الى بلاد الشام ، فيصبح مركزهم في بيت المقدس والساحل مهددا بالآخطار . فخرج الصليبيون الى مصر و "الرجاء يقودهم والخوف يسوقهم" .^(٣) فلما وصلوا الى مصر خف شاور للقاء حلفائه ، فانضمت عساكر الصليبيين الى جيوش شاور والمصريين .

في هذه الأثناء توجه أسد الدين شيركوه بعساكره الى الصعيد فى الجنوب ونزل بهم فى مكان يعرف باسم البابين ، فتبعته العساكر الصليبية والفاطمية ، والتقى الفريقان فى منطقة البابين ودارت بينهما معركة حاسمة انتهت بهزيمة الصليبيين والفاطميين أمام جنود شيركوه ، فوضعت السيف فيهم فأثنى الجراح وأكثر القتل والأسر وانهزم الباقون . "فكان هذا من أعجب ما يؤرخ ، أن ألقى فارس (عدد أفراد جيش شيركوه) تهمة عساكر مصر وفرنج الساحل" . ولو ساق أسد الدين شيركوه خلفهم فى الحال لملك القاهرة . . .^(٥)

-
- (١) اطفيح : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل من الناحية الشرقية . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢١٨/١ .
- (٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٤٩/١ ، أبو شامة : الروضتين ١٦٨/١ .
- (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٢ .
- (٤) البابين : قرية كانت تقع جنوب مدينة المنيا . انظر ابن واصل مفرج الكروب ١٥٠/١ حاشية رقم (١) .
- (٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٠/١ - ١٥١ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٩/٥ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٢٨ .

بعد انتهاء المعركة توجه أسد الدين شيركوه بقواته الى الاسكندرية فتلقاه أهلها طائعين ، وسلموها اليه ، لميلهم الى مذهب أهل السنة وكراهيتهم لرأى المصريين - على حد تعبير ابن واصل - وخشى أسد الدين شيركوه أن يحصره الصليبيون ومعه جميع قواته داخل الاسكندرية ، فولس على ابن أخيه صلاح الدين وجعله نائبا عنه فيها ، واتجه هو على رأس الجزء الأكبر من قواته عائدا الى الصعيد فاستولى عليه وجبى أمواله .^(١)

أما قوات الفرنج والمصريين فانهم عادوا الى القاهرة فرتبوا أمرهم ، وأصلحوا عساكرهم ، ثم ساروا الى الاسكندرية فحاصروها بـ ساروا بينما كان أسطول الصليبيين يحاصرها بحرا ، ولم يكن لدى صلاح الدين من الجند ما يمكنه من رفع الحصار ، فقاتل أهل الاسكندرية مع صلاح الدين وأخذوا يفتقرون بالمال ، ولكن الحصار طال واشتد عليهم ، فقل الطعمام بها ، فصبر أهلها على ذلك ، فلما علم أسد الدين شيركوه باشتداد الأمر على أهل الاسكندرية ، سار من الصعيد اليهم لنجدتهم ، فلما علم القوم به حتى خافوا وأرسلوا يطلبون الصلح ، وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذ من البلاد وكل ما خسر في هذه السفرة ، فأجابهم الى ذلك ، وشروط أن الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قرية واحدة ، وأن الاسكندرية تعود للمصريين ، فأجابوا الى ذلك وأصلحوا ، فتسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال وعاد أسد الدين شيركوه الى دمشق .^(٢)

أما الصليبيون فان قواتهم لم تغادر مصر تطبيقا لهذا الصلح ، بل

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٣ ، أبو شامة : الروضتين ١/١٦٨ ، ابن

كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٥٢ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ١/١٦٩ ، ابن

واصل : مفرج الكروب ١/١٥٢ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية .

في مصر ص ١٢٨ .

عقدوا مع شاور معاهدة من أهم شروطها أن يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بيد فرسانهم حتى يمتنع الملك العادل نور الدين من إرسال عسكر اليهم ، ويكون للفرننج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله ويعود بعض ملوكهم الى الساحل فأجابهم شاور الى ذلك .^(١)

يقول الدكتور سعيد عاشور : أن شاور أخذ يتخوف من المساءلة الصليبية التي تحولت الى حماية ، بل الى نوع من الوصاية على الدولة الفاطمية . فوجود مندوب أو شحنة عن ملك بيت المقدس الصليبي في القاهرة يشاركه في شئون الحكم ، ووجود حامية من الصليبيين تحرس أبواب القاهرة ، كل ذلك أزعج الفكر الاسلامي ، في الوقت الذي كان الشعور الديني في العالم الاسلامي معباً ضد الصليبيين ، والدعوة الى الجهاد يتردد صداها في مشارق العالم الاسلامي ومغاريه ، اذا بالمستولين في الدولة الفاطمية يستعينون بالصليبيين ويطلبون حمايتهم ضد قوة اسلامية شقيقة مجاورة . وقد ذكر ابن الاثير أن أولئك الصليبيين الذين استعان بهم شاور أساءوا معاملته أهل البلاد " فحكموا على المسلمين حكفاً جائراً وركبواهم الأذى " . هذا الى أن الأتاوة السنوية التي فرضها عموري على شاور - وهي مائة ألف دينار - أثقلت كاهل ميزانية الدولة الفاطمية في الوقت الذي ضعفت تلك الدولة ونضبت مواردها . وهكذا لم يجد شاور مفراً أمام ضغط الرأي العام وشعوره بالاستياء - من أن يقلب سياسته

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٣٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٩/٥ .

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٣٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٣٣٥/١١ .

رأساً على عقب، فاتصل بنور الدين محمود طالبا مساعدته فى التخلص من الحماية الصليبية . ويذكر أبو شامة أن شاور أرسل ابنه الكامل شجاع الى نور الدين محمود " ينهى محبته وولاءه ويسأله الدخول فى طاعته " مما ترتب عليه عقد اتفاقية بين الطرفين . كذلك حاول شاور تأكيد هذه الرابطة الجديدة عن طريق المصاهرة فعرض أن يتزوج ابنه الكامل شجاع أخت صلاح الدين أو يتزوج صلاح الدين ابنة شاور .^(٢)

لم يهدأ بال الصليبيين ، ووجدوا فى مصر لقمة سائغة ، فبعث رجال الحماية الصليبية فى مصر الى ملكهم ببيت المقدس عمورى " يستدعونهم ليملكها ، وأعلموه بخلوها من الموانع ، وهونوا أمرها عليه " . ولكنه لم يجبهم الى طلبهم ، وبعد مشاورات بين زعماء الصليبيين فى أمر غزو مصر استقر رأى جماعة من الصليبيين بأن يغزوا مصر ويأخذوها وقالوا : " ان مصر لامانع لها ولاحافظ ، والى أن يصل الخبر الى نور الدين ويجهز العساكر ويسيرهم اليها ، نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها ، وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة " .^(٤)

أجاب عمورى طلب الصليبيين بغزو مصر على كره شديد ، فجهز عساكره وأظهر بأنه يريد قصد مدينة حمص ، فلما سمع نور الدين بذلك شرع فى جمع عساكره ، وأمرهم بالقدوم عليه ، وجد الفرنج فى السير الى مصر فوصلوا الى مدينة بلبيس ، فنازلوها ، وحاصروها ، وملكوها قهرا ، فنهبوها

-
- (١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٦٧ - ٦٨ .
 (٢) أبو شامة : الروضتين ١٧٠/١ ، سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٦ - ٥٧ .
 (٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٦/١ .
 (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(١)

وسلبوا أهلها وذلك فى مستهل شهر صفر عام ٥٦٤ هـ . ثم واصل عمورى وجيشه الزحف نحو القاهرة، فنزلوا عليها فى العاشر من شهر صفر وضربوا عليها الحصار، فخاف الناس أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبيس، فاستماتوا فى الدفاع عن القاهرة، وبذلوا الجهد فى الحفظ .^(٢) أما شاور فقد أحس فى ذلك الوقت بخرج موقفه واستياء الناس منه، فأمر الناس بالانتقال إلى القاهرة وأحرق الفسطاط عن آخرها، وبقيت النار مشتعلة فيها خمسة وأربعين يوما . ولما اشتد الحصار على القاهرة، وعلم شاور أنه عاجز عن مقاومة الطليبيين، عمد إلى طريق الخداع والحيلة، فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبة القديمة، وأن هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد، وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم إليه، ويشير بالصلح وأخذ مال لئلا يسلم البلد إلى نور الدين، فأجابه على الصلح على أخذ ألف ألف دينار مصرية، يعجل البعض ويؤخر الباقي، واستقرت القاعددة على ذلك .^(٣)

فى هذا الوقت أرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن مقاومة الفرنج، وأرسل فى الكتب شعور النساء وقال : " هذه شعور نساءى من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج " ووعده بثلاث بلاد مصر، وأن يكون آسد الدين شيركوه مقيما عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية أيضا خارجا عن الثلاث الذى لنور الدين .^(٤)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٣٣٦/١١، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ .
 (٢) ابن واصل : مغرر الكروب ١٥٧/١، ابن الأثير : الكامل ٣٣٦/١١ .
 (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٨ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ٣٣٧/١١ - ٣٣٨، ابن واصل : مغرر الكروب ١٥٨/١، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٥٥/١٢ .

بعث نور الدين محمود على الفور الى قائده أسد الدين شيركوه وأمره بتجهيز العساكر الى مصر ، والسريعة في ذلك . فاختار من العسكر ألفى فارس ، وجمع من التركمان ستة آلاف فارس ، وزودهم نور الدين بالمال والشباب والدواب والآلات والأسلحة ^(١) . وندب نور الدين محمود صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يمضى مع عمه الى الديار المصرية .

انطلق أسد الدين شيركوه مجدا السير الى الديار المصرية ، فلمّا قارب مصر ، رحل الصليبيون عنها عائدين الى بلادهم بخفى حنين خائبين مما أملوه ، فشب ملكهم كل من أشار عليه بقصد مصر ، وبلغ نور الدين محمود انهزام الصليبيين ورحيلهم عن مصر فسر بذلك ، وأمر بضرب البشائر ^(٢) استبشارا بهذا النصر في سائر البلاد .

أما أسد الدين شيركوه ، فلقد فرح به أهل مصر واستقبل استقبال الأبطال الفاتحين هو وجنده . وعند وصوله الى القاهرة ، استدعاه الخليفة الفاطمي العاضد الى القصر ، فاجتمع به وخلع عليه خلع الوزارة ولقبه بالمنصور ، وأخذ أرباب الدولة يترددون الى خدمته في كل يوم . أما شاور فانه لم يستطع الا السكوت على مضي أمام ذلك ، وأسرها لشيركوه في نفسه خاصة بعد أن ظهر تأييد الخليفة العاضد لشيركوه وميله له ، فأرسل شاور مرة أخرى الى الصليبيين يستدعيهم لنجدته ويقول لهم : " يكون مجيئكم الى دمياط في البحر والبر " ^(٤) .

لم يكتف شاور بذلك بل حدثه نفسه بأكبر من ذلك بالتآمر على

-
- (١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٩ .
 (٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٦٠ ، أبو شامة : الروضتين ١/١٧١ .
 (٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٣٥١ .
 (٤) نفس المصدر السابق .

حياة أسد الدين شيركوه ، فعزم على تدبير مؤامرة بدعوة أسد الدين شيركوه ومن معه من الأمراء الى وليمة ويقبض عليهم ويقتلهم ، فعارضه ابنه الكامل فى ذلك وقال : " والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرفن أسد الدين " فرد شاور على ابنه قائلاً : " والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعاً " فقال له ابنه : " لئن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد بيد الفرنج " (١) .

كان شاور قد تعهد لشيركوه بدفع ثلث أموال البلاد له ، فلما أرسل شيركوه لشاور يطلب منه الوفاء بوعده أخذ يماطل ويتعطل منتظراً وصول العليبيين لنجدته ، فأدرك أعيان الدولة بمصر خطر سياسة شاور وسوء نيته ، فاجتمعوا عند أسد الدين شيركوه وقالوا له : " شاور فساد العباد والبلاد ، وقد كاتب الفرنج ، وهو يكون (بذلك) سبب هلاك الاسلام " ، فطالبوا (٢) بقتله والتخلص منه .

وهكذا اتفقت الآراء واجتمعت على التخلص من شاور ، وانتهى الأمر بقتله فى السابع عشر من شهر ربيع الآخر عام ٥٦٤ هـ ، وقيل أن الخليفة العاضد شارك فى تدبير مؤامرة قتل شاور ، فحين قبض على شاور من قبيل أعيان ورجال شيركوه ، أرسل العاضد الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور على الفور ، فضرب رأسه وحمل الى الخليفة فى القصر ، بعد ذلك دخل أسد الدين شيركوه القاهرة دخول الظافرين ، وأباح للناس والأهالى نهيب (٣) دار شاور .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٤٠ ، ابن واصل : مغرر الكروب ١/١٦١ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٣٥١ .

(٣) ابن واصل : مغرر الكروب ١/١٦٣ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٤٠ ،

ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ١١/٣٤٠ .

وبقتل شاور وتولى أسد الدين شيركوه ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين شؤون الوزارة في مصر، تبدأ صفحة جديدة في تاريخ مصر وموقفها من الجهاد ضد الصليبيين . فبعد عامين ونصف من تولى الملك الناصر صلاح الدين للوزارة في مصر، قطع الخطبة للخليفة الفاطمي في ثاني جمعة من المحرم عام ٥٦٧ هـ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، وبذلك انقرضت الدولة الفاطمية، وعادت مصر مرة أخرى إلى المذهب السني تحت لواء الدولة العباسية، وأخذت تمارس دورها الطبيعي في أحداث المنطقة وبعودتها تم احكام الطوق على الصليبيين في بلاد الشام، ووحدت الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين، فكانت شوكة في حلق الصليبيين .

لم يكتف دعاة الفرقة والخيانة بهذا كله، بل استمروا في غرس الأسافين في قلب العالم الاسلامي، وسعوا جاهدين لتمزيق أي وحدة اسلامية تقوم لمواجهة الصليبيين، ومحاولة التخلص من صاحبها بأي ثمن ففي ذي القعدة من عام ٥٦٤ هـ اتفق مؤتمر الخلافة - وهو خصي كان بقصر الخليفة العاضد، وكان الحكم في القصر إليه - مع جماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه، فأرسلوا إلى الفرنج كتابا بذلك مع انسان يشقون به، وأخذوا ينتظرون الجواب . وكانت خطة مؤتمر الخلافة المقترحة في هذا الكتاب أن يتحرك الفرنج إلى الديار المصرية، فإذا وصلوا إليها خرج صلاح الدين في العساكر لقتالهم، فيثور هو ومن معه من المصريين في الداخل ويقتلون مخالفينهم من أنصار صلاح الدين، ثم يخرجون جميعا في أثر صلاح الدين حتى يأتونه من الخلف، فيصبح محاصرا بين مؤتمر الخلافة وجنوده والصليبيين، فيقتلونهم ولا تبقى لهم باقية (١) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٤٥/١١ - ٣٤٦ - ٣٤٧، المقرئزي : اتعاظ الحنفاء

لكن شاعت الأقذار أن ينكشف حامل الرسالة ، وأحضر الى صلاح الدين فسأله عن كاتب الرسالة فقال : رجل يهودى ، فأحضر اليهودى ، وأمر بتقريره ، فاعترف بذلك وأخبر صلاح الدين الخبر ، فأرسل صلاح الدين على الفور جماعة من أصحابه الى مؤتمن الخلافة حيث كان يتنزه فى قرية له فأخذوه وقتلوه وأتوه برأسه ، وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة ، ثم مالبت أن شار جند السودان الذين بمصر غضبا على قتل مؤتمن الخلافة ، لأنه كان يتعصب لهم ، فجمعوا خمسين ألفا من رجالهم ، وساروا لحرب صلاح الدين ، فدارت بينهم عدة معارك بين القصرين ، وكثر القتل فى الفريقين ، وأرسل صلاح الدين الى محلته المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمتهم ، فلما علموا بذلك ولوا منهزمين ، فركبهم السيف وظل القتل فيهم مستمرا الى أن قضى على آخرهم تورانشاه أخو صلاح الدين فى منطقة الجيزة .^(١)

وبعد سقوط الدولة الفاطمية حاول أنصار هذه الدولة أن يتآمروا على صلاح الدين والفتك به ، وإعادة الخلافة الفاطمية الى مصر مرة ثانية . فاتفق جماعة من شيعة العلويين ، منهم عمارة اليمنى الشاعر المعروف وعبد الصمد الكاتب ، والقاضى العويرسى ، وداعى الدعاة عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى ، وقاضى القضاة هبة الله بن كامل ، ومعهم جماعة من أمراء صلاح الدين وجنده ، واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى الديار المصرية على شئ بذلوه لهم من المال والبلاد ، فاذا قصدوا البلاد ، وخرج اليهم صلاح الدين لمقاتلتهم شاروا هم فى القاهرة ومصر وأعادوا الدولة الفاطمية ، وان بقى صلاح الدين وأرسل العساكر لمواجهتهم شاروا به ، وأخذوه أخذا باليد لعدم وجود

(١) نفس المصادر السابقة .

مناصرين ومساعدين له ، فرتبوا أمرهم على هذا وشكلوا فيما بينهم هيكل الدولة فعينوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقاضى .^(١)

أرسل هؤلاء المتآمرون الى الفرنج بصقلية وساحل الشام فى ذلك وتقررت القاعدة بينهم ، ولم يبق الا أن يغزو الصليبيون مصر ، ولكن آبت المشيئة الالهية الا أن تفضح هؤلاء القوم من الباطنية ، وكان من غباثهم أنهم أدخلوا معهم فى المؤامرة الأمير زين الدين على بن نجا الواعظ فأخبر ابن نجا السلطان صلاح الدين بما تعاقد عليه القوم فكافأه السلطان على ذلك بأموال جزيلة ، ثم استدعاهم واحدا واحدا ، وقررهم فأقروا بذلك ، فاعتقلهم ثم استغنى الفقهاء فى أمرهم ، فأفتوه بقتلهم فقتل رؤوسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنفى من بقى من جيش العبيديين الى أقصى البلاد .^(٢) وسلم الله مصر مرة أخرى من أيدي الباطنية ، وبقيت تحت لواء السنة لتأخذ دورها فى الجهاد ضد الصليبيين .

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٨/١١ - ٣٩٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٧٥/١٢ ، الذهبى :

دول الاسلام ٨٤/٢ .

المبحث الثانى

مقاومة الفاطميين للصليبيين

بعد سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين فى عام ٤٩٢هـ، وانكشاف الحقيقة التى جاءوا من أجلها، وعدم وقوفهم عند حد الاستيلاء على أنطاكية وغيره من المراكز الإسلامية فى شمال الشام، وتوغلهم جنوباً فى بلاد الشام صوب فلسطين والأماكن المقدسة واصطدامهم بمناطق النفوذ الفاطمى أدرك الأفضل أمير الجيوش بمصر حقيقة خطر الصليبيين، وأنهم سيهددون مصر وكافة مناطق النفوذ الفاطمى فى جنوب الشام إذا لم يتخذ موقفاً حاسماً منهم، لذلك بدأ فى إعداد الجيوش وإرسال الحملات العسكرية لمحاربة الصليبيين وتوقيفهم عند حدهم .

فى عام ٤٩٦هـ أعد الأفضل أمير الجيوش حملة عسكرية كبيرة وأرسلها إلى فلسطين لمحاربة الصليبيين هناك وتهديدهم، وجعل على قيادة هذه الحملة أحد معاليك أبيه المعروف باسم سعد الدولة القواسى^(١)، واتجهت هذه الحملة الفاطمية صوب فلسطين، وتجمع أفرادها فى مدينة عسقلان قاعدة الفاطميين العسكرية التى انطلقت منها القوات الفاطمية لمحاربة الصليبيين فى هذه المرحلة . لكن قيادة هذه الحملة لم تقم بأى عمل عسكرى ضد الصليبيين فور وصولها، بل بقيت مرابطة فى عسقلان عدة أشهر دون أن تفعل شيئاً، وربما كان ذلك التصرف لعدة أسباب كانت تراها قيادة الحملة منها : انتظار وصول امدادات جديدة، أو استطلاع أخبار العدو واختيار الوقت المناسب لمباغتته، أو أنهم كانوا يخشون الدخول فى معركة ضد الصليبيين، المهم أن هذا التسويف وتضييع الوقت أتاح الفرصة

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠ .

الكافية للصليبيين بقيادة زعيمهم بلدوين الأول ملك بيت المقدس من اتخاذ
(١)
كافة التدابير والاستعدادات اللازمة لمواجهة قوات الفاطميين في عسقلان .
تحركت القوات الفاطمية من عسقلان بعد أن وصلت لها الامدادات المطلوبة
واتجهت الى منطقة الرملة حيث تستطيع منها تهديد كل من يافا وبيست
المقدس . هنا أدرك بلدوين الأول ملك بيت المقدس خطورة هدف القسوات
الفاطمية ، وعلم أن هدفها الوصول الى بيت المقدس واسترجاعه من أيدي
الصليبيين ، فبادر الى عقد مجلس حربي في يافا ، وتقرر فيه أن يبدأ
الصليبيون بمهاجمة القوات الفاطمية فوراً ، وأخذ بلدوين يشجع أفراد
قواته ويحرضهم على قتال المسلمين ، وذكرهم بأنهم اذا ماتوا فانما
يلحقون بالشهداء ، والقديسين ، واذا انتصروا ، فانهم بذلك يؤدون للمسيحية
خدمة ليس لها مثيل ولا يعادلها عمل آخر . فزحف الصليبيون وهم يحملون
صليب الصليبوت بقيادة بلدوين الأول ورجال الدين المسيحي ، والتقوى
الجيشان في السهل الواقع الى الجنوب الغربي من مدينة الرملة
"فحملت الفرنج حملة صادقة ، فانهزم المسلمون" ، فقتل من الجيش الفاطمي
عدد كبير ، وفر الباقون الى مدينة عسقلان بعد أن قتل قائد الحملة
سعد الدولة القواسي ، واستمر الصليبيون يطاردون المسلمين حتى أسوار
عسقلان ، وغنم الفرنج في هذه المعركة جميع ماله للمسلمين .
(٢)

بعد هزيمة الفاطميين في موقعة الرملة ، لم يستطع الوزير الأفضل
الفاطمي صبرا على الهزيمة ، فأسرع على الفور الى اعداد حملة عسكرية
كبيرة ، بلغ تعدادها عشرين ألف رجل ، وجعل قيادتها لابنه شرف المعالي

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٥/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠ ، المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣ ، ابن

القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٧ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية

(١) سماء الملك حسينا . وبعد تجهيز هذه الحملة اتجهت الى عسقلان ، ومن عسقلان سلكت نفس الطريق الذي سلكته الحملة السابقة ، فاتجه الجيش الفلظمي الى اللد والرملة حيث يستطيع تهديد كل من يافا وبيت المقدس .

لما سمع الصليبيون بقدوم هذه الحملة ، أخذوا استعداداتهم الكاملة فحشدوا في يافا بضعة آلاف من جنودهم ، أما الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس فلقد أخذ أهبطه ، ويبدو أنه اغتر بانتصاره السابق واستخسف بأمر الفاطميين ، فخرج من بيت المقدس في عدد قليل من فرسانه بلغوا مائتي فارس اتجه بهم الى الرملة ، وعند يازور بالقرب من الرملة (٢) باغتت القوات الفاطمية الملك بلدوين ورجاله فلم يستطيعوا الثبات أمام القوات الفاطمية " فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وعاد من سلم منهم مغلولين " ، ولما رأى الملك بلدوين شدة الأمر خاف القتل والأسر فألقى بنفسه في الحشيش واختفى فيه ، فلما ابتعد المسلمون خرج منه الى الرملة (٣) .

واصلت القوات الفاطمية زحفها باتجاه الرملة وضربت عليها الحصار آخر النهار استعدادا لاقتحامها في الصباح ، وفي منتصف الليل تنكسر بلدوين وخرج منها متخفيا الى يافا ، واستطاع أن يفلت من مطاردة الفاطميين ، الذين لاحقوه حتى بعد أن سمعوا خبر فراره . أما شرف (٤)

-
- (١) المقریزی : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣ .
 (٢) يازور : بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٢٥/٥ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠ ، ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ص ٢٢٩ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ٣٤٦/١٠ .

المعالى بن الأفضل فشرع فى مهاجمة الرملة، فنزل على قصر بها كان قد بناه الفرنج وبه سبعمائة من أعيان الفرنج، فقاتلهم ابن الأفضل خمسة عشر يوماً، فقتل منهم أربعمائة صبياً، وأسر ثلاثمائة بعث بهم إلى القاهرة (١) . وبذلك سقطت الرملة بأيدي الفاطميين عام ٤٩٦ هـ .

تابعت القوات الفاطمية زحفها بعد الرملة إلى يافا، وضربت عليها الحصار، فى حين وصل بلدوين الأول إلى أرسوف فتقوى به الصليبيون فيها . وبدأ فى تجميع الجيوش الصليبية لمواجهة الفاطميين، وتمكن بلدوين من دخول مدينة يافا عن طريق البحر، ولحقت به كثير من الامدادات الصليبية وشاءت المصاف أن تمل إلى ميناء يافا مائتا سفينة من الغرب تحمل عدداً كبيراً من الجند والحجاج الانجليز، وتمكنت هذه السفن من اختراق حصار الاسطول الفاطمى والوصول إلى ميناء يافا، وبذلك حصل للصليبيين ماكانوا يرجونه، فارتفعت معنوياتهم، وقرروا الشار لهزيمتهم فى الرملة والانتقام من الفاطميين وانزال الهزيمة بهم .

كان أصحاب شرف المعالى بعد انتصارهم فى موقعة الرملة قد اختلفوا "فقال قوم : نقصد البيت المقدس ونتملكه، وقال قوم : نقصد يافا ونتملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف، اذ وصل إلى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس" (٢) .

خرج بلدوين على رأس قواته وهاجم القوات الفاطمية المحاصرة ليافا واستطاع فك الحصار المضروب على يافا، وانزل الهزيمة بالقوات الفاطمية

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠، المقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣، سعيد

عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٢/١ - ٢٨٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ .

(١)

المحاصرة التي ولت الأدبار نحو عسقلان .

لما علم الأفضل بهزيمة ابنه ومالحق به ، أسرع الى ارسال حملتين عسكريتين ، احدهما برية مكونة من أربعة آلاف فارس ، وجعل على قيادتها أحد مماليكه المعروف باسم تاج العجم ، والآخرى بحرية بقيادة رجـل يقال له القاضي ابن قادوس ، فنزل ابن قادوس بالاسطول على يافا ، ونـزل تاج العجم على عسقلان ، ولكن عدم التعاون والتنسيق بين قائدي الحملتين جعل موقف القوات الفاطمية في حرج أمام الصليبيين ، فابن قادوس استدعى اليه تاج العجم ليتفقا على حرب الفرنج ، فرفض تاج العجم الحضرور أو مساعدة ابن قادوس وقال : " مايمكنني أن أنزل اليك الا بأمر الأفضل ولم يحضر عنده ، ولا أعانه ، فأرسل القادوسى الى قاضى عسقلان ، وشهودهـا وأعيانها ، وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوما ، واستدعى تاج العجم فلم يأتـه ، ولا أرسل رجلا ، فلما وقف الأفضل على الحال ، أرسل من قبض على تاج العجم ، وأرسل رجلا لقيه جمال الملك ، فأسكنه عسقلان وجعله متقدما . العساكر الشامية " (٢) .

في تلك الأثناء أرسل بلدوين الأول رسالة عاجلة الى تنكرد الوصى على أنطاكية ، والى بلدوين أمير الرها ، يطلب منهما امداده . بنجدة سريعة ولم تلبث هذه النجدة . التي بلغت خمسمائة من الفرسان وألف من المشاة أن وصلت الى يافا وعلى رأسها أمير أنطاكية والرها . وكان من الممكن أن يصبح لتلك التجمعات الصليبية شأن كبير لو أن الفاطميين ثبتوا فى القتال فى معركة فاصلة ضد الصليبيين ، ولكن الجيوش الفاطمية عـقـب

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣ ، سعيـد

عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٩/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٣/٣ .

هزيمتها أمام يافا، آثرت الانسحاب - وفي أعقابها الصليبيون - حتى
(١)
عسقلان .

لم يستكن عزم الفاطميين عن مقاومة الصليبيين ومحاولة الانتقام
منهم، وطردهم من الشام، فرغم انتصار قوات الوزير الفاطمي الأفضل على
الصليبيين في موقعة الرملة الثانية، فإنه أعد جيشا كبيرا بلغ خمسة
آلاف جندي من المصريين والسودان، فضلا عن الفرسان العرب، وجعل على
قيادة هذا الجيش ابنه سناء الملك حسين، وأنفذه الى عسقلان، وفي
نفس الوقت أخذ الأسطول الفاطمي كامل استعداداته لمساندة الجيش من
ناحية البحر، ولم يتردد الوزير الأفضل في طلب المساعدة من سلاجقة دمشق
السنين، على الرغم من الخصومة المذهبية بينهم وبين الفاطميين الشيعة
فعرض على طغتكين أتابك دمشق أن يساعده في قتال العدو المشترك، وفعلا
استجاب طغتكين لنداء الفاطميين، فأرسل اليهم أحد قواده واسم—
(٢)
"اصبهذ سباوه" ومعه ألف وثلثمائة فارس .

لما علم بلدوين الأول ملك بيت المقدس بتلك الأحداث، وبخطـ
ة المسلمين، واصرارهم على قتاله، خرج من يافا على رأس قواته وسار بهم
الى الرملة، حيث يستطيع منها حماية يافا من ناحية، وحماية بيت المقدس
من ناحية أخرى، واجتمع حول بلدوين أنداده من أمراء الصليبيين ومعهم
جيوشهم، ولم يكذبوا بمرار بطرق بيت المقدس يأتى ومعه صليب الصليبوت وعدد
من الرجال حتى دارت المعركة المنتظرة مع المسلمين بين عسقلان ويافا
والتي انتهت بتمزيق القوات الفاطمية شر ممزق، وفرار الدماشق الذين
أرسلهم طغتكين، وقتل كثير من أمراء الجيش، من جعلتهم جمال الملك أمير

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٩٠/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٩٤/١٠، المقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٥/٣ .

عسقلان ، هذا مع ملاحظة أن خسائر الصليبيين أيضا كانت كبيرة في تلك
الموقعة ، فقتل منهم كثيرون على رأسهم قائد قوات أرسوف وقائد قوات عكا
ولقد عبر المؤرخ ابن الأثير عن نتيجة هذه الموقعة تعبيرا دقيقا فقال :
"لم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، فقتل من المسلمين ألف ومائتان
ومن الفرنج مثلهم ، وقتل جمال الملك أمير عسقلان" (١) . ومن سوء حظ المسلمين
في هذه المعركة أن الأسطول الفاطمي لم يكن له أي دور فيها ، بل
وتعرض أثناء عودته إلى مصر لعاصفة شديدة ، قذفت نحو عشرين سفينة من
سفنه إلى الموانئ الصليبية ، فأسرها الصليبيون وأخذوها غنيمة بدون
قتال . (٢)

كان من نتائج هذه المعركة أنها كانت آخر محاولة كبرى قام بها
الفاطيون في مقاومتهم للصليبيين في هذه الفترة ، فيئس الفاطميون
من حرب الصليبيين ، واقتصر نشاطهم الحربي ضدهم بعد ذلك على التهديدات
والغارات البسيطة ، التي تنطلق من مركز الهجمات الفاطمية في مدينة
عسقلان . ومن هذه الغارات هجوم القوات الفاطمية عام ٥٥٠هـ على قافلة
حجاج صليبية بين يافا وأرسوف ، كما هاجموا عام ٥٥١هـ الخليل ، وفي
عام ٥٥٤هـ تقدم الفاطميون في هجماتهم السريعة حتى وصلوا إلى أسوار
مدينة بيت المقدس . (٣)

وجد الصليبيون في موقف الدولة الفاطمية الضعيف والغير قادر على
صد هجماتهم ، خير مشجع ومعين لهم للاستيلاء على مزيد من المواقع والحصون

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٥/١٠ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣/٣٥ ، ابن

القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٠ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٩٦/١ .

(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٥ .

وتأمين ممتلكاتهم خاصة مملكة بيت المقدس، فأعد بلدوين الأول ملك بيت المقدس حملة عسكرية اتجه بها جنوبا حتى آيله على ساحل خليج العقبة ولم يلق بلدوين فى طريقه أى مقاومة تذكر، حيث فر الأهالى من وجهه خوفا وفرعا، وفى مدينة آيله بنى بلدوين قلعة حصينة استطاع من خلالها أن يتحكم فى الطريق البرى للقوافل بين مصر والشام عبر شبه جزيرة سيناء، كذلك شيد قلعة ثانية فى جزيرة فرعون الواقعة قبالة آيلة فى خليج العقبة .^(١)

لم يكتف بلدوين بهذا، بل طمع بأكثر من ذلك، فأخذ يفكر فى غزو الفاطميين فى عقر دارهم حتى يشعرهم بقوته، وآلا يفكروا بمهاجمته ومحاربتة بعد ذلك، فأعد حملة كبيرة فى عام ٤٩٦هـ وعبر بها الصحراء من غزة الى العريش حتى وصل الى الفرما واستولى عليها وأحرق جامعها ومساجدها .^(٢)^(٣)

كان لجرأة الصليبيين فى مهاجمة مصر الأثر البالغ فى ايقاظ الدولة الفاطمية من سباتها، وجعلها تفكر جديا فى كيفية درء هذا الخطر الذى أصبح يهددها تهديدا مباشرا، فشرع الوزير الأفضل أمير الجيوش فى القيام بمحاولة جديدة. يرد بها على العدوان الصليبي، فبادر بإرسال قواته الى عسقلان وأسطوله الى صور، وفى هذه المرحلة حدث الأمر الذى لم يكن فى الحسبان ألا وهو تحالف الدماشقة السنيين مع الفاطميين الشيعة ضد

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٦، أحمد رمضان : شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ص ٦٦ .

(٢) الفرما : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقى تنيس على ساحل البحر على يمين القنات لمصر . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٥٦/٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧١/٥ .

المليبيين ، فتم الاتصال بين الوزير الأفضل في مصر وطغتكين في دمشق على القيام بعمل مشترك بتوحيد جهودهما في قتال المليبيين كل من ناحيته فوافق الطرفان على هذا ، وعلى الفور توجه طغتكين بنفسه الى عسقلان حيث ترابط القوات الفاطمية ليتولى قيادة القوات المشتركة الشامية والمصرية . والتي كان عددها سبعة آلاف فارس ، " فاجتمع بهم طغتكين ، وأعلمهم المقدم عليهم أن صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتمسرف على ما يحكم به " (١) .

آحس الملك بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس الجديد - بخطورة الموقف ، فحاول عزل طغتكين عن الأفضل ، وعرض على الأول عقد هدنة ، ولكن طغتكين رفض عرضه . وفى نفس الوقت استنجد بلدوين الثانى بالمليبيين فى أنطاكية وطرابلس ، ولكن الموقف لم يؤد الى صدام بين الطرفين اذ رابط كل من المليبيين والمسلمين مدة شهرين أو ثلاثة ، ثم انصرف كل فريق من حيث أتى دون أن يقع بينهما قتال (٢) .

لم يسكن وزراء الدولة الفاطمية لهذا الضعف ، فأخذوا يبذلون قصارى جهدهم لمواجهة المليبيين ومحاولة صدهم ووقف زحفهم بأى وسيلة كانت ، وفى عام ٥٤٤هـ تولى ابن السلال الوزارة فى الدولة الفاطمية (٣) للخليفة الفاطمى الظافر ، وكان ابن السلال هذا سنى على المذهب الشافعى فلم يرض عنه الخليفة الفاطمى وأخذ يكيد له ويدبر المؤامرات للتخلص منه (٤)

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٤٣/١٠ .

(٢) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤١٧/٣ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٨٢ .

فى هذا الوقت كان ابن السلار يضع مخططا لمقاتلة الصليبيين فى غزة وعسقلان ، وسعى لانجاح هذا المخطط بأن اتصل مع نور الدين محمود للاتفاق على ذلك ، فاستدعى ابن السلار أسامة بن منقذ وكان فى هذا الوقت موجودا فى مصر ، وعهد اليه بمهمة الاتصال بنور الدين محمود ، وقال له : " تأخذ معك مالا وتمضى اليه لينازل طبريه ، ويشغل الفرنج عنا ، لنخرج من هاهنا .^(١) نخرّب غزة " .

سافر أسامة بن منقذ من مصر مزودا بستة آلاف دينار مصرية ، عسدا الثياب وغيرها من المعتاق ، واتجه الى الشام بصحبة قوم من العسك^(٢)رب أدلاء ، والتقى مع أسد الدين شيركوه فى بصرى ، ومنها صحبه الى دمشق حيث التقى مع نور الدين محمود وتحدث معه بما جاء به ، فأبى نور الدين الاستجابة لمشروع ابن السلار وقال لأسامة : " يافلان أهل دمشق أعسدا^(٣) والفرنج أعدا ، ما آمن منهما اذا دخلت بينهما " . ولكن مع هذا سمح نور الدين لأسامة أن يستأجر بالمال الذى زوده به الوزير الفاطمى ابن السلار جندا يحارب بهم الصليبيين ، فجمع أسامة ثمانمائة وستين فارسا ، وزوده نور الدين بثلاثين فارسا من أصحابه بقيادة الأمير عين الدولة الياروقس^(٤) واتجه بهم الى الصليبيين لمحاربتهم .

نازل أسامة بن منقذ - بما توافر لديه من قوة - الصليبيين فى عسقلان وبيت جبريل ويبنا ، ولكنه لم يستطع أن يحقق أى نجاح حربى ملحوظ^(٤)

- (١) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٠ .
- (٢) بصرى : بليدة بالشام من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران . انظر ياقوت الحموى : المشترك وفعما ص ٥٧ .
- (٣) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٤ ، ١٥ .
- (٤) بيت جبريل : بليد بين بيت المقدس وغزة ، بينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١/ ٥١٩ .

ضد الصليبيين فى تلك العمليات الحربية ، لصغر قواته من ناحية ، وعدم
تماسكها بالنظام والطاعة من ناحية أخرى . . عندئذ استدعى الوزير
الفاطمى ابن السلار اسامة بن منقذ الى القاهرة ، فحضر وترك أخاه عمن
الدولة أبا الحسن على فى عسقلان ليوصل مقاتلة الصليبيين فى غزة
ولكن أبا الحسن لم يلبث أن استشهد فى تلك العمليات . . (٢)

يقول الدكتور سعيد عاشور : ومهما يكن من أمر ، فإننا نخرج من هذه
الأحداث بعدة معان : أولها استمرار تمسك وزراء الدولة الفاطمية
- وهم أصحاب النفوذ الفعلى فيها - بفكرة الجهاد ، وثانيها اتجاه هؤلاء
الوزراء الى زكى ثم الى ابنه نور الدين محمود طالبين محالفتهم
والاستعانة بهم فى تنفيذ مشاريعهم ضد الصليبيين ، وذلك بعد أن يثب
الوزراء من أمر الخلفاء الفاطميين أنفسهم ، وثالثها اضطراب أحوال
الدولة الفاطمية وضعفها وعجزها عن القيام بعمل حربى منفرد ضد
الصليبيين بالشام . . (٣)

لم يلبث أن اغتال الخليفة الفاطمى الظافر الوزير ابن السلار
فى عام ٥٤٨ هـ . . وتولى الوزارة الملك الصالح طلائع بن رزىك ، ولم يلبث أن
رفع الصالح بن رزىك علم الجهاد من جديد ، فاهتم بارسال الأساطيل
والسرايا لمهاجمة الصليبيين ، فجهز فى عام ٥٥٠ هـ أسطولاً هاجم ميناء
صور حيث ظفر بمراكب الفرنج ، وعاث فى الميناء قتلاً وأسراً ، وعقد الفرنج

(١) اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٥ - ١٧ . .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٨ . .

(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٥ . .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٨٤/١١ . .

مع الصالح بعد هذه الوقعة هدنة استمرت حتى سنة ٥٥٢هـ، شرع الصالح —
(١)
بعدها في ارسال الحملات البرية والبحرية للاغارة على بلاد الفرنج .

كما حصلت اتصالات بين الصالح ونور الدين محمود للعمل يدا واحدة ضد
المليبيين، وكتب الصالح له عدة قصائد يحرضه فيها على الجهاد، فأرسل
نور الدين رسولا سنة ٥٥٢هـ، وآخر سنة ٥٥٣هـ، كما قدم رسول من عند الفرنج
يطلب الصلح، وقد أعاد الصالح رسول نور الدين بجواب رسالته ومعه —
هدية من الأسلحة ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن العين ما يبلغه سبعون
ألف دينار تقوية له على جهاد الفرنج . ولقد اهتم المليبيون بمهادنة
الصالح، فأرسلوا رسولا آخر سنة ٥٥٤هـ ومعه هدية وعرض بقيام هدنة —
بين الطرفين، إلا أن رسولا من قبل نور الدين وصل الى مصر يخبر بأن —
متوجه لمهاجمة المليبيين، وطلب خروج حملة من مصر تشغلهم، فبادر
الصالح بتجهيز ستة آلاف وخمسمائة فارس، لشن الغارات على غزة، كما —
(٢)
خرج أسطول في البحر لمهاجمة موانئ العدو وسفنه .

ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين ابن رزيك ونور الدين على أنه بعد
طرد المليبيين من الشام يجرى تقسيمها بين نور الدين ومصر، ويظهر —
ذلك من قصيدة للمهذب بن الزبير أحد أصدقاء ابن رزيك المقربين —
اذ يشير في قصيدته هذه الى تلك الوقعة والى هذا الاتفاق، فمن تلك
القصيدة :

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٢٣٠/٣، محمد المناوى : الوزارة والوزراء
ص ٢٢٩ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٢٣٣/٣ - ٢٣٤ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ٢٣٦/٣، محمد المناوى : الوزارة والوزراء
ص ٢٣٠ .

وأعدت رسل ابن القسيم اليه فى شعبان كيما يلأم الشعبان
والفأل يشهد باسمه أن سوف يغدو الشام وهو عليهما قسمان
وأراك من بعد الشهيد أبا لله (١)
وجعلته من أقرب الإخوان

ولكن برغم اهتمام الصالح بقيام هذا التحالف، وكتبه المتلاحق
لحث نور الدين على العمل يدا واحدة، والقيام بمجهود مشترك ضد العدو
الآن ذلك لم يأت بالغرض المنشود، أما لأن نور الدين لم يكن يثق تماما
فى عروض مصر، أو لأن القدر لم يمهل الصالح اذ قتل بعد قليل . ومات
الصالح وهو يتأسف لعدم تمكنه من فتح بيت المقدس وطرد الصليبيين .

وبقتل الصالح بن رزيك دخلت مصر فى حالة من الفوضى لم يكن لها
مثيل وأصبح التطاحن بين الوزراء على أشده، فلم تخرج من مصر بعد مقتل
الصالح أى حملة عسكرية ضد الصليبيين، فتوقف العمل العسكرى
أن قتل شاور آخر الوزراء الفاطميين، وتولى الوزارة بعده بتقليد من
ال خليفة الفاطمى القائد أسد الدين شيركوه السنى ومن بعده ابن أخيه
صلاح الدين الأيوبي . وفى عهدهما بدأت صفحة جديدة فى تاريخ مصر، فقام
صلاح الدين باسقاط الدولة الفاطمية وتحويلها من المذهب الشيعى
الى المذهب السنى، وأرجعها الى التبعية للدولة العباسية، وبدأ بعد
ترتيب الأمور الداخلية فى اعداد الجيوش وارسال الحملات العسكرية
المتوالية لمقاتلة الصليبيين فى الشام الى أن استطاع استرجاع بيت
المقدس من الصليبيين بعد موقعة حطين الشهيرة فى عام ٥٨٣ هـ .

(١) أبو شامة : الروشتين ١٤٧/١ - ١٤٨، محمد المناوى : الوزارة
والوزراء ص ٢٣٠ .

الفصل الثالث

البيان المنهية النزارية (الخصاسون) وورهم في الحروب
الصليبية

- البحث الأول : معاملة النزارية مع الصليبيين
- البحث الثاني : الاختيار القادة المسلمين
- البحث الثالث : افساد المجتمع الإسلامي من الداخل
- البحث الرابع : موقف القادة المسلمين من
البيان المنهية النزارية

المبحث الأول

تعامل الباطنية النزارية مع الصليبيين

كان أول ظهور الباطنية ببلاد الشام فى مدينة حلب ، التى كانت تحت حكم الملك السلجوقى رضوان بن تتش ، حيث اقام الداعى الباطنى الحكيم المنجم الذى أرسله الحسن بن الصباح من ألموت لنشر الدعوة فى الشام واستطاع استمالة رضوان الى الباطنية على أساس أن يستغل هذا شجاعة الباطنية فى اغتيال خصومه السياسيين ، فحفظ الملك رضوان جانبهم وشايعهم حتى أصبح لهم بحلب دار دعوة (١) .

لكن لم يلبث أن توفى الحكيم المنجم فتولى أمر الباطنية بعده فى الشام رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمى ، الذى سار على نفس الطريقة التى سارت عليها الباطنية فى بلاد فارس ، فاعتمد الاغتيال كوسيلة لتثبيت أقدامه فى الشام وفرض سيطرته ، فقام فى عام ٤٩٨هـ باغتيال خلف بن ملاعب صاحب أفامية عن طريق أحد دعاة هناك ، حيث تسلم أبوطاهر الصائغ الحصن عقب ذلك وأقام فيه (٢) .

بعد استفحال أمر الباطنية فى حلب والشام ، أرسل السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه الى ألب أرسلان بن رضوان بن تتش - الذى تولى الحكم فى حلب بعد وفاة أبيه - أن يفتك بالباطنية ويقتلهم ، فقرر ألب أرسلان الايقاع بهم والقضاء عليهم ، فقبض على أبى طاهر الصائغ وقتله ، وقتل اسماعيل الداعى وأخا الحكيم المنجم والأعيان من أصحاب هذا المذهب

(١) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ص ١٤٠ ، ١٤١ ، انظر ما سبق ص ٥٦ .

(٢) المقرئى : اعتاظ الحنفا ٣/ ٣٦ .

(١)

الباطنى بحلب ، واستمضى أموالهم وتفرقوا فى البلاد .

ظلت الباطنية فى الشام مختفية مغلوبة على أمرها ، بسبب مطاردة الحكام والعامّة لها ، الى أن جاءت سنة ٥٢٠ هـ ، حيث كان على زعامة الباطنية رجل يعرف باسم بهرام ، فقال عنه ابن القلانسي : " وفى هذه السنّة استفحل أمر بهرام داعى الباطنية وعظم خطبه فى حلب والشام ، وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزى واللباس ، بحيث يطوف البلاد والمعازل ولا يعرف أحد شخصه " (٢) .

استقر المقام بداعى الباطنية بهرام فى دمشق حيث أرسل نجم الدين ايل غازى بن أرتق صاحب الموصل الى الأمير ظهير الدين أتابك دمشق خطابا يستأذنه فى أن يقيم عنده بهرام حتى يؤمن شره وشر جماعته ، فأذن له الأمير ظهير الدين بالمقام عنده فى دمشق . وفى دمشق " وافق وزير الأمير ظهير الدين أبو على طاهر بن سعيد المزدقاني داعى الباطنية بهرام ، وساعده على نشر مذهبه وبث أفكاره ، فعظمت المصيبة بهم ، وجلست المحنة بظهور أمرهم ، وضاقت صدور الفقهاء والمتدينين والعلماء وأهل السنّة ، والمقدمين ، وأحجم كل منهم عن الكلام فيهم ، دفعا لشرهم وارتقابا لدائرة السوء عليهم ، لأنهم شرعوا فى قتل من يعاندهم ، ومعاضدة من يؤازرهم على ضلالهم " (٣) .

لم يكتف بهرام بهذا ، بل حن الى ماضيه وماضى جماعته فى سفك الدماء وقتل الأبرياء ، فحدثته نفسه بقتل برق بن جندل أحد مقدمى وادى التيسم لغير سبب ، فخدعه الى أن حمل فى يده ، فاعتقله وقتله صبرا ، لكن أخوه

(١) انظر ما سبق ص ٥٨ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٢ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٣٤٣ .

ضحاك لم ينم على دم أخيه فجمع أتباعه وعقدوا العزم على الأخذ بثأر برق، فسار ضحاك مع أتباعه والتقى مع أصحاب بهرام ودارت بينهما معركة فى وادى التيم أسفرت عن هزيمة أصحاب بهرام حيث قتل أكثرهم وسقط (١) بهرام نفسه قتيلًا فى هذه المعركة .

بعد مقتل بهرام قام مقامه فى قلعة بانياس رجل من الباطنية اسمه اسماعيل العجمي، وأقام الوزير المزدقاني عوض بهرام بدمشق رجلاً من الباطنية اسمه أبو الوفا، فعظم أمر أبي الوفا هذا بسبب مساندة الوزير المزدقاني له، حتى أصبح حكمه فى دمشق أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك بوري .

لم يقنع أبو الوفا بهذا، بل حدثه نفسه بالخيانة والاستعانة بالمليبيين على أهل دمشق المسلمين، وتسليم دمشق اليهم، فكتب أبو الوفا زعيم الباطنية فى الشام الفرنج على أن يسلم اليهم دمشق، ويسلموا اليه عوضها مدينة صور، واتفقوا على ذلك، وتقرر بينهم الميعاد على أن يكون قدوم المليبيين الى دمشق فى يوم جمعة وقت الصلاة، على أن يجعل أبو الوفا أصحابه على أبواب جامع دمشق، فلا يمكنوا أحداً من الخروج منه حتى يجيء الفرنج ويتسلموا دمشق . علم تاج الملوك بوري صاحب دمشق بهذه المؤامرة، فبادر بالتخلص من أصحابها، ومن كل من ساهم فيها، وبدأ بوزيره أبي على طاهر بن سعيد المزدقاني، فاستدعاه اليه فحضر، وخلا معه فقتله تاج الملوك لتواطئه مع الباطنية، وعلق رأسه على باب القلعة، ثم نادى تاج الملوك فى البلد بقتل الباطنية، فثار بهم أهل دمشق فقتلوا منهم ستة آلاف نفر، وكفى الله المسلمين شرهم (١) .

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٥٣ (بتصرف) .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣/٢٠٣، ابن الأثير : الكامل

أما الصليبيون فلقد وصلوا على الميعاد المقرر بينهم وبين الباطنية وحاصروا دمشق استعداداً لأخذها، لكنهم علموا أن تاج الملوك قد بطلت بحلفائهم وقضى عليهم فتأسفوا على ذلك أشد الأسف، وغضبوا على عدم تمكنهم من أخذ دمشق، وأرسلوا إلى أعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلد فلما سمع تاج الملوك بذلك أرسل أميراً من أمرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم، فلقوا الفرنج وقتلوه، فصر بعضهم لبعض، فظفر المسلمون بهم وقتلوه، وأخذوا معهم من غنائم وهي عشرة آلاف دابّة وثلاثمائة أسير، فلما علم المحاصرون لدمشق بهذا ألقى في قلوبهم الرعب، فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وكان البرد والشتاء شديداً (١) فخرج تاج الملوك في أثرهم وأخذ يطاردهم حتى قتل كل من تخلف منهم .

أما صاحب بانياس الباطني اسماعيل العجمي فلما سمع هو وأصحابه بما وقع لأقرانهم في دمشق أسقط في أيديهم، فخاف اسماعيل على نفسه وعلى أصحابه من أن يثور به الناس فيقتلونهم، فراسل الفرنج، وبذل لهم تسليم بانياس على أن ينتقل إلى بلادهم ليأمن بهم، فأجابوه إلى ذلك فسلمها اليهم، وخرج هو وأصحابه متسللين من بانياس إلى الأعمال الفرنجية على غاية من الذلة، ونهاية من القلة، فلقوا شدة وهواناً . (٢)

ظل الحشيشية الباطنية في بلاد الشام على صلة وثيقة بالصليبيين يتآمرون على المسلمين من أهل السنة، ولا يتركون فرصة تلوح للانتقام منهم إلا اهتبلوها، فوجهوا كل عملياتهم ومؤامراتهم ضد قادة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمؤسسات السنية في الشام - " فلم يقاتل الحشيشية

(١) نفس المصادر السابقة .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٥ - ٣٥٦، ابن الأثير : الكامل

(النزارية) الاثنى عشرية أو الشيعة الآخرين ، ولم يديروا سكاكينهم ضد النصارى أو اليهود المحليين^(١) - وهذا يثبت لنا بالدليل القاطع على الصلات الوثيقة، وحقيقة التعاون بين الباطنية والصليبيين من جهة واليهود من جهة أخرى .

فمن الأدلة التي تثبت حقيقة التعاون بين الباطنية والصليبيين أن زعيم الباطنية في الشام راشد الدين سنان أرسل في عام ٥٦٩هـ وفداً الى أمليرك ملك بيت المقدس يقترح عليه عقد اتفاق بين الطرفين ضد القائد المسلم الملك العادل نور الدين محمود، ولوح سنان لملك بيت المقدس بأنه وقومه يفكرون بالتحول نحو النصرانية، وطلب منه مقابل ذلك الغناء الضريبة التي فرضتها فرسان الداوية الصليبيين على بعض القرى الاسماعيلية الباطنية في الشام . ولما عاد وفد الباطنية الحشيشية من القدس سقط في كمين لفرسان الداوية، فقتل الداوية جميع أفراد الوفد فأثاروا بذلك غضب أمليرك ملك بيت المقدس الصليبي ، فبعث بكتاب توبيخ للجنة، وطلب من مقدم الداوية سجنهم، كما أرسل الى سنان مقدم الباطنية معتذراً، وأعلمه أن الجنة نالوا عقابهم، فكان لهذا العمل أثره السيئ زاد في ابقاء العلاقات الطيبة بين الطرفين .^(٢)

أما عن علاقة الباطنية النزارية باليهود، فيبدو أنها لا تقل درجة عن علاقتهم بالصليبيين ، بل كانت أقوى حيث كان الطرفان ممزوجين ببعضهما البعض، فلقد كان عدد كبير من اليهود يعمل بين صفوف الحركة الباطنية النزارية في الشام لخدمة أهدافها، وقد ذكر الرحالة اليهودي بنيامين

(١) برنارد لويس: الحشيشية ص ١٥٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٠، سعيد عاشور: الحركة الصليبية ٧٠٩، ٧٠٨/٢ .

فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٤٧/٢ .

الذى زار منطقة الشام حوالى عام ٥٦٩هـ بأنه كان يقيم بين الاسماعيليين فى الشام نحو أربعة آلاف يهودى ، يسكنون الجبال مثلهم ، ويرافقونهم فى غزواتهم وحروبهم ، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتالهم ، وبيئهم العلماء (١)
التابعون لنفوذ رأس الجالوت ببغداد .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت حقيقة التعاون بين الاسماعيليين الباطنية واليهود ضد المسلمين السنة ، أن كاتب الرسائل الباطنية الموجهة الى ملك بيت المقدس الصليبي بشأن الاتفاق معه للزحف على مصر وقياسم الباطنية فى الداخل بثورة ضد صلاح الدين وقتله وقتل أتباعه وأخذ مصر منه واعادة الدولة الفاطمية مرة أخرى ، كان كاتب هذه الرسائل يهودى . (٢)

من هذا يتضح أن الطوائف الباطنية من اسماعيلية ونصيرية ودروز ليسوا من المسلمين حقيقة ، لبالقول ولبالفعل ولبالاعتقاد ، فلقد كانت مواقفهم دائماً مناوئة للإسلام والمسلمين ، بل تعاونوا فى كل الأوقات مع أعداء الإسلام والمسلمين من صليبيين ويهود . (٣)

لم يقف الباطنية فى الشام عند حد التعاون مع الصليبيين بعقد الاتفاقيات بين الطرفين ، واغتيال القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد فى سبيل الله ضد الصليبيين . بل تعدى الأمر الى أبعد من ذلك ، فلقد أصبح الباطنيون يخوضون مع الصليبيين المعارك الحربية جنباً إلى

(١) عبد الكريم حتاملة : صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام ، مقال فى مجلة الدارة - العدد الثانى - السنة الثانية عشر لعام ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٣ ، دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين فى بلاد مصر والشام والجزيرة ص ٣٧٧ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٧٥ ، ابن الأثير : الكامل ١١/٣٤٦ .

(٣) فايد عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ص ١٨٥ .

جنب ضد المسلمين ، فعندما عزم الملك العادل نور الدين محمود على توجيه ضرباته الى الصليبيين ومهاجمة مناطقهم ، تعاون الباطنية مع الصليبيين ضد هذه الجهود ، ووقفوا مع الصليبيين ضد حركة نور الدين الجهادية . هذه ففي عام ٥٤٤هـ أغار نور الدين محمود على الاقليم المحيط بقلعة حارم على الضفة الشرقية لنهر العاصي ، وهي تابعة للصليبيين ، وطلب من معين الدين أنر المعونة والمساعدة لقتال الصليبيين ، فأمدّه معين الدين بقوة من فرسانه على رأسهم الأمير مجاهد الدين بزان بن ماميين (١) وعندما ترك نور الدين حارم مكثفيا بتدمير ماحولها من ضياع ، أخذ يحاصر قلعة انب ، فلما علم البرنس ريموند صاحب أنطاكية بمحاصرة نور الدين لتلك القلعة ، خرج على رأس قوة من رجاله للتصدي لنور الدين وارجاعه عنها . فالتقى الفريقان في معركة بالقرب من انب وأحاط نور الدين محمود بريموند ورجاله فأبادهم جميعا ولم يبق منهم أحدا ، وكان من جملة القتلى البرنس ريموند صاحب أنطاكية ، وفرح المسلمون كثيرا بقتله (٢) وريشو صاحب كيسوم ومرعش ، فضلا عن علي بن وفاء زعيم الباطنية الذي كان مرافقا للصليبيين ومحاربا معهم في هذه المعركة . (٣) (٤) (٥) (٦)

-
- (١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٧٢ .
 (٢) انب : حصن من أعمال اعزاز ومن نواحي حلب . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٥٨/١ .
 (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٩٨ - ٩٩ .
 (٤) كيسوم : قرية مستطيلة من أعمال سميّاط فيها حصن كبير . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٩٧/٤ .
 (٥) مرعش : مدينة في الشّور بين بلاد الشام وبلاد الروم . ياقوت : معجم البلدان ١٠٧/٥ .
 (٦) برنارد لويس : الحشيشية ص ١٢٥ - ١٢٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٦٢٢/٢ .

استمر زعماء الباطنية فى سياستهم المتحالفة مع الصليبيين ، ولم يتركوا أى فرصة تلوح لعقد أى اتفاق أو تحالف بينهم وبين الصليبيين وكانوا حريصين على ذلك أشد الحرص حتى يعرقلوا أى حركة جهادية يقوم بها المسلمون ضد الصليبيين . وفى أثناء رحلة هنرى دى شامبنى ملك مملكة بيت المقدس الى أنطاكية لتصفية النزاع بين أنطاكية وأرمينية . اتصل هنرى بالباطنية فى مناطق نفوذهم ، وعقد معهم أواصر التحالف والصداقة ، وانتهم زعيم الباطنية فرصة مرور هنرى دى شامبنى بأراضيهم الى أنطاكية ، فحاول أن يجدد مكان بين الباطنية والصليبيين من تحالف فاعتذر له عن مقتل كونراد دى مونتفرات ودعاه لزيارة الباطنية فى حصن الكهف ، فحرص الباطنية أثناء تلك الزيارة على أن يبهرؤا أنظار ملك الصليبيين بقوتهم وثروتهم ، فقدموا اليه كثيرا من الهدايا ، كما عرضوا عليه محالفتهم واستعدادهم لقتل من يرغب فى قتله . (١)

يقول دزید عبدالقادر فى كتابه سياسة صلاح الدين : " ويعتقد المؤرخ "كاهين" أن هناك علاقة بين الاسماعيلية وجماعة الاسبتاريين الصليبيين الذين أصبحوا حماة الاسماعيلية ، وان أولئك الذين اغتيلوا من الصليبيين (٢) انما كانوا أعداء الاسبتاريين . وقد أيد المؤرخ الانجليزى هــجسون

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٨٧٢/٢ - ٨٧٣ .

(٢) من الأدلة التاريخية التى أوردها "كاهين" على اثبات وجود علاقة بين الاسماعيلية والاسبتاريين الصليبيين ما ذكره فى كتابه

La Syrie du-nord .

(أ) فى منطقة الرها كانت هناك أملاك لفرسان الاسبتارية ، وكان للاسماعيلية فى الرها أيضا مركز لدعوتهم وكان ذلك المركز تحت سلطان الاسبتارية اداريا فى القرن ١٣ م .

(ب) قتل الأمير الصليبي ريموند سنة ١٢١٣م فى كنيسة أنطرووس بيد الاسماعيلية الباطنية الذين كانوا مدفعين من قبل الاسبتارية وكذلك مقتل بوهيموند الرابع الذى قتل بسبب الاختلافات التى كانت =

(١)

وجود مثل تلك العلاقة، واعتقد بأن هناك اشارات واضحة تدل على ذلك .

وبعد قيام دولة المماليك في مصر وعقد الصلح بينهم وبين الأيوبيين في الشام لم يعد هناك أى شغل يشغل الطرفين غير الجهاد ضد الصليبيين فاجتمعت جهودهم وقواهم وأخذ كل واحد منهم يعمل من عنده في حـرب الصليبيين ، وفي المقابل وأمام هذا الاتفاق بين مصر والشام ، قام لويس التاسع قائد الصليبيين بتنظيم الدفاع عن الممتلكات والبلدان الصليبية . فقام بتحسين المدن والموانئ الصليبية بتحسينات حربية ضخمة حتى تصمد في وجه الهجمات والغارات الاسلامية ، ولكي يكمل لويس التاسع نظامه الدفاعي عن الممتلكات الصليبية في بلاد الشام سعى الى عقد اتفاقيات وتحالفات واسعة النطاق مع أعداء المسلمين السنة في الشام ، فحاول التحالف مع الباطنية الشيعة الحشاشين من ناحية ومع المغول من ناحية أخرى حتى يتحقق له بهذا التحالف نوع من التوازن بين الصليبيين من جهة والمماليك والأيوبيين من جهة ثانية .

فعندما علم شيخ الجبل - زعيم الحشاشين في بلاد الشام - بوصول لويس التاسع الى الشام أرسل اليه يطلب منه عقد نوع من الارتباط والتفاهم بين الطرفين ، ويبدو أن الباطنية أرادوا من وراء ذلك أن يؤمنوا أنفسهم ازاء الموقف الجديد الناشئ عن قيام دولة المماليك في مصر

= بينه وبين جماعة الاستتارية ، الذين استخدوا الاسماعيلية الباطنية لقتله وقد أكد كاهين أن أولئك الاسماعيلية كانوا مع جماعة الاستتارية حلفاء واحداً ضد المسلمين .

انظر دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة ص ٣٧٦ .

(١) دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين ص ٣٧٦ .

ووقوفها الى جانب الأيوبيين في الجهاد ضد الصليبيين عن طريق عقد تحالف مع الصليبيين بالشام فأرسل شيخ الجبل زعيم الباطنية بعض الهدايا الى لويس التاسع ملك فرنسا - من جملةها فيل من البللور - فرد عليه ملك فرنسا لويس التحية بأحسن منها، مما أدى الى تقوية أواصر التحالف (١)
بين الطرفين .

وأثناء الغزو المغولي الذي استهدف الممالك الاسلامية والخلافة العباسية في بغداد، ورأى الاسماعيلية الباطنية أن مطامع المغول لا تقف عند حد، وأن فتوحاتهم مستمرة، خافوا خطرهم، وصمموا على مقاومتهم فأخذوا يرسلون رسلهم الى انجلترا وفرنسا سنة ٦٣٧هـ طالبين معونة الأوربيين الذين عرفوهم ابان الحروب الصليبية، ولكنهم لم يلقوا مجيبا يشهد بذلك ما قاله أسقف مدينة ونشستر Winchester : "دع هؤلاء الكلاب يأكل بعضهم بعضا حتى يقضى عليهم نهائيا، وعندئذ سوف نقيم على أنقاضهم الكنيسة الكاثوليكية العالمية، فتكون حقا راعيا واحدا (٢)
وقطيعا واحدا" .

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ١٠٤٦/٢ .
(٢) المقریزی : السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ القسم ٢ ص ٣٨٣ حاشية رقم (٤) .

المبحث الثانى

اغتيال القادة المسلمين

ظلت الحركة النزارية الباطنية اسفينا فى قلب المجتمع الاسلامى فزادته ضعفا على ضعف، وساهمت فى تمزيقه ونشر الرعب والارهاب فى أرجاءه فساعد ذلك الأعداء على الطمع فيه ومحاولة السيطرة عليه . لقد كانت الحركة النزارية مصدرا للانحلال السياسى والاجتماعى فى بلاد فارس والشام طيلة عمر الحروب الصليبية ، فاتخذ أتباعها من الاغتيال السياسى والتنصيف الجسدية مبدأ. ساروا عليه لتحقيق أهدافهم فى السيطرة على أجــــزاء كبيرة من بلاد فارس والشام وانهاك القوى السنية فيها، فاتسم تاريخ الحركة النزارية فى هذه البلاد بالقتل وسفك الدماء والاغتيال ، حتى أن زعماء هذه الحركة تناسوا الأهداف الفكرية والمبادئ التى كانوا ينادون بها، وأصبحوا عصاة سرية فريدة من نوعها فى التاريخ ، مدربة على القتل المنظم ، لاهم لهم ولاغاية سوى الاغتيال وبث الذعر ونشر الاشاعات المخيفة .

لقد ذهب ضحية اجرام هؤلاء عدد كبير من قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين والخلفاء والوزراء والعلماء والقضاة والوعاظ ، فكان ممســــر كل قائد مسلم ينادى بالجهاد ضد الصليبيين وتوحيد الجبهة الاسلاميــــة لمواجهة الخطر الصليبي القتل على أيدي رجال الجناح العسكرى فى تنظيم الحركة النزارية الباطنية من الغداوية ، وكذلك اذا ظهر أى عالم أو فقيه أو واعظ، وأخذ يبين زيف أفكار ومبادئ هؤلاء الباطنية وتوعية العامة وتحذيرهم منها، طالت أيدي هؤلاء الباطنية الغادرة هذا

العالم أو الفقيه بالاغتيال والقتل .

وهكذا لم يسلم من بطش الباطنية أى رجل مخلص يظهر فى المجتمع الاسلامى ، وسوف نعرض قائمة طويلة بأسماء قادة ووزراء وسلاطين وفقهاء وقضاة ووعاظ اغتالتهم أيدي أتباع النزارية الباطنية فى بلاد فارس والشام ابان الحروب الصليبية .

ففى ربيع الأول من عام ٤٨٥هـ خرج الوزير السلجوقى نظام الملك فى زيارة لولايات الدولة فى بلاد فارس ، ومعه ولد الخليفة العباسى أبو الفضل جعفر ، وبعد انتهاء الوزير من الزيارة ، وفى أثناء عودته فى شهر رمضان الى بغداد ، عاصمة الخلافة وفى الطريق تقدم اليه صبي ديلمى من الباطنية عرف باسم أبى طاهر الأرانى فى صورة مستغيث ، فتقدم الى نظام الملك وضربه بسكين كانت معه فقتله على الفور ، فقبض جنود نظام الملك على الصبي الديلمى وقتلوه ، فكان الوزير نظام الملك رحمه الله أول ضحية تسقط بيد الباطنية فى تلك السنة .^(١)

ان الوزير نظام الملك رحمه الله كان من الوزراء الأفاضل الذين خدموا الاسلام والمسلمين خدمة عظيمة ، فهو المؤسس للمدارس النظامية التى انتشرت فى أرجاء الدولة الاسلامية تدرس مختلف العلوم الاسلامية ، ولقد كان نظام الملك يهدف من وراء انشاء هذه المدارس عدة أهداف ، منها : مواجهة الفكر الباطنى الذى أخذ ينتشر فى المجتمع الاسلامى انتشار النار فى الهشيم واستغوت كثير من العامة والناس ، فبادر الى انشاء هذه

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٩ ، أبو شامة : الروضتين ٢٥/١ ، ابن العديم : بغية الطلب ص ٨٦ ، ٨٧ ، الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٢٢٩ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٩٢ .

المدارس لتدريس العلوم الاسلامية ونشر الفكر الاسلامى الصحيح ونقض الأفكار الباطنية ، وندب للتدريس فيها خيرة العلماء والفقهاء والمحدثين الى جانب ذلك كان نظام الملك رحمه الله من الرجال القلائل الواعين لخطط الباطنية وأهدافها، لذلك شرع منذ البداية فى محاربتها ومطاردة زعمائها بشتى الوسائل والطرق حتى يظهر المجتمع الاسلامى منهم، لذا وجد الباطنية فى شخص نظام الملك خطرا كبيرا عليهم، وانهم لن يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم مادام موجودا على رأس الدولة السلجوقية ، فعملوا جاهدين على التخلص منه ، فأرسلوا أحد فدائيهم الغادرين فطعنوه بسكين وقتله .

كان نظام الملك رحمه الله عالما أديبا جوادا كثير الحلم والصفح عن المذنبين ، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والفقراء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح ، أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ، وأسقط المكوس والضرائب ، وكان رحمه الله اذا سمع المؤذن أمسك عما هو فيه ويجيبه ، فاذا فرغ من الأذان لا يبدأ بشئ قبل الصلاة . (١)

وفى رمضان من عام ٤٨٨هـ خرج السلطان السلجوقى بركيارق فعدا عليه فداوى من الباطنية ، فلم يتمكن منه ، وسلم السلطان بركيارق فعدا عليه الباطنى ، وقبض على الباطنى فعوقب وأقر على اثنين من أصحابه ولكن لم يعترفوا بذلك ، فقتل الثلاثة عقابا لهم . (٢)

وفى عام ٤٩٠هـ قتلت الباطنية أرعش النظامى بالرى . (٣)

وفى نفس السنة قتلت الأمير برسق ، وكان الأمير برسق هذا من أصحاب

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٠٨/١٠ ، ٢٠٩ ، النويرى : نهاية الارب ٢٦/٣٣٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٤٩ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢/٢١٠ .

(١) الزعيم السلجوقي طغرل بك، وكان برسق أول شحنة يعين ببغداد من قبل
السلجقة . وفى عام ٤٩٢ هـ اغتال الباطنية أيضا أبو القاسم ابن امام
(٢)
(٣) الحرميين بنيسابور .

لما كثرت عمليات اغتيال القادة المسلمين من قبل الباطنية
صار القادة يلبسون الدروع والملابس الواقية من خناجر الباطنية
الغادرة، وكانوا شديدي الاحتراز منهم، لكن الباطنية بأساليبهم الغادرة
كانوا يتحينون الفرص المناسبة لتنفيذ عملياتهم حتى تكون ناجحة
ففى أواخر رمضان من عام ٤٩٣ هـ اغتال الباطنية رئيس شحنة أصبهان الأمير
بلكابك سرمز، وكان بلكابك كثير الاحتياط من الباطنية، فلا يفارق لبس
الدروع احترازا منهم، لكنه فى تلك الليلة لم يلبس الدرع، فاستغل
الباطنية الفرصة فهاجموا عليه بسكاكينهم الغادرة وقتلوه .
(٤)

(١) شحنة : استخدم لفظ شحنة على موظف فى الدول الاسلامية، وهى لفظ عربية من شحن بمعنى ملء، وقد استخدمت فى أول الأمر للدلالة على الرابطة من الخيل فى البلد لفسط أهله، ثم استخدمت للدلالة على وظيفة . وكانت شحنة بمثابة مندوب للمحاكم الأعلى يعين فى المدن التابعة له أو التى يفتحها، أى أنه كان بمثابة حاكم عسكري يمثّل صاحب الحكومة المركزية، خليفة أو سلطانا أو غير ذلك . وكانت وظيفته مراقبة القوى المعارضة ومنعها من التضخم أو الظهور، وكان يسيطر على الادارة والمكاتبات ويقوم بالدفاع عن المدينة ويحافظ على الأمن ويتدخل فى تحصيل الضرائب والمكوس والأموال ليحصل على نصيب الحكومة المركزية منها . انظر : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ٦٢٣/٢ .

(٢) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى، مخطوط، ورقة ٣٤٥ ب، ٣٤٦ آ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٠/٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٧/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٠١/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٨/١٢ .

لم يقف الباطنية عند حد سفك دماء القادة والحكام والسلاطين المسلمين، بل امتدت أيديهم الغادرة الى الفقهاء والوعاظ والعلماء فاغتالوا كل من سولت له نفسه بالتحدث عن الباطنية بكشف أفكاره الفاسدة، أو تحريض الناس والحكام على جهادهم ومحاربتهم، ففى عام ٤٩٤هـ قدم على تيرانشاه صاحب كرمان رجل يقال له: أبو زرعة، وكان أبو زرعة هذا من الباطنية وكاتباً بخوزستان، فحسن أبو زرعة لتيرانشاه مذهب الباطنية ودعاه الى اعتناقه فأجابته تيرانشاه الى ذلك، وأصبح من الباطنية، وكان عند تيرانشاه فقيه حنفى يقال له أحمد بن الحسين البلخى، وكان هذا الفقيه مطاعاً عند الناس مسموع الكلمة، فاستدعى تيرانشاه ذات ليلة الفقيه الحنفى وطال الحديث والجلوس معه، ولمّا خرج الفقيه من عنده أتبعه ببعض رجاله من الباطنية فقتلوه دون أن يقترب (١) أى ذنب .

وفى عام ٤٩٦هـ قتل رجل علوى من الباطنية الواعظ أبو المظفر بن الخجندى بالرى، وكان أبو المظفر هذا يعظ الناس فى الجامع، ولما انتهى من درسه ونزل من على كرسيه وثب عليه ذلك الباطنى وقتله، وقتل الباطنى على الفور، وكان أبو المظفر هذا عالماً فاضلاً، وفقياً شافعيّاً مدرساً، وكان الوزير نظام الملك يزوره ويعظمه . (٢)

ومن الوعاظ الذين قتلوا بيد الباطنية الواعظ أبو جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندى، وقتل رحمه الله

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٢٠/١٠، ٣٢١ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، مخطوط، ١٣/ورقة ١٤١، ابن الأثير :

الكامل ٣٦٦/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٣/١٢ .

بنفس الطريقة التى قتل بها شيخه الخجندى ، فكان رحمه الله يدرس بالرى
(١) ويعظ الناس ، فلما نزل من على كرسيه آتاه باطنى فطعنه بسكين وقتله .

ومن القضاة الذين اغتيلوا أيضا بيد الباطنية أبو العلاء صاعد بن
(٢) أبى محمد النيسابورى هجم عليه باطنى وهو بجامع أصبهان فقتله .

واغتال الباطنية أيضا فى شهر صفر من عام ٥٠٢ هـ قاضى أصبهان
عبيد الله بن على الخطيبى بهمدان ، وكان رحمه الله قد فضح أمر الباطنية
وكشف عن كثير من أفكارها الباطلة ، فقال عنه ابن الأثير : " كان قد تجرد
فى أمر الباطنية تجردا عظيما ، وصار يلبس درعا حذرا منهم ، ويحتسـاط
ويحترز " ، فأصبح القاضى عبيد الله الخطيبى حذرا من هؤلاء الغداريين
لما اشتبهوا عنهم باغتيال كل من يتكلم عليهم ويفضح أمرهم ، ولكن
لا يغنى حذر من قدر ، فجاء رجل من الباطنية قاصدا القاضى الخطيبى فى
يوم جمعة ، فدخل بينه وبين أصحابه وهجم عليه ذلك الباطنى وقتله
(٣) لكونه يحرض عليهم حسب قول الشيخ الذهبى .

ومن القضاة الذين اغتالتهم الباطنية أيضا صاعد بن محمد بن
عبد الرحمن أبو العلاء قاضى نيسابور ، اغتالوه يوم عيد الفطر بجامع
أصبهان ، اذ وشب عليه رجل باطنى وطعنه بسكين وقتله ، وقتل الباطنى
(٤) على الفور .

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٣/١٠ .

(٢) نفس المصنف السابق ٤١٥/١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٧١/١٠ ، الذهبى : دول الاسلام ٣١/٢ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٢/ورقة ٤٣ ، ابن الأثير :
الكامل ٤٧٢/١٠ ، الذهبى : دول الاسلام ٣١/٢ ، الذهبى : العبد

واغتالوا أيضا قاضى القضاة زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى ، كان قد تقدم فى الدولة السلجوقية كثيرا ، فأرسله الخليفة الى خراسان برسالة الى السلطان سنجر السلجوقى ، وفى أثناء عودته من خراسان نزل بهمدان فى جامعها للاستراحة ، وفى أثناء ذلك وثب عليه على حين غفلة جماعة من الباطنية كانوا معدين الى ذلك فضربوه بسكاكينهم ، فقتلوه وهربوا فى الحال .^(١)

وفى منتصف شهر صفر من عام ٤٩٥ هـ قتل الباطنية وزير السلطان السلجوقى بركيارق على أصبهان الوزير الأعز أبو المحاسن عبد الجليل ابن محمد الدهستانى ، وكان الوزير مع السلطان محاصرا لأصبهان فركب الوزير من خيمته الى خيمة السلطان ، فتقدم اليه شاب من الباطنية فوثب عليه فجرحه عدة جراحات ، فتفرق أصحابه عنه ، ثم عادوا اليه ، فوثب الباطنى على أقرب واحد منهم وجرحه عدة جراحات أشخنته ، ثم عاد الى الوزير مرة ثانية يضربه بالسكين حتى تركه بآخر رمق ومات .^(٢)

ولم يكتف الباطنية باغتيال الوزير الأكبر نظام الملك ، بل امتدت أيديهم الغادرة الى ابنه الأكبر فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان وزيرا للسلطان السلجوقى سنجر بنيسابور ، وكان رحمه الله فى ذلك اليوم الذى اغتالته فيه الباطنية صائما ، وكان قد رأى فى المنام فى ليلة ذلك اليوم الحسين بن على وهو يقول له : عجل الينا وافطر عندنا هذه الليلة ، وعندما ذكر ذلك لأصحابه نصحوه بعدم الخروج ذلك اليوم من المنزل ، فما خرج الا فى آخر النهار ، فرأى شابا يتظلم وفى يده رقعة

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٣٠/١٠ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٦ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٥/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٣٥/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة

فقال : ماشأنك ، فناوله الرقعة وبينما هو يقرأ الرقعة وشب عليه ذلك الشاب وكان من الباطنية ، فضربه بخنجر كان بيده فقتله ، وقبض على الباطنى ورفع الى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذبا ، فأخذوا وقتلوا بغير ذنب اقترفوه ، ثم قتل الباطنى بعدهم وفصل على قبر فخر الملك عفا عفا كما قال ابن تغرى بردى .^(١)

وفى عام ٤٩٥هـ امتدت أيدي الباطنية الى قائد من القادة المسلمين الذين وقفوا فى وجه الزحف الملبى وجاهد ضدهم ، الا وهو جناح الدولة حسين صاحب حمص ، فلقد كان جناح الدولة من أعداء القائد الملبى ريموند ، حيث أن جناح الدولة وقف فى وجهه وحد من أطماعه التوسعية فى بلاد الشام ولم يستطع ريموند التحرك بحرية الا بعد أن قتل جناح الدولة أما كيفية قتله ، فلقد نزل رحمه الله من القلعة الى الجامع الكبير ليؤدى صلاة الجمعة وحوله أصحابه ، فتقدم اليه ثلاثة أشخاص من الباطنية فى زى الزهاد ، وأخذوا يسألونه ويستميحونه فوعدهم ، فوثبوا عليه بسكاكينهم فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، قال عنه ابن تغرى بردى : كان أميرا مجاهدا شجاعا يباشر الحروب بنفسه .^(٢)

وفى عام ٤٩٩هـ أرسل أبو طاهر الصائغ زعيم الباطنية فى الشام جماعة من الباطنية الى خلف بن ملاعب صاحب حصن أفامية فقتلوه بالاتفاق

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٢/ ورقة ١٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ١٠/ ٤١٨ ، ٤١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/ ١٦٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ١٣/ ورقة ١٣٩ ، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ، مخطوط ، ورقة ٤٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٨ ، ١٦٩ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠ ، سعيد عاشور : الحركة الملبية ١/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

مع رجل يعرف باسم أبو الفتح السرميني أحد دعاة الباطنية هناك فاعملوا الحيلة ، وأحضروا معهم حصانا وبغلة وعدداً افرنجية، وخرجوا من حلب الى آفامية بتلك العدة والدواب ، ولما وصلوا الى آفامية قالوا لسيف الدولة خلف بن ملاعب : جئنا قاصدين خدمتك ، وفي الطريق لقيناهم فارساً من الفرنج فقتلناه وجئنا اليك بحصانه وبغلته وعدته ، فأكرمهم وأنزلهم بجوار حصن آفامية في دار محاذية للسور ، فنقبوا نقبا في السور حتى وصلوا اليه ، فلما أحس بهم ابن ملاعب لقيهم فوشبوا عليه وطعنوه بالخناجر حتى مات ، ووافقهم على ذلك جماعة من أهل آفامية كانوا من الباطنية .^(١)

ومن الفقهاء الذين اغتالتهم الباطنية شيخ الشافعية ببلاد العجم عبدالواحد بن اسماعيل أبو المحاسن الروياني ، قتلوه يوم الجمعة في الجامع بطبرستان ، وكان رحمه الله من أئمة الشافعية ، رحل الى الآفاق حتى بلغ ماوراء النهر ، وحمل علومه جمة ، وسمع الحديث الكثير ، وصنف كتباً في المذهب ، من ذلك كتاب البحر في الفروع وهو حافل شامل للغرائب وغيرها ، وفي المثل يقال : "حدث عن البحر ولا حرج" ، وكان يقول رحمه الله لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي .^(٢)

ومن الوزراء الذين حاول الباطنية اغتيالهم الوزير أبو نصر ابن الوزير نظام الملك ، حيث خرج الى الجامع للصلاة فوشب عليه جماعة من

(١) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٢٩ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٢ ، المقریزی : اتعاظ الحنفا ٣/٣٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٧٠ ، ١٧١ ، الذهبي : دول الاسلام ٣١/٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/١٩٨ ، ابن الأثير : الكاميل ٤٧٣/١٠ .

الباطنية وضربوه بالسكاكين ، وجرحوه فى رقبته عدة جراحات ، فبقى مريضاً مدة ، ثم شفى ، وقبض على الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ، ثم سئل عن أصحابه فأقر على جماعة منهم بمسجد المأمونية ، فأخذوا وقتلوا (١)
وكان ذلك فى شعبان من عام ٥٠٣ هـ .

ومن القادة المسلمين الذين قتلوا بيد الباطنية ، القائد الأمير مودود بن زكى صاحب الموصل الذى جاهد طويلاً ضد الصليبيين ، وحاول توحيد الجبهة الاسلامية ضدهم ، ولم تنثن له عزيمة فى هذا المجال ، ففى عام ٥٠٧ هـ بعث السلطان غياث الدين محمد السلجوقى جيشاً كبيراً فيه مجموعة من الأمراء ، ومنهم سكران القطبى صاحب تبريز ، وأحمدىل صاحب مراغة ، والأمير (٢) ايلغازى صاحب ماردين ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل لقتال الفرنج بالشام ، فجاهد هؤلاء الأمراء بقيادة الأمير مودود الصليبيين — فهزموهم فى أكثر من موقعة ، وانتزعوا من أيديهم حصونا كثيرة ، وبعد جهاد طويل أذن الأمير مودود للعساكر بالراحة على أن يجتمعوا فى الربيع مرة أخرى لجهاد الصليبيين ، فدخل الأمير مودود دمشق فى شهر ربيع الأول من نفس السنة ليصلى الجمعة فى الجامع الكبير ، فلما فرغ من الصلاة خرج الى صحن الجامع ، فجاءه باطنى فى زى سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٤٧٨/١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٧١/١٢ .
(٢) تبريز : من أشهر مدن أذربيجان وهى قصبتها ، وهى مدينة حصينة ذات أسوار محكمة . ياقوت : معجم البلدان ١٣/٢ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٣٩ .
(٣) مراغة : مدينة كبيرة مشهورة وهى أشهر بلاد أذربيجان . ياقوت : معجم البلدان ٩٣/٥ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٥٦٢ .
(٤) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل بالجزيرة . ياقوت : معجم البلدان ٣٩/٥ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٢٥٩ .

فلما اقترب منه وشب عليه وضربه بخنجر فى فؤاده فمات ، وكان رحمه الله صاعما فحاول أصحابه معه فى لحظاته الأخيرة ليغطين فرفض وقال : لالقيت الله الا صاعما ، ومات فى آخر النهار ، قال ابن الأثير : ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وبعد مقتل الأمير مودود جاء كتاب من الفرنج الى المسلمين وفيه : ان أمة قتلت عميدها فى يوم عيدها فى بيت معبودها لتحقيق على الله أن يبيدها . وهكذا قدم الباطنية للمليبيين ما كانوا يتمنونونه دون أى شئ ، وخسر العالم الاسلامى قائد عظيم من قادة الجهاد الاسلامى ، وفرح المليبيون بموته فرحا شديدا .

وفى الأول من المحرم عام ٥١٠ هـ حضر آتابك طغتكين صاحب دمشق النسى دار السلطان محمد السلجوقى ببغداد ، وحضر فى نفس الوقت جماعة من الأمراء منهم أحمدى بن ابراهيم ، وهسودان الروادى صاحب مراغة النسى صاحب الأمير مودود جنباً الى جنب فى جهاده ضد المليبيين . وبينما كان أحمدى صاحب مراغة جالسا الى جانب طغتكين أتاه رجل متظلم ، وبجده رقعة وهو يبكى ويسأله أن يوصلها الى السلطان ، فأخذها من يده ، فوثب الرجل على الفور على أحمدى وضربه بسكين فجذبه أحمدى وتركه تحت قدمه فوثب رفيق للباطنى كان موجودا وضرب أحمدى سكيناً أخرى ، فهب الحاضرون وأخذت سيوفهما تلعب على الرجلين الباطنيين ، وبينما هم كذلك اذ أقبل رفيق لهما باطنى ثالث وضرب أحمدى ضربة شالشة ففزع عليه ومات ، فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه أمامه .

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٩٦/١٠ ، ٤٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية

١٧٣/١٢ ، ابو شامة : الروضتين ٢٧/١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر

الدول ص ١٩٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥١٦/١٠ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥ ،

الذهبي : دول الاسلام ٣٦/٢ .

وظالت أيدي الباطنية وزيرا آخر من وزراء الدولة السلجوقية وقتلته شر قتله ، ففى سلخ صفر من عام ٥١٦هـ قتلت الباطنية الوزير الكمال أبو طالب السيرى ، وزير السلطان السلجوقى محمود ، وكان قد استعد للمسير مع السلطان الى همدان ، وبينما هو فى الطريق وحولته رجاله واجتاز طريقا ضيقا ، فتقدم أصحابه أمامه لضيق الطريق ، فوشش عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة ، وهرب الباطنى على الفور فلحق به رجال الوزير ، فظهر باطنى آخر وضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الأرض وضربه عدة ضربات حتى أجهز عليه ، ثم عاد أصحاب الوزير فتمدى لهما رجلان باطنيان فانهزما منعهما ، لكنهم عادوا وقبضوا على الباطنيين وتغقدوا الوزير فوجدوه مقتولا وقد ذبح مثل الشاة ، وبهـ نيف وثلاثون جراحة ، فقتل أصحابه الباطنية الذين قتلوه .^(١)

وامتدت أيدي الباطنية أيضا الى قائد آخر من قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وضد الباطنية ، فاغتالته غدرا فى المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة ألا هو قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل ثم حلب وكثير من مدن الشام ، فلقد جاهد قسيم الدولة الصليبيين كثيرا ، فخرج يوم الجمعة لأداء صلاة الجمعة مع العامة فى المسجد ، وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه أن عددا من الكلاب شارت به ، فقتل بعضها ونال منه الباقي ما آذاه ، فلما أخبر أصحابه بذلك أشاروا عليه بعدم الخروج من داره عدة أيام ، فقال : لا أترك صلاة الجمعة لأى سبب من الأسباب ، وعزم على الخروج الى الجامع ، وأخذ المصحف ليقرأ فيه ، فأول ما وقع بصره على الآية

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٠١/١٠ ، النويرى : نهاية العرب ٢٣/٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٠/١٢ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق

(وكان أمر الله قدرا مقدورا) فجلس فى الصف الأول كعادته، وبينما هو
يصلى وثب عليه بضعة عشر نفرا من الباطنية عدة الكلاب التى رآها فى
المنام، فجرحوه بسكاكينهم، وجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله
وكان كما يقول ابن العديم عنه سيفا على الباطنية .^(١)

ومن الوزراء المخلصين الذين اغتالتهم يد الباطنية، معين الملك
أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان السلجوقى سنجر، ذكر أنه فتك بجماعة
من الباطنية، وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة، وكان يحرض
السلطان على النكاية فيهم، فوجد الباطنية أن هذا الوزير خطر عليهم
ولابد من التخلص منه، فرتبوا الأمر وأرسلوا أحد سفرائهم لخدمته، فلم
يزل يتحيل الى أن خدم فى اصطبل دوابه سائسا لبغاله، وقام فى خدمته
الى أن وجد الفرصة سانحة فوثب عليه وهو غافل يتفقد دوابه فقتله
وقبض على الباطنى وقتل بعده مباشرة، وكان هذا الوزير موصوفا بجميـل
الأفعال وحميدها، ومتانة الدين، وحسن اليقين، والانصاف فى أعماله
والتسديد فى أقواله، فرزقه الله الشهادة على حسن نيته .^(٢)

وفى عام ٥٢٣هـ وثب الاسماعيلية الباطنية على الفقيه عبداللطيف بن
الخندي رئيس الشافعية بأصبهان فقتلوه، وكان ذا رئاسة عظيمة، وتحكم
كثير، يسمع له الناس ويطيعون .^(٣)

-
- (١) ابن العديم : بغية الطلب ص ٢١٣، ٢١٤، النویری : نهاية الارب ٢٦/٢٧ ،
ابن الأثير : الكامل ٦٣٣/١٠، ٦٣٤، ابو شامة : الروضتين ٣٠/١، ابن
الجوزى : المنتظم ٢٥٤/٩، ابن العبری : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٢ .
(٢) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ص ٣٢٤، ابن الأثير : الكامل ٦٤٧/١٠ ،
ابن تغرى بردی : النجوم الزاهرة ٢٣٢/٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٦٠، ٦٥٩/١٠ .

وفى عام ٥٢٤هـ ملك السلطان السلجوقى سنجر مدينة سمرقند، وجعل رجلا اسمه نصرخان بن أرسلان خان محمد نائبا له فيها، وكان بسمرقند رجل علوى باطنى، فقيه، مدرس، اليه الحل والعقد والحكم فى البلد، فاتفق هـذا الباطنى مع رئيس الشرطة فى البلد على قتل نصر خان، فقتلاه ليلا، وكان والد نصر غائبا عن البلد، فلما سمع بمقتل ابنه عظم عليه الأمر، فأرسل الى ابنه الثانى الذى فى بلاد التركستان فحضر، ثم توجه الى سمرقند فلما قاربا على المدينة خرج العلوى ورئيس الشرطة لاستقباله، فهجم على العلوى وقتله فى الحال، وقبض على رئيس الشرطة (١).

ومن القادة المسلمين الذين كان لهم جهد مشكور فى محاربة الصليبيين والفتك بالباطنية تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فبعد استفحال أمر الباطنية فى دمشق، وطال آذاهم كل فرد اما بالسلب أو السلب أو القتل ومراسلتهم للصليبيين، قرر تاج الملوك بورى الفتك بهم وتطهير البلد منهم، فبدأ أولابوزيره المزدقانى الذى وافقهم على ذلك وساعدهم فى بث حباثل شرهم فقتله، ثم نادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس (٢). ولما علم الباطنية فى آلموت بما جرى لأصحابهم فى دمشق أسفوا عليهم، وحزنوا على منازل بهم، فقرروا الانتقام لهم، فندبوا لتاج الملوك من يغتاله من فداييتهم، فأرسلوا اثنين منهم الى دمشق، واستطاعا بالحيلة والخداع أن يصبحا من المرتبين لحفظ ركاب تاج الملوك، ولما تفكنا منه، وأتيحت لهما الفرصة وشبا عليه عند باب داره بعد عودته من الحمام وتفرق أصحابه عنه، فضربه أحدهما بالسيف طالبا رأسه، فجرحه فى رقبته جرحا لم يتمكن منه، وضربه الآخر بسكين فى

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٦١/١٠ .

(٢) اليافعى : مرآة الجنان ٢٢٩/٣ .

خاصرته ورمى تاج الملوك بنفسه فى الحال من على فرسه سليما، وحضر أصحابه على الفور وقبضوا على الباطنيين وقطعوهما بالسيوف، وعولجت جراح تاج الملوك، فبرأ الجرح الذى عند الرأس، وتنسر الذى فى الخاصرة وعاش سنة بعد الحادث حيث توفى فى عام ٥٢٦هـ متأثرا بآلام الجرح الذى (١)
فى خاصرته .

وفى عام ٥٢٧هـ اغتال الباطنية آقسنقر الأحمديلى صاحب مراغنة دون أى ذنب اقترفه . (٢)

ولم يقف اجرام الباطنية عند حد اغتيال القادة والوزراء والعلماء بل طمعت نفوسهم بأكبر من ذلك، ففى هذه المرة طالت أيديهم الخسارة الخليفة العباسى المسترشد بالله ثم ابنه الراشد . ففى عام ٥٢٩هـ ظهر لأمير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله أمورا لم يستحسنها من السلطان مسعود بن ملكشاه ابن أخى السلطان سنجر، حيث أن الخليفة آقره فلى السلطنة وأمر بالدعاء له على المنابر، فاستعطفه ثم ناصحه فلم ينفع ذلك معه، فتجهز الخليفة لردعه، وصدده عن ذلك وزحف بجيشه، ودارت بين الطرفين معركة انهزم فيها جيش الخليفة المسترشد، ووقع الخليفة نفسه فى الأسر، فأنزله السلطان مسعود فى خيمة، ووكل به من يحفظه، وقام بمما يجب له من الخدمة، وكانت خيمة الخليفة منفردة عن خيام العسكر، فدخل عليه فى خيمته بضعة عشر نفر من الباطنية فقتلوه، وجرحوه مايزيد على عشرين

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، مخطوط ٢/ ورقة ١٦٢ ب، ابن واصل : التاريخ الضالحي، مخطوط ورقة ١١٨٢ أ، ابو الغدا : المختصر فى أخبار البشر ٥/٣، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٦٥، ٣٦٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٨٦/١٠ .

جرحا، ومثلوا به، فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا، وقتلوا معه نفسه
(١)

من أصحابه، ثم قبض على أولئك الباطنية فقتلوا ثم أحرقوا جميعا.....

وكان رحمه الله كما يقول ابن القلانسي : عالما تقيا فاضلا، حسن الخط
(٢)

بليغا نافذا في أكثر العلوم، عارفا بالفتوى واختلاف الفقهاء فيها .

أما الخليفة الراشد بن المسترشد فلقد اغتالوه في أصبهان فـ

(٣)

السابع والعشرين من شهر رمضان عام ٥٣٢هـ ودفن هناك بأصبهان .

وفي عام ٥٢٩هـ قتلت الباطنية صاحب دمشق شمس الملوك اسماعيل بن

(٤)

بورى بن طغتكين وكان شجاعا مقداما أسعر بلاد الفرنج بالغارة . وقال

عنه ابن العماد واليا فعى : كان موصوفا بالشجاعة كثير الاغارة على
(٥)

الفرنج، أخذ منهم عدة حصون .

واغتال الباطنية في عام ٥٣٤هـ المقرب جوهر أحد خدم السلطان سنجر

السلجوقي، وكان قد حكم في دولة السلطان سنجر جميعها، وكان من جملة

مماليكه عباس صاحب الرى التى هى من اقطاعه . اعترض جوهر جماعة من

الباطنية كانوا يلبسون زى النساء، وكن يستغثن به، فوقف جوهر يسمع كلامهم

(١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى، مخطوط، ورقة ٤٦٣، ابن واصل :

التاريخ المصالحى، مخطوط ورقة ١٨٤، ابن كثير : البداية والنهاية

٢٠٨/١٢، ابن الأثير : الكامل ٢٧/١١ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٩٧ .

(٣) ابن واصل : التاريخ المصالحى، مخطوط ورقة ١٨٥، أبو شامة : الروضتين

٣١/١، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٤١٩، ابن الأثير : التاريخ

الباهر ص ٥٥، الذهبى : دول الاسلام ٥٣/٢ .

(٤) الذهبى : دول الاسلام ٥٠/٢، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى

مخطوط، ورقة ٤٦٣ .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ٩٠/٤، اليا فعى : مرآة الجنان ٢٥٥/٣ .

فوثبوا عليه وقتلوه، فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم وأكثر، وفعل بهم ما لم يفعل غيرهم، ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى أن مات .^(١)

وفى شهر رمضان من عام ٥٣٨هـ وردت الأخبار بقتل السلطان داود بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، بيد نفر ندبوا لقتله، فاغتالوه وقتلوه، ولم يعرف لهم أصل ولا جهة، ولا علم مستقرهم .^(٢)

ومرة أخرى امتدت أيدي الباطنية محاولة النيل من قائد عظيم من قادة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والباطنية، هذا القائد البطال هو صلاح الدين الأيوبي هازم الصليبيين في موقعة حطين الشهيرة، والذي عمل جاهداً على توحيد الجبهة الاسلامية في مصر والشام ليوقف على أرض ثابتة في جهاده ضد الغزاة المعتدين، فكان جزاء هذا القائد المسلم محاولتين آثمتين من قبل الباطنية لاغتياله، المحاولة الأولى كانت في عام ٥٧٠هـ حين أراد أن يوحد بلاد الشام تحت قيادة واحدة، ويقض على الزعامات الصغيرة المنتشرة في كل مكان، حتى يتسنى له مواجهة الصليبيين بجبهة اسلامية واحدة موحدة، فلما كان محاصراً لحلب لأخذها من حاكمها الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين لضمها الى مشروع الوحدة، أرسل سنان رئيس الباطنية في الشام مجموعة من الفدائيين الباطنية الى صلاح الدين ليغتالوه، فرآهم أمير اسمه خمارتكين كان عند صلاح الدين فعرفهم بسبب

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، مخطوط ١٣/ورقة ٢٦٠ب، ابن الأثير : الكامل ٧٦/١١، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٦٦/٥، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ١٥/٣ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٣٣، يقول برنارد لويس أنه قتل من قبل أربعة من الحشيشية الباطنية بالشام . انظر برنارد لويس : الحشيشية ص ٨٣ .

مجاورته لهم ، فقال لهم : ما الذى جاء بكم الى هنا ، وماذا تريدون ؟ فجمعوا عليه وجرحوه جراحات متخنة ، ثم حمل واحد منهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه ، وقاتل الباقون من الباطنية أصحاب صلاح الدين ، وحاولوا الوصول اليه لكنهم فشلوا فقتلوا جماعة منهم ثم قتلوا .^(١)

أما المحاولة الثانية لاغتياله ، فكانت عندما كان محاصرا لقلعة اعزاز ، فكان على عادته يشاهد كل ليلة آلات القتال ، ويحرض الرجـال على الحرب ، فحضر فى احدى الليالى الى خيمة أحد أمراءه والباطنية فى زى الأجناد وقوف بين يديه ، فقفز واحد منهم على السلطان صلاح الدين ففربه بسكين فى رأسه وجرحه ، ولولا أن السلطان كان لابسا المغفر تحـت القلنسوة لقتله ، فأمسك السلطان يد الباطنى بيده ليمنعه من الضرب ، لكنه لم يقدر على منعه بالكلية ، وبقي يضرب ضربا ضعيفا ، فأدرك السلطان أحد مماليكه فأمسك السكين من الباطنى بيده ، فجرحه الباطنى ، ولم يطلـق المملوك السكين من يده الى أن قتل الباطنى ، ثم هجم باطنى ثان على السلطان فتصدى له الجنود وقتلوه ، ثم هجم باطنى ثالث فقتلوه أيضا^(٢) وخرج باطنى رابع من الخيمة منهزما فأدركته العساكر وقتلوه .

وفى عام ٥٧٣هـ قتل الباطنية أحد أعيان مدينة حلب وهو أبو صالح ابن العجمى ، وكان هذا الرجل مقدما عند نور الدين محمود ، فلما مات

(١) ابن واصل : التاريخ الصالحى ، مخطوط ورقة ١٩٨ ب ، ابن الأثير : الكامل ٤١٩/١١ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٧/٣ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٠٠/٥ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٤٤/٢ - ٤٥ ، ابن واصل : التاريخ الصالحى مخطوط ورقة ١٩٩ أ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ١٤٠/ورقة ١٢٢ ب ، الذهبى : دول الاسلام ٨٥/٢ .

نور الدين تقدم أيضا فى دولة ولده الملك الصالح ، وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة أتباعه ، فبينما هو فى الجامع الكبير فى حلب يؤدى صلاة الجمعة ، وشب عليه بعض الأفرامن الباطنية وقتلوه ومضى شهيدا (١) الى ربه .

ومن الوزراء الذين اغتيلوا بيد الباطنية ، الوزير عضد الدولة أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة ، كان رحمه الله قد عزم على الحج ، فخرج الناس فى خدمته ليودعوه ، فتقدم اليه ثلاثة من الباطنية فى صورة فقراء ومعهم قصص يشكون للوزير ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فهجم عليه وضربه بسكين ضربات مركزة ، ثم هجم عليه الثانى ثم الثالث حتى قطعوه ، وجرحوا جماعة ممن حول الوزير ، ثم قبض على الباطنية الثلاثة وقتلوا على الفور . (٢) ومن السلاطين الذين قتلتهم الباطنية سلطان خلاط بكتمر ، الذى تولى السلطنة فى خلاط بعد وفاة صاحبها شاه آرمن ، فضبط الأمور ، وأحسن إلى الرعية ، وعدل فيهم ، وكان يصاحب العلماء ، حسن السيرة متصدقا ، جاءه فى أحد الأيام أربعة من الباطنية يلبسون زى الصوفية ، فتقدم اليه واحد منهم وببيده قصة ، فأخذها السلطان منه ليقرأها ، فوشب عليه بسكين فشقق جوفه على الفور ، فمات من ساعته ، وقبض على الباطنية الأربعة فقتلوا

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٣/ ورقة ١١٤٦ ، ابن الاثير الكامل ٤٤٥/١١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٨/١٢ ، ابن الاثير : الكامل

٤٤٦/١١ ، أبو شامة : الروضتين ٢٧٨/١ ، الذهبى : دول الاسلام ٨٦/٢ .

(٣) خلاط : مدينة كبيرة مشهورة ، وهى قصة أرمينيا الوسطى ، ولها سور حصين . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٨٠/٢ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٥٢٤ .

(١)

فأقروا بأنهم اسماعيلية باطنية فقتلوا وأحرقوا .

ومن الوزراء المسلمين الذين اغتالتهم الباطنية نظام الملك مسعود ابن على وزير خوارزم شاه تكش، وثب عليه بعض رجال الملاحدة الاسماعيلية فقتلوه، وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن السيرة .^(٢)

كما انهم اغتالوا القائد المسلم شهاب الدين الغورى ملك غزنوة وبعض بلاد خراسان، الذى فتح كثيرا من بلاد الهند ونشر الاسلام فيها، كما انه كان يتعقب الباطنية ويحاول أن يقلص من نفوذهم، وكان له جيوش يحاصر بعض قلاعهم باستمرار، وبعد عودته من بلاد الهند خاف الباطنية من خروجه الى خراسان لمحاربتهم، فأرسلوا اليه بعض رعايهم، وتربصوا به حتى تمكنوا من قتله فى أول شعبان سنة ٦٠٢ هـ .^(٣)

وفى عام ٦٠٨ هـ أظهرت الباطنية الاسلام فى بعض قلاعها، وأقامت الحدود على كل من يتعاطى الحرام، وبنوا الجوامع والمساجد، وكتب زعيمهم جلال الدين الى الخليفة العباسى يخبره بذلك، وقدمت الى بغداد جماعة منهم يريدون الحج الى مكة، فأكرموا لأجل ذلك، ولما كانوا بمنى ونسب واحد من هؤلاء الباطنية على قريب لأمير مكة قتادة الحسينى، فقتله ظاناً أنه قتادة، فشارت فتنة بين أهل مكة وحجاج العراق، ونهب الحجاج وقتل منهم خلق كثير . فهذا هو أسلوب الباطنية على مدى العصور والأيام^(٤)

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، مخطوط ١٤/ورقة ١٩٤ أ - ب، ابن سينا واصل : التاريخ الصالحى، مخطوط، ورقة ٢٠٩، الذهبى : دول الاسلام

١٠٠/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٥٨/١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٢١٣/١٢، الذهبى : دول الاسلام ١٠٩/٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٦٢/١٣، ابن الأثير : الكامل ٢٩٧/١٢ .

أسلوب قائم على الخداع والحيلة والتربص بالمسلمين ، ومحاولة النيل منيهم بشتى الطرق والوسائل حتى وهم يؤدون عباداتهم في المساجد أو الأماكن المقدسة ، فلا تمنعهم من ذلك حرمة الله ولا حرمة الناس ولا حرمة المكان ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وفى عام ٦١٤ هـ اغتال الباطنية أغلمش صاحب بلاد الجبل ، وكان أغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب لخوارزم شاه فيها ، فلما اغتيل سار خوارزم شاه الى بلاد الجبل وبسط سيطرته عليها لئلا تخرج عن طاعته ، ويعيث بها الباطنية .^(١) وكذلك طالت أيدي الباطنية أميرا كبيرا من نواب الدولة الخوارزمية وقتلته ، وفى عام ٦٢٤ هـ اغتال الباطنية أميرا من أمراء جلال الدين بن خوارزم شاه ، وكان جلال الدين قد أقطع هذا الأمير مدينة كنجة وأعمالها^(٢) وكان نعم الأمير ، كثير الخير ، حسن السيرة ، ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره ، فلما علم جلال الدين بمقتل هذا الأمير العظيم غضب غضبا شديدا ، فجمع عساكره وسار بهم الى بلاد الاسماعيلية الباطنية من حدود آلموت الى كردكوه بخرسان ، فخرّبها وقتل أهلها ، ونهب الأموال وسبى الحرير ، واسترق الأولاد ، وقتل الرجال ، وانتقم منهم شر انتقام وكانوا قد عظم شرمهم وازداد ضرهم ، وتربصوا بالمسلمين الدوائر ، لكن جلال الدين كف عاديتهم وقمعهم ، ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين .^(٣) هذا ما أسعفتنا به المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا عن

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٢ .

(٢) كنج : مدينة عظيمة وهى قنصة بلاد آران ، وكنجه أيضا من نواحي

لرستان بين خوزستان وآمبهان . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤٨٢/٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٧٠/١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١٧/٣ ،

برنارد لويس : الحشيشية ص ٩٩ - ١٠٠ .

أسماء القادة والخلفاء والوزراء والسلاطين والعلماء الذين اغتالتهم أيدي الباطنية، ولكن ماخى هو أكبر وأعظم، فهناك عشرات الشخصيات والأسماء ممن اغتالتهم الباطنية ذكرت في المصادر الاسماعيلية النزارية ولكن للأسف ما زال غالب هذه المصادر مفقودا، ولم يعرف بالتحديد اجمالاً الأعداد التي اغتالتها الباطنية من القادة والعلماء وعامة الناس لكن هناك اشارة من المؤرخ الانجليزى برناردلويس يقول فيها : " وفى ملف للحشيشية الوارد لدى مؤرخى آلموت هناك سجل بحوالى خمسين اغتيالاً وقعت خلال حكم الحسن بن الصباح فقط " (١) .

وقائمة الاغتيالات التى تمت فى بلاد فارس خلال حكم بيزرك أميـــــــد خليفة الحسن بن الصباح فى آلموت هى بالمقارنة قصيرة مع فترة حكم الحسن بن الصباح ، فكان عدد الاغتيالات فى عهد بيزرك أميد أربعة عشر اغتيالاً، وكان أبرز الضحايا فيها السلطان السلجوقى داود الذى قتل فى تبريز من قبل أربعة حشيشية من الباطنية، وأمير فى بلاد السلطان سنجر ووحد من زملائه، وأمير فى بيت خوارزم شاه ، وحكام محليون فى جورجيا (٢) ومزندان ، وكذلك قضاة قوهستان وتغليس وهذان الذين حرضوا على قتل الباطنية (٣) (٤) (٥) .

-
- (١) برناردلويس : الحشيشية ص ٦٦ .
 - (٢) جورجيا : فارسية سماها العرب بلاد الكرج وهى كرجستان ، وهى مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق وهى الى همذان أقرب .
 - (٣) مزندان : اسم لولاية طبرستان فى بلاد فارس . ياقوت : معجم البلدان ٤١/٥ .
 - (٤) تغليس : بلد بأرمينية ، والبعض يقول بأنها فى أران قرب بـــــــاب الأبواب . ياقوت : معجم البلدان ٣٥/٢ .
 - (٥) برناردلويس : الحشيشية ص ٨٢ - ٨٣ .

المبحث الثالث

افساد المجتمع الاسلامى من الداخل

لم يقتصر دور الباطنية على اغتيال القادة المسلمين بل عملوا على نشر فسادهم ورعبهم وفتكهم الى كافة طبقات المجتمع الاسلامى ، فأخذوا ينشرون الرعب بين الناس بقطع الطريق والاعتداء على سكان القــــــــــــرى المجاورة لهم ، فيذبحونهم ويستولون على مالديهم من مال ومتاع ، ويأسرون أولادهم ، الى جانب ذلك لم تسلم القوافل المارة بجوار قلاعهم وحصونهم من النهب والقتل ، فأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم ولاعلى أولادهم من ولاعلى أموالهم ، ففي المحرم من عام ٥٥٦هـ جاء الى نيسابور جماعة ممن تركمان بلاد فارس التجار، ومعهم أغنام كثيرة للتجارة ، فباعـــــــــــــوا مالديهم من أغنام فى أسواق نيسابور، وأخذوا ثمنها، وعادوا الى بلادهم وفى الطريق أدركهم الليل فنزلوا فى مكان يبعد عن طابس كنكى^(١) مرحلتين وناموا فيه ، وفى الليل نزل اليهم الباطنية وباغتوهم وهم نائمــــــــــــون فوضعوا السيف فيهم فقتلوا أكثرهم ولم يسلم منهم الا الشريد، وأخــــــــــذ الباطنية جميع مامعهم من مال ومتاع وعادوا الى قلاعهم *^(٢)
^(٣) وفى احدى الليالى أيضا مرت قافلة عظيمة من كرمان الى قايبــــــــــــن

(١) طابس كنكلى : مدينة حسنة عامرة لاسور عليها وحولها كثير من القرى ملكها الاسماعيليه فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى وفى سنة ٤٩٤هـ حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرّب بعض آبنيتها . انظر كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٨٠/١١ .

(۳) کرمان : ولایة مشہورہ، وناحیہ معمورہ ذات بلاد وقری ومدن واسعۃ
وہی بین فارس ومکران وسجستان وخراسان . انظر البغدادی : مراصد

• ۱۱۶۰/۳ اطلاع

وكان الباطنية قد استولوا على قاين ، وأصبحت من مناطق نفوذهم ، فنزل
الباطنية مع زعيمهم من بلد قاين ، فاعترضوا طريق القافلة واعتصدوا
عليها ، فقتلوا جميع أفراد القافلة ، واستولوا على ما فيها من مال ومتاع
ولم ينج منهم الا رجل واحد وصل الى كرمان ، فأخبر بما حدث للقافلة ، فهرب
أهل كرمان بقيادة القاضي الكرمانى لنجدة القافلة وجهاد الباطنية
ولكنهم لم يقدرُوا عليهم لشدة بأس الباطنية ^(١) ، فرجعوا الى بلدهم والحزن
والأسى والخوف قد بلغ منهم كل مبلغ .

بعد هذه الحوادث المتكررة من قبل الباطنية بقطع الطريق ، وأخذ
القوافل ، وقتل الناس ، عظم أمرهم ، واشتدت شوكتهم ، وقوية أطماعهم
وأهم الناس شأنهم ، فعم المجتمع الاسلامى الخوف والرعب وعدم الأمان ، حتى
أصبح الناس اذا جاء الليل أخفوا جميع مالهديهم من مال ومتاع فى أماكن
مجهولة غير معروفة خوفا من هجمات الباطنية وأخذهم اياها ، ويصور لنا
ابن طباطبا فى كتابه الفخرى صورة حية عن هذا ، وما كان يفعله الناس
اذا جاء الليل فيقول : "حدثنى الملك امام الدين يحيى بن الافتخارى
قال : أذكرون نحن بقزوين ، اذا جاء الليل جعلنا جميع مالنا من أثاث
وقماش ورحل فى سرايب لنا فى دورنا ، غامضة خفية ، ولا نترك على وجه
الأرض شيئا خوفا من كبسات الملاحدة (الباطنية) فاذا أصبحنا أخرجنا
أقمشتنا ، فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ، ولأجل ذلك كثر حمل القزاونىة
(يعنى أهل قزوين) للسكاكين وكثر حملهم للسلح ^(٢) . وكان قاضى قضاة
قزوين يلبس تحت ثيابه فى كل وقت درعا باستمرار خوفا من أن تطوله يد
الباطنية فتغتاله ^(٣) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٣١ .
(٣) برنارد لوييس : الحشيشية ص ١٠٦ .

هذه هي حالة المجتمع الاسلامي وواقعه عند تفشى خطر الباطنية فيه ولم يقف الباطنية عند هذا الحد، بل استمروا في عمليات السلب والنهب وقتل الآمنين من النساء والشيوخ والأطفال، ففي احدى الليالي داهم الباطنية بنواحي قوهستان جماعة من التركمان، وحاصروا خيامهم وكان الرجال غائبين، فنهبوا الأموال، وأخذوا النساء والأطفال، وأحرقوا كل ما لم يقدروا على حمله .^(١)

ولم يقف هؤلاء الملاحين عند حد قطع الطريق وقتل الآمنين من الناس وأخذ القوافل، بل أخذوا يبتكرون وسائل مختلفة للفتك بالناس ونشر الرعب بينهم، فلقد بلغ من جرأة هؤلاء المفسدين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات بأغرب الطرق، وكان الرجل يتبع خاطفه من سكون والخوف ملجئه، والويل له ان أبدى مقاومة أو تحرك لسانه طلباً للنجدة، فإذا فعل ذلك استقر خنجر خاطفه في قلبه، فكان الانسان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد لرجوعه، تيقن أهله بأن الباطنية قتلوه فيقعدوا للعزاء به، ويسودهم الحزن والأسى حتى يرجع، فأصبح الناس لا يعيشون في الشوارع منفردين وكانوا على غاية من الحذر . ويصور لنا المؤرخ ابن الأثير صورة لما فعله الباطنية بمؤذن خطفوه فيقول : "وأخذوا (يعنى الباطنية) في بعض الأيام مؤذناً، أخذه جار له باطنياً فقام أهله للنياحة عليه، فأصعده الباطنية الى سطح داره، وأروه أهله .^(٢) كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر أن يتكلم خوفاً منهم " .

ومن أساليبهم الأخرى التي استخدموها للفتك بأفراد المجتمع الاسلامي ونشر الرعب بينهم، أنهم كانوا يخطفون الناس بحيل مختلفة

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١١، الذهبى : دول الاسلام ٦٩/٢ - ٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ .

ويحملونهم الى منازل ودور غير معروفة، حيث يسجنونهم أو يقتلونهم، فكان إذا مر بهم انسان أخذوه الى احدى تلك الدور، وهناك يعذبونه ثم يقتلونهم ويرمونهم في بئر في تلك الدار أعدت لذلك الغرض . وكانت طريقتهم فـسـى خطف الناس، أنه كان يجلس على أول الدرب المؤدية الى احدى هذه الدور رجل ضريب من الباطنية، فإذا مر به انسان سألته أن يقوده خطوات فـسـى هذا الدرب، فتأخذه الرأفة والاحسان لعمل الخيل فيقوده في هذا الدرب حتى إذا وصل الى دار من دورهم قبضوا عليه وقتلوه ورموه في البئر .^(١)

ولكن لم يلبث أن اكتشف الناس حيلة الباطنية هذه، ففتكوا بهم وقتلوه، ففي أحد الأيام صادف أن رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها شبابا وأحذية وملابس لم يعيدها، فخرج من عنده وتحدث للناس بما رآه، فداهم الناس البيت وكشفوا عن الملابس والشباب فعرفوا أنها من المقتولين فثار الناس وأخذوا يبحثون عن قتل منهم، وتجددوا للانتقام من الباطنية بقيادة العالم أبي القاسم مسعود بن محمد الخجندی الفقيه الشافعي فجمع الناس بالأسلحة، وأمر بحفر الأخاديد، وأوقد فيها النيران، وأمر العامة من الناس بأن يأتوا بالباطنية أفواجا ومنفردين، فيلقونهم في النار حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا .^(٢)

ومن الوسائل التي استخدمها الباطنية لتبيين حقدهم على المسلمين من أهل السنة، قولهم للشعر، ففي عام ٥٧٤هـ قبض ببغداد على شاعر باطني كان ينشد أشعارا في ثلب الصحابة وسبهم، وتهجين من يحبهم، فعقد لـه مجلس واستنطق فأقر بـلـثه باطني رافضي، فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ففعل به ذلك وظهر المجتمع منه .^(٣)

(١) نفس المصدر السابق ٣١٥/١٠، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٩٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ - ٣١٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠٠/١٢، الذهبي : دول الاسلام ٨٧/٢ .

ولم يسلم الحجاج الآمنين من بطش الباطنية، ففي عام ٤٩٨هـ، تجمعت قوافل الحجاج مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد، فوصلوا إلى خوار الري، فباغتتهم الباطنية وقت السحر، فوضعوا فيهم السيوف وقتلوه كيف شاءوا، وغنموا أموالهم ودوابهم، ولم يتركوا شيئا إلا أخذوه (٢).

وفي عام ٥٢٢هـ وبينما كان حجاج خراسان سائرون في طريقهم إلى الأماكن المقدسة، طلع عليهم الاسماعيلية الباطنية، فقاتلهم الحجاج قتالا شديدا، وصبروا صبرا عظيما، حتى قتل أميرهم فانخدلوا، واستسلموا وطلبوا الأمان، وألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الاسماعيلية وقتلوه، ولم يبقوا منهم إلا عددا يسيرا، وقتل فيهم من الأئمة والعلماء والزهاد والملحاء جمع كثير، وفي الصباح طلع على القتلى والجرحى شيخ من الباطنية ينادى : يا مسلمين ذهبت الملاحدة، ومن أراد الماء سقيته فكان كل من يرفع رأسه أو يتكلم بكلمة أجهز عليه ذلك الشيخ وقتله حتى لم يبق منهم أحدا (٣).

وفي عام ٦٠٨هـ عندما أظهر الباطنية في بعض قلاعهم الاسلام، وذهب منهم جماعة للحج، وشب أحد هؤلاء الباطنية على أحد أقارب الأمير قتادة صاحب مكة فقتله، ظنا منه أنه قتادة، فثارت الفتنة بين الحجاج وكثير السلب والنهب فيهم (٤).

(١) خوار الري : قرية من أعمال بيهق من نواح نيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٩٤/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٩٢/١٠ - ٣٩٣ .

(٣) الذهبي : دول الاسلام ٦٨/٢، الذهبي : العبر ١٦/٣، ابن الأثير : الكامل ٢٢٥/١١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٩٧/١٢ .

ونتيجة لهذا الوضع الذى خلغته الباطنية فى المجتمع الاسلامى —
 أصبح الناس غير آمنين ولايثقون فى بعضهم البعض، وصار كل من فى نفسه
 ضغينة على صاحبه ادعى عليه مذهب الباطنية، فيؤخذ على الفور ويقتل (١)
 وهكذا حار الناس فى المجتمع الاسلامى وكأنهم غرباء على بعضهم البعض
 لاأحد يكلم الثانى ولايستطيع أن يتفوه عليه بكلمة واحدة، فقطعت الأرحام
 وتفككت الروابط وزادت الفرقة بين الناس .

من هذا يتبين لناكيف عملت الباطنية على افساد العلاقات
 الاجتماعية بين الناس فى المجتمع الاسلامى ، فأصبحت الثقة بين الأفراد
 معدومة ، ويتضح لنا كذلك مدى انتشار وتغلغل الباطنية فى المجتمع
 الاسلامى ووجودهم فى كل مكان ، وعن مدى سطوتهم والفتك بكل معارض لهم
 أو ناقد لفكرهم ، فأصبح العلماء والكتاب لايتحدثون عنهم الا بالتلميح
 والتورية حتى لاتنالهم أيدي الباطنية، وخير شاهد على ذلك ماذكره
 مؤرخ الدولة السلجوقية العماد الأصفهانى فى كتابه تاريخ دولة
 آل سلجوق عند حديثه عن الاسماعيليه ، فهو لم يتحدث عنهم بصراحة ولم
 يذكر اسمهم، بل تحدث عنهم بالتلميح والتورية والاشارة ، واليك ماقاله
 العماد الأصفهانى عن الاسماعيليه فى كتابه تاريخ دولة آل سلجوق :
 "قال : فنابت النواشب، وظهرت العجائب، وفارق الجمهور من بيننا جماعة
 نشأوا على طباعنا، وكالوا بصاعنا، وساح فى العالم ، وكانت صناعتهم
 الكتابة ، فخفى أمره حتى ظهر وقام ، فأقام من الفتنة كل قيامة، واستولى
 فى مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة، وبدأ من القتل والفتك بأمور شنيعة
 (٢)

-
- (١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ، مخطوط ، ورقة ٤٤٨ ب ، سبط بن
 الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ١٣ / ورقة ١٣٣ أ .
 (٢) هذا الرجل الذى يقمده. العماد الكاتب هو الحسن بن الصباح زعيم
 الباطنية النزارية .

وخفيت عن الناس أحوالهم ، ودامت حتى استتبت على استتار ، بسبب ان لهم
 يكن للدولة أصحاب أخبار ، وكان الرسم في أيام الديلم ومن قبلهم من
 الملوك ، أنهم لم يخلوا جانباً من صاحب خبر وبريد ، فلم يخف عندهم أخبار
 الأداني والأقاصي ، وحال الطائع والعاصي . (وهنا يضرب الكلام ولا يستقيم
 المعنى ، والخلاصة أن نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان
 اقترح على السلطان بث العيون حتى لا تؤخذ الدولة من أي عدو داخلي على
 حين غرة) ، فأجاب أنه لا حاجة بنا إلى صاحب خبر ، فإن الدنيا لا تخلو كل
 بلد فيها من أصدقاء لنا وأعداء . فإذا نقل إلينا صاحب خبر ، وكان له
 غرض ، أخرج المديق في صورة العدو ، والعدو في صورة المديق . فأسقط
 السلطان هذا الرسم لأجل ما وقع له من الوهم ، فلم يشعر إلا بظهور القوم
 وقد استحكمت قواعدهم ، واستوثقت معادهم ، وخافوا السبل ، وأجالوا على
 الأكابر الأجل ، وكان الواحد منهم يهجم على كبير ، وهو يعلم أنه يقتل
 فيقتله غيلة ، ولم يجد أحد من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة . فصار
 الناس فيهم فريقين ، فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ، ومنهم من
 عاهدتهم على المسالمة والموادة ، فمن عاداهم خاف من فتكهم ، ومن سألهم
 نسب إلى شركهم في شركهم .

وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجبهتين . فأول ما بدأوا به بقتل
 نظام الملك ، ثم اتسع الخرق وتفاقم الفتق . ولما كانوا قد تجمعوا من
 كل صنف ، تطرقت إلى جميع أصناف الناس التهم ، ودب إلى البريء السقم
 وتوفرت على التوقي المهم ، وتعين على السلطان أن يكشفهم مدافعاً

(١) أي السياسة المتبعة .

(٢) أي لم يضع السلطان عيوناً للدولة خوفاً من هذا السبب .

(٣) أي أن جماعة الباطنية كانوا من مختلف الأجناس والأقوام ، بحيث
 أصبح كل شخص يشك في أن يكون رفيقه منهم .

لئلا ينسبه العوام وأهل الدين الى الالحاد وفساد الاعتقاد . كما جرى
 لملك كرمان فان الرعية اتهموه بالميل الى القوم فبطشوا به وقتلوه
 وأقاموا ملكا آخر مقامه ، وما كان سلطان يلى يثق بخواصه وسعته
 ذوو الأغراض فى ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جد السلطان فى ابادة القوم
 سعى بعض الناس ببعض . وأحب وهمه بالالحاد لسابق عداوة وبغض ، ووسمه
 باسم لم يمح عنه غير السيف ، ولم يجد محيدا عن التزام الحيف ، وبقي
 فى هذه الاصطكاكات والاصطدامات خلق كثير ، وجم غفير ، ولم يبق للأكاب
 فى دفع ماعرا رأى ولاتدبير " .^(٣)

ان كلام العماد الأمفهانى هذا عن الباطنية يدلنا على ماكان لهم من
 شأن وخطر فى المجتمع الاسلامى ، حتى اضطر مؤرخ معروف ، وكاتب مشهور الى
 التلميح بأمرهم عند الكتابة عنهم فى كتاب كان الهدف منه تسجيل
 تاريخ الدولة السلجوقية ، ونحن نعرف ماكانت عليه هذه الدولة من قوة
 وغيرة على الاسلام ومحاربة كل القوى الخارجة التى أرادت أن تنال من
 الاسلام والمسلمين ، ولكن على مايبدا أن أمر الباطنية ازداد واستشرى
 عندما مات أقوى رجلين فى الدولة السلجوقية السلطان ملكشاه والوزير
 نظام الملك ، ووقوع الخلاف بين أولاد ملكشاه ، ونشوب الحرب بينهم تنازع
 حول العرش . . . هذا الجو من الخلاف أتاح الفرصة المناسبة للباطنية
 لبث أفكارهم وتوسيع دائرة نشاطهم ، فاستولوا على مزيد من القلاع
 والحصون وبثوا الفتن والدسائس بين الناس حتى أصبح خطرهم وفسادهم فى
 المجتمع الاسلامى مارأيناه وقرأناه .

(١) أصبح السلطان لا يثق بحاشيته ، فخاف أن يكون أحدهم من الباطنية لأنهم

كانوا من جميع طبقات المجتمع .

(٢) أى مات فى هذه الأحداث .

(٣) الأمفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٨ - ٦٩ .

المبحث الرابع

موقف القادة المسلمين من الباطنية

بعد استئصال أمر الباطنية في المجتمع الاسلامي، وأصبحوا يهددون كل فرد من أفرادهم، وباستيلاء زعيم الباطنية الحسن بن الصباح على قلعة الموت الحصينة عام ٤٨٣هـ، وانتشار الغدائيين يغتالون الآمنين، لستم يقف الحكام المسلمون مكتوفي الأيدي أمام هذا الخطر الغاشم الذي أخذ يهدد الدولة الاسلامية من داخلها، فشمروا عن ساعد الجد لاجتثاث هذا الخطر وتطهير المجتمع الاسلامي منه واستخدموا من أجل ذلك وسائل وأساليب مختلفة، فبعد استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة الموت أرسل اليه السلطان السلجوقي ملكشاه أحد العلماء المسلمين لمناظرته هو وأتباعه (١) لعلمهم يرجعون الى جادة المواب . ولكن يبدو أن هذه المناظرة لم تحقق الهدف الذي كان يرجوه السلطان ملكشاه من محاولة اقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن ثم لجأ الى العمل المسلح لقمع هؤلاء المفسدين فأرسل في أوائل عام ٤٨٥هـ أحد قواده المعروف باسم الأمير أرسلان تاش على رأس جيش كبير لمحاربة الحسن بن الصباح، فحاصر قلعة الموت وضيق عليها الخناق حتى كادت المؤن التي بداخلها أن تنفذ، فكان المحاصرون يعيشون على مايسد الرمي من قليل القوت، واستمر الحصار لقلعة الموت قرابة الأربعة أشهر، فلما أحس الحسن بن الصباح بالضيق أرسل الى داعيته الباطني في قزوین دهدار بوعلی يطلب منه النجدة. ومساعدته في فك الحصار عن القلعة فأرسل الداعي دهدار بوعلی ثلاثمائة رجل ومعهم الأسلحة وآلات الحرب

(١) انظر ما سبق ص ١٤ .

فأغاروا ليلاً بالاتفاق مع من بداخل القلعة على جيش أرسلان تاش، فأوقعوا بهم الهزيمة، وهزم أرسلان تاش ورجع مع من بقى من فلول جيشه إلى السلطان ملكشاه ^(١) .

لم يستسلم السلطان ملكشاه لهذه الهزيمة، بل عقد العزم على استئصال شأفة الباطنية، فأعد على الفور حملة عسكرية أخرى بقيادة أحد قواده يقال له "قزل سارغ" وتوجهت إلى منطقة قوهستان، وأخذت تحارب الباطنية في تلك المناطق، وضربت الحصار على قلعة درة الباطنية وأثناء عملية الحصار توفي السلطان ملكشاه، فلما علم القائد قزل سارغ خبر الوفاة فض الحصار المضروب على القلعة ولم يظفر منها بطائل ^(٢) .

بعد وفاة السلطان ملكشاه، دب النزاع في البيت السلجوقي وتنافس أبناء ملكشاه الأربعة على السلطة، ودارت بينهم حروب ومعارك إلى أن استتب الأمر للابن الأكبر بركيارق، فحاول الباطنية استغلال فرصة الاضطرابات هذه، فسعوا إلى التمكين لأنفسهم عن طريق الاستيلاء على مزيد من القلاع والأماكن الحصينة، والتسلل إلى بلاط السلاطين والاندساس في جيوشهم، فكان جيش بركيارق من الجيوش التي تزايد فيها نفوذ الباطنية، حتى قيل أنهم كانوا يشكلون ربع جيشه، ويبدو أن بركيارق فضل عدم الاصطدام بالباطنية

(١) الجويني: تاريخ جهنكشاي ص ١٩٥ - ١٩٦، عمر أبو النصر: قلعة الموت ص ١٢٨ - ١٢٩، أحمد حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) دره: بلد بين هراة وسجستان، وهي آخر عمل من أعمال هراة . ياقوت: معجم البلدان ٤٥٣/٢ .

(٣) الجويني: تاريخ جهنكشاي ص ١٩٥ - ١٩٦، عمر أبو النصر: قلعة الموت ص ١٢٨ - ١٢٩، أحمد حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ١٧٨ - ١٧٩ .

والفتك بهم بسبب انشغاله فى الحروب مع اخوته وأهل بيته بعد وفاة والده ، فاستغل أخوه محمد ذلك ، فكان هو وجنوده عندما يتقابلون مع بركيارق وجنده ، يكبرون عليهم ويقولون يباطنية .^(١)

وبعد أن استقر السلطان بركيارق فى السلطة ، ورأى أن خطر الباطنية قد ازداد وأصبح يهدده ، أشار عليه أعوانه أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافى أمرهم ، وأعلموه بما يتهمة الناس به من الميل الى مذهبهم فهب السلطان على الفور هو وعساكره وأخذ فى حرب الباطنية ، فطهر أولا جيشه منهم ، فقتل كل من ثبت عليه الاتهام بأنه من الباطنية أو حامى حوله الشبهة بأنه منهم ، ثم هاجم الباطنية فى كل مكان فأخذوا من خيامهم ومنازلهم وقتلوا فى ميدان عام ، ولم يفلت منهم الا من لم يعرف ، وبلغ عدد القتلى منهم ثلاثمائة ونيفا .^(٢) كما أن السلطان أطلق العنان للناس ليقتلونهم أينما شقوهم ، فأخذ الناس والعامه يتتبعون الباطنية ويقتلونهم ، حتى أن أحد فقهاء الشافعية واسمه أبو القاسم مسعود ابن محمد الخجندى كان يحفر الأخاديد ويوقد فيها النيران ويحرق الباطنية فيها فرادى وجماعات .^(٣)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٣٢٢/١٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٣٥٤/٢٦ ، أحمد طمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨٠ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ٣٢٢/١٠ .
- (٣) نفس المصدر السابق ٣٢٢/١٠ - ٣٢٣ ، النويرى : نهاية الأرب ٣٥٥/٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ١٢١/٩ .
- (٤) ابن الأثير : الكامل ٣١٥/١٠ ، ابن كثير : البدايه والنهايه .
- ١٥٩/١٢ .

لم يقف حد التنكيل بالباطنية وقتلهم على يد أتباع السلطان
بركيارق عند هذا الحد، بل ان السلطان نفسه عندما أسر مؤيد الملك بن
نظام الملك سبه الانتسابه الى مذهب الباطنية وعيره بذلك ثم قتله بيده .^(١)
الى جانب ذلك تتبع أمراء الأقاليم التابعة لبركيارق الباطنية
ففتك بهم الأمير جاولى سقاوا، وقتل منهم خلقا كثيرا يقارب الثلاثمائة
نفس، وذلك بحيلة دبرها هو وأصحابه من داخل صفوف الباطنية حتى استطاع
أن يظفر بهم ويقتلهم .^(٢) وفي نفس الوقت أرسل السلطان بركيارق الى
الخليفة العباسي في بغداد يشير عليه بتتبع الباطنية الموجودين هناك
في عاصمة الخلافة، فأمر بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك " ولم يتجاسر أحد
أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب " و^(٣)قتل كل من اتهم بأنه
من الباطنية منهم .

وتعاون السلطان بركيارق أيضا مع أخيه السلطان سنجر على العمل
معا لقتال الباطنية وتطهير المجتمع الاسلامي منهم ، فأرسل سنجر حملة
كبيرة وحسنة التسليح ، وجعل على قيادتها أكبر أمراءه " الأمير بزغش"
أرسل هذه الحملة الى مناطق الباطنية في قوهستان ، ف ضربت الحصار على
قلعة طيس الباطنية التي كانت الحصن الرئيس للباطنية في هذه المنطقة
واستطاعت هذه الحملة أن تدمر معظم سور القلعة بالمنجنيات وأن تقتل
من الباطنية أعدادا كبيرة، وكادت أن تسقط بيدهم لولا خيانة وقعت في
جيش السلطان سنجر من قبل القائد بزغش ، حيث تمكن الباطنية من رشوتهم
فرفع الحصار ورحل عن القلعة .^(٤)

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٠٤/١٠ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في المصدر السابق ص ٣٢٠ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٢٠/٩ .

(٤) برنارد لوييس : الحشيشية ص ٦٧، ابن الأثير : الكامل ٣٢٤/١٠ .

ثم تكررت محاولة السلطان سنجر للفتك بالباطنية مرة ثانية
ففى عام ٤٩٧هـ خرج قائده الأمير بزغش ومعه الكثير من المتطوعة ، فقصـد
قلعة طبس مرة أخرى ، فحاصرها وخربها هى وماجاورها من القلاع والقرى
وأكثر فى الباطنية القتل ، والنهب ، والسبى ، وفعل بهم الأفعال العظيمة
ولكن أصحاب سنجر أشاروا عليه بأن يؤمنوا ويشترط عليهم بأن لا يبنوا
حصنا ، ولا يشتروا سلاحا ، ولا يدعون أحدا الى مذهبهم . وآمنوا على هـذا
الأساس .

لكن هذا الأمان والصلح للباطنية أشار سخط كثير من الناس ، لدرجة
أنهم نعموا على السلطان سنجر ، وذلك بسبب ما نالهم من أذى وقتل على أيدي
أفراد هذه الفئة ، ولعلمهم بأنهم لن يحترموا هذا الأمان وهذا الصلح
وهذا ما حدث فعلا ، ففى العام التالى ٤٩٨هـ خرج جمع كبير من الباطنية
من قلعة طريثيث الواقعة بالقرب من بيهق ، فأغاروا على النواحي
المجاورة لها ، وأكثروا القتل فى الأهالى ونهبوا الأموال ، وسبوا
النساء ، ولم يقتصروا على الهدنة المتقدمة .

رغم هذا استمر السلطان سنجر فى سياسته الرامية الى الحد من
خطر الباطنية ، وتتبعهم فى كل مكان ، وقتل ما استطاع قتله منهم ، ففى
عام ٥٢٠هـ أمر وزير السلطان سنجر أبو نصر أحمد بن الفضل بغزو الباطنية
وقتلهم حيثما ظفر بهم ، ونهب أموالهم وسبى حريمهم ، فجهز الى ذلك عدة
جيوش أرسلها الى أكثر المناطق التى يتواجدون فيها ، فأنفذ جيشا الى
طريثيث ، وآخر الى بيهق وشالط الى طرز ، وأوصى بأن يقتلوا كل من لقوه
منهم ، فقصـد كل جيش الى الجهة المحددة له ، فأما الجيش الذى توجه الى

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٧٨/١٠ - ٣٧٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ٣٩٢/١٠ - ٣٩٣ .

بيهق وأعمالها فقد قتلوا كل من بها من الباطنية وهرب مقدمهم ، وصعد منارة المسجد وألقى بنفسه منها فهلك ، وكذلك الجيش المنفذ الى طريشيث : قتلوا من أهلها فأكثروا ، وغنموا من أموالهم وعادوا . (١)

وفى عام ٥٢١هـ أغار السلطان سنجر على الباطنية فى قلعة آلمسوت فأوقع بهم وقتل منهم ما يقارب الاثنى عشر ألفا . (٢) وفى عام ٥٢٨هـ أمر السلطان سنجر الأمير بزغش بحصار قلعة كردكوه الباطنية ومحاولـة السيطرة عليها ، وبعد حصار طويل كادت القلعة أن تستسلم لولا أن الأمير بزغش رحل عنها فى اللحظات الأخيرة بسبب تأثير الرشوة عليه من قبـل الباطنية المحاصرين فى القلعة . (٣)

ورغم أن السلطان سنجر لم يستطع أن يحرز نصرا حاسما على الباطنية إلا أنه استمر فى سياسته الرامية الى الحد من نفوذ الباطنية قدر المستطاع (٤)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ٦٣١/١٠ - ٦٣٢ .
 (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٩٨ ، الذهبى : العبر ٢/٤١٥ ، ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٤٧ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل ١١/١٧ .
 (٤) هناك بعض المؤرخين من يتهم السلطان سنجر بالتواطؤ مع الباطنية ومهادنتهم والاستعانة بهم فى بعض الأحيان الى درجة أن بعضهم اتهمه بتدبير اغتيال الخليفة المسترشد العباسى أمثال العماد الأصفهانى ولكن الجوينى فى تاريخ جهنكشاي يرد على ذلك وينفى الشبهة عن سنجر فيقول : "كان سنجر نقى العقيدة ويخشى الله ، وكان جماعـة من قصار النظر وسيئى الطوية بالنسبة للدولة السنجرية ينسبون هذا الحادث (حادث اغتيال الخليفة المسترشد) الى حضرة السلطان سنجر ولكن كذب المنجمون ورب الكعبة ، فحسن طوية السلطان سنجر ونقـاء سريرته فى اتباع الدين الحنيف والشريعة وتقويتهما ، وتعظيمه لكل ما يتعلق بدار الخلافة ، الى جانب شفقتـه ورأفته ، كذلك واضح بحيث لا يمكن أن ينسب الى حضرته أمثال هذا البهتان واشكال هذا التزوير فقد كان منبع المصحح ومنشأ الرأفة" . انظر الجوينى : تاريخ جهنكشاي ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

فأرسل في عام ٥٤٦هـ أحد أمراءه " الأمير قحجق " على رأس جيش كبير إلى قلعة طريثيث ، فأغار عليها ، وأحرق مساكنها ، وسبى ما وقعت عليه يده ، وفعل بهم الأفاعيل العظيمة ، ثم عاد سالماً .^(١)

أما عن موقف السلطان محمد السلجوقي من الباطنية ، فهو بحق هو موقف المشرف الذي كاد أن يقضى على خطر الباطنية قضاءً مبرماً لو امتد به العمر قليلاً ، فلقد عرف السلطان محمد بغيرته الدينية وجهاده في سبيل إعلاء كلمة السنة ، فأدرك منذ اللحظة الأولى التي استقر فيها الأمر له ، أن استقلال البلاد التام وأمنها لا يتم إلا بالقضاء على الباطنية وهدم معقلهم ، وأيقن أن القضاء عليهم ينبغي أن يكون أهم عمل يقوم به ، فكان أول ما فعله أن أرسل الأمير آقسنقر البرسقي شحنة بغداد إلى قلعة تكريت الباطنية ليملكها ، فما كان من الباطنية أصحابها إلا أن سلموها إلى صدقة بن مزيد الشيعي الإمامي ليضمنوا عدم وقوعها في يد السلاجقة السنيين ، وكانت النتيجة أن خسروا القلعة .^(٢)

أما الخطوة الثانية التي فعلها السلطان محمد في هذا المجال هي أنه قام بالقبض على وزيره سعد الملك أبو المحاسن الآبي لتواطئه مع الباطنية وتقديم العون لهم ، فقبض عليه وعلى أربعة من أعوانه وقتلهم ثم صلبهم على باب أصبهان . وسعد الملك هذا كان له دور كبير في تأخير سقوط قلعة أصبهان " شاه دز " الباطنية في يد السلطان محمد فسقطت بعد قتله بيومين وهذا دليل على أنه كان متواطئاً مع الباطنية . ففي عام ٥٥٠هـ وبعد أن استغل أمر الداعي الباطني أحمد بن عبد الملك

(١) ابن الأثير : الكامل ١٥٧/١١ .

(٢) نفس المصدر السابق ٤٢٠/١٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ٤٣٧/١٠ ، النويري : نهاية الأرب ٣٦٢/٢٦ - ٣٦٣ .

ابن عتاش فى قلعة أصبهان التى كان يرسل منها أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال، وقتل من قدروا على قتله، وجعلوا على القرى السلطانية المجاورة لهم وأملاك الناس ضرائب يأخذونها، مقابل أن يكفوا آذاهم عنها، بعد هذا كله وبعد أن صفت السلطنة للسلطان محمد، رأى أن تكون البداية فى عملية قمع الباطنية يجب أن تكون بقلعة أصبهان لأن الأذى بها أكثر، وهى متسلطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه على رأس جيش كبير فحاصرها فى شعبان من نفس السنة واستمر الحصار قرابة الأربعة أشهر الى أن سقطت فى يده فى شهر ذى القعدة ووقع ابن عتاش هو وابنه أسيرين فى يد السلطان محمد، فأمر السلطان محمد بأن يشهر به فى شوارع أصبهان ثم يسلخ جلده. وهو حى، ثم يحشى تبنا، فسلخ حتى مات (١) وقتل بعده ابنه وحمل رأسيهما الى بغداد .

لم يحصل السلطان محمد على هذا النصر فى أول لقاء بينه وبين هذه الطائفة بثمن بسيط، بل واجه كثيرا من المواقف الحرجة التى صمد أمامها حتى تحقق له هذا الهدف . ومن ذلك أنه لما عزم على حروب الباطنية استخدم المشايخون لهم فى عسكره حرب الشائعات، ليصرفوه عن غايته، فأذاعوا أن قلج أرسلان (سلطان سلاجقة الروم) قد جاء الى بغداد وملكها، وافتعلوا فى ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أن خلا حدث بخرسان، وكان هدفهم من ذلك كله إبعاد السلطان عن محاصرة قلعة أصبهان حتى لا يتحقق الهدف الذى كان يسعى اليه من إزالة هذه القلعة، لكن السلطان توقع حتى تحقق من بطلان الشائعات ثم انصرف لغايته . (٢)

-
- (١) انظر نفس المصادر السابقة : ابن الأثير : ٤٣٠/١٠ - ٤٣٤، النويرى ٣٦٢/٢٦، ٣٦٣، الذهبى : دول الاسلام ٢٩/٢، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٤ .
- (٢) انظر ابن الأثير : الكامل ٤٣١/١٠ - ٤٣٢ .

وأثناء حصار السلطان محمد لقلعة أصبهان لجأ الباطنية الذين بها إلى لعبة أشبه ماتكون بلعبة التحكيم الشهيرة بين على ومعاوية رضي الله عنهما ، اذ كتبوا إلى الفقهاء السنيين يطلبون فتواهم في قسوم يؤمنون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر، ولكن يخالفون في الامام ؛ هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم، وأن يقبل طاعتهم ، ويحرسهم من كسل أذى ؟ وكادوا أن ينجحوا في لعبتهم هذه حين أجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك ، وتوقف البعض عن الفتوى ، فجمع السلطان الفقهاء للمناظرة ، فانتصر رأي الفقيه الشافعي أبي الحسن على بن عبد الرحمن السمنجاني الذي أفتى بوجوب قتالهم وسفك دمائهم ، وأنه لاينفعهم التلفظ بالشهادتين لرأيهم في الامام الذي يستطيع أن يحرم عليهم ما أحل الله ، ويحل لهم ما حرم الله ، وتكون طاعته في هذه الحالة حسب اعتقادهم فيه واجبة (١) فتباح دمائهم بهذا السبب بالاجماع .

ولما فشلت حيلتهم هذه لعرف السلطان عن محاصرتهم لجأوا إلى أسلوب آخر لكي يؤخروا عملية سقوط القلعة ، ولعلمهم يستفيدون من الوقت فطلبوا من السلطان أن يرسل اليهم من يناظرهم ، فمعد اليهم بعض العلماء ثم عادوا بغير طائل ، وأخيرا طلبوا أن يؤمنوا ، ويتركوا القلعة مقابل أن يوصلهم السلطان إلى بعض قلاعهم الأخرى على دفعات ، فاذا عاد اليهم من يخبرهم بوصول الدفعة الأولى إلى القلاع سالمين ، نزل ابن عطاش ومن بقي ليوصلهم السلطان إلى الحسن بن الصباح في قلعة آلموت ، فوافق السلطان محمد على ذلك ، ووصل الفوج الأول إلى القلاع التي عينوها فلما تأكد ابن عطاش أن أتباعه وصلوا سالمين نقض عهده ، واستمر في

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ٤٣٢/١٠ .

(١)

العناد الى أن انتهت مقاومته وسقط أسيرا وفعل به ما فعل .

كان لهذا النصر الذى حققه السلطان محمد السلجوقى على زعيم الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاش وأخذه لقلعة أصبهان دافعا لملاحقة الباطنية فى كل مكان ، وخاصة فى عاصمتهم آلموت ، فأرسل فى المحرم من عام ٥٠٣هـ وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى هذه القلعة لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الباطنية فى تلك القلعة

(٢)

فحاصروهم مدة . ثم رحل عنها بسبب دخول موسم الشتاء .

لم يكتف السلطان محمد بهذه المحاولة لفتح قلعة آلموت عاصمة الباطنية ، بل كرر ذلك مرة أخرى فى عام ٥٠٥هـ اذ ندب لقتال الحسن بن الصباح فى هذه القلعة أحد قواده واسمه أنوشكين شيركير فتوجه اليها وفى الطريق ملك من الباطنية عدة قلاع ، ولكنه وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سلطانه من قبل ، اذ آمن من كانوا فى هذه القلاع ، وسيرهم الى قلعة آلموت عاصمتهم ، ثم سار هو بعد ذلك لحصارها بعد أن ازدادت قوة ومنعة بمن توجه اليها من الباطنية ، وأمدده السلطان بعدد من الأمراء وانعقد عزهم على اسقاط هذه القلعة مهما كلفهم الأمر ، فبينوا المساكن حولها ، وعين لكل طائفة من الأمراء - بالتناوب - أشهرا يقيمون فيها

(١) انظر نفس المصدر السابق ٤٣٣/١٠ - ٤٣٤ .

ومن الملاحظ أن السلطان محمد لم يكن موفقا فى تأمينه للباطنيين فلقد زادوا اخوانهم فى القلاع الأخرى قوة بالانضمام اليهم ، مما جعلهم يقفون فى وجهه بصلابة ولايستسلمون ، فكان من الأفضل والحكمة أن يقضى عليهم أولا بأول حتى لاتفكر باقى القلاع ومن فيها بالمقاومة ، ولكن لعل ظروف السلطان السياسية هى التى جعلته يتصرف معهم على هذا الأساس .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٤٧٧/١٠ - ٤٧٨ .

وكان من نتيجة ذلك أن أرسل الباطنية مجموعة من فدائيتهم فوشبوا على الوزير نظام الملك أحمد فى الجامع وضربوه بالسكاكين وجرحوه فى رقبته ، ولكن لم تكن الضربات قاتلة فبرىء من جراحه . . . انظر

ماسبق ص ١٩١ ، ١٩٢ .

لحصارها، على أن يقيم القائد العام أنوشتكين إقامة دائمة ليشرف بنفسه على عملية الحصار، وفي نفس الوقت كان السلطان يمدّه وينقل اليه الميرة والذخائر، والرجال، حتى اشتد الأمر على الباطنية، وهدمت عندهم الأقوات بسبب طول الحصار، فلم يجدوا بداً من انزال نساءهم يطلبن الأمان لهم على أن يسلموا القلعة، ويوسع لهم كي يمضوا الى أى طريق شاءوا، لكن القائد أنوشتكين رفض ذلك، وأدرك الأخطار التى ترتبت على منحهم الأمان فى السابق، وكان من أبرز هذه الأخطار أن هذه القلعة (آلموت) أصبحت أكبر مركز لتجمعاتهم بعد أن وفد عليها الكثيرون من القلاع الأخرى التى سقطت قبل ذلك، لهذا رفض أن يمنحهم الأمان، وأعاد النساء الى القلعة قعداً. لكى يموت الجميع جوعاً، لكن ماأمله هذا القائد لم يتحقق بسبب وفاة السلطان محمد فى عام ٥١١هـ واصرار الأمراء والجند على الرجوع وفك الحصار بعد سماعهم خبر الوفاة، وذلك بعد أن استمر حصار القلعة مايقارب ست سنوات، وبعد أن كان سقوطها وشيك الوقوع، فلما سمع الباطنية بذلك قويت نفوسهم، وطابت قلوبهم، فقال القائد أنوشتكين لجنوده: ان رحلنا عنهم وشاع الأمر، نزلوا الينا وأخذوا ماأعددناهم من الأقوات والذخائر، والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها، وان لم يكن المقام، فلا بد من مقام ثلاثة أيام، حتى ينفذ منا شغلنا وماأعددناهم ونحرق مانعجز عن حمله لئلا يأخذ العدو، لكن القائد أنوشتكين اضطر الى الانسحاب تحت ضغط جنده، فغنم الباطنية ماتخلف وراءهم من متاع (١).

وبموت السلطان محمد توقف تنفيذ مشروعاته للقضاء على الباطنية والواقع أن السلطان محمد بذل جهداً مشكوراً فى الغل من شوكة الباطنية

(١) ابن الأثير: الكامل ٥٢٧/١٠ - ٥٢٩ .

والحد من سلطانهم ،ووفق الى حد كبير فى تصفية كثير من قلاعهم ————
واخماد ما اشتعل من فتنتهم، والقضاء على موجة الارهاب التى اجتاحت
المجتمع الاسلامى من أعمالهم وتصرفاتهم ،غير أن وفاة السلطان محمد
وعودة النزاع بين أفراد البيت السلجوقى جعل الباطنية يستعيدون قوتهم
ويواصلوا نشاطهم ، فلم تخمد فتنتهم نهائيا، بل عادت تطل برأسها بين
آونة وأخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة لتقوية حالهم، فاستولوا على قلاع
كثيرة أضافوها الى ماتحت أيديهم .

بعد وفاة السلطان محمد تولى السلطنة بعده ابنه محمود، وكان محمود يكن للشيعة والباطنية عداوة شديدة، لهذا حرّمهم من امتلاك المدارس والخانقات وحضور مجالس البحث والمناظرة غير أن ميله للمتعة قلل من قيمة دوره في الصراع ضد الباطنية، ومما يذكر في عهده أنه أرسل جيشاً إلى رودبار غير أن قائده عجز أمام الباطنية وسعى في طلب الصلح .^(١)

ولكن السلطان محمود استطاع في عام ٥٢٤هـ من احتلال قلعة الموت
وأخذها من الباطنية، ولكنهم تمكنوا من استرجاعها بعد وفاته فـ
(٢)
عام ٥٢٥هـ .

وكذلك واصل حكام الولايات الإسلامية تتبع الباطنية والفتك بهم
فلقد كان الأمير عباس صاحب الرى الذى كان من غلمان السلطان محمود كثير
الجهاد للباطنية ، فاستطاع أن يفتك بالباطنية الذين عنده ، فقتل منهم

(١) أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ١٨٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٦٦/١٠، الذهبى : العبر ٤١٩/٢، أحمد حلمى :

السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨٦ •

خلقنا كثيرا لدرجة أنه بنى منارة من رؤوسهم بالرى ، كما أنه حاصر قلعة الموت ، ودخل قرية من قراهم فألقى فيها النار وأحرق كل من فيها من الرجال والنساء والصبيان .^(١)

لم تقتصر الجهود لمقاومة الباطنية ، ومحاولة تطهير المجتمع الاسلامى منهم على حكام السلاجقة فحسب ، بل ساهم حكام الدول الاسلاميــــــــــــة الأخرى التى ظهرت فى تلك الحقبة بدور فعال فى الحد من نفوذ الباطنية مثل الدولة الغورية والدولة الخوارزمية .

أما عن دور الدولة الغورية فى هذا المجال ، فبعد وفاة الملك علاء الدين الحسين الغورى ملك الغور تولى بعده زعامة الغور ابنــــــــــــه سيف الدين محمد ، فأطاعه الناس وأحبوه ، وكان يوجد فى مناطق الدولة الغورية بعض الدعاة الاسماعيلية الباطنية الذين كثروا أتباعهم وأصبح خطرهم يهدد الناس ، فأمر سيف الدين محمد باخراج هؤلاء الباطنية من بلادهم ، فأخرجوا على الفور جميعهم ولم يبق منهم أحد .^(٢)

وفى عام ٥٩٧هـ سار شهاب الدين الغورى الى قهستان ، وفى الطريق مر على قرية ، فذكر له بأن أهلها اسماعيلية باطنية ، فأمر بقتل المقاتلة ونهب الأموال ، وسبى الذرارى ، وخرب القرية ، فجعلها خاوية على عروشها ثم واصل السير الى كنباد ،^(٣) وهى من المدن التى جميع سكانها من الباطنية ، فنزل عليها وحاصرها ، وأرسل صاحب قهستان الباطنى الى غيــــــــــــث ملك الغور يشكو اليه أخاه شهاب الدين ويقول : " بيننا عهد فما الذى

(١) ابن الأثير : الكامل ١١٧/١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢١/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٧١/١١ .

(٣) كنباد : مدينة كبيرة فى شمال شرقى تون . انظر كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٨ .

بدا منا حتى تحاصر بلدى ؟ ... لكن شهاب الدين شدد الحصار على المدينة ، فلما اشتد خوف الباطنية الذين بها ، طلبوا الأمان ليخرجوا منها ويأخذها ، فأمنهم وأخرجهم منها ، وملك المدينة فأقام بها المصلحة (١) وشعائر الاسلام .

وهناك محاولة أخرى للحد من نفوذ الباطنية كانت فى عام ٦٠٠هـ حين وصل رسول الى شهاب الدين الغورى من عند مقدم الاسماعيلية الباطنية فى خراسان برسالة أنكر ما جاء فيها ، فأمر متولى بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبى على أن يجهز العساكر ويسير بها الى بلادهم ويحاصرها . فسار اليهم ونزل على مدينة قاين وحاصرها وضيق الخناق على أهلها وفى أثناء الحصار وصل خبر مقتل شهاب الدين الغورى ، فصالح علاء الدين أهل قاين على ستين ألف دينار ورحل عنهم (٢) .

أما عن موقف قادة الدولة الخوارزمية من الباطنية فانه يتمثل فى موقفين بارزين ، الموقف الأول كان فى عام ٥٩٥هـ حيث اشتغل القائد خوارزم شاه بقتال الملاحدة الباطنية ، حيث استطاع أن يفتح قلعة الباطنية أرسلان كشاه التى تقع على باب منطقة قزوين ، وانتقل بعدها الى حصار عاصمة الباطنية الموت ، وأثناء عملية الحصار قتل الباطنية الفقيه محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى ، فعاد خوارزم شاه الى عاصمته خوارزم . وفى السنة التى بعدها (٥٩٦هـ) وثب الباطنية أيضا على وزير خوارزم شاه نظام الملك مسعود بن على فقتلوه ، فأمر القائد الخوارزمى تكش ولده قطب الدين بالتوجه الى الباطنية الملاحدة والانتقام منهم

(١) ابن الأثير : الكامل ١٦٧/١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٨٩/١٢ .

(١)
فقدم قلعة ترشيش الباطنية، فحاصرها حتى أذعن له الباطنية الذين فيها
(٢)
بالطاعة، وصالحوه على مائة ألف دينار ثم رحل عنها .

أما الموقف الثانى فكان فى عام ٦٢٤هـ حين قتل الباطنية أميرا
كبيرا من أمراء جلال الدين بن خوارزم شاه ، فلما قتل ذلك الأمير عظم
قتله على جلال الدين وحزن عليه ، وقرر الانتقام من الباطنية، فسار بعساكره
الى بلادهم من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فحربها جميعها، وقتل
أهلها ، ونهب الأموال ، وسبى الحريم ، واسترق الأولاد ، وقتل الرجـال
وعمل بهم الأعمال العظيمة ، وانتقم منهم ، وكانوا قد عظم شـرهم
(٣)
وازداد ضرهم .

كل هذه المحاولات التى قام بها السلاجقة وغيرهم من قادة الدول
الاسلامية ، لم تؤد الى استئصال جذور الباطنية نهائيا من المجتمع الاسلامى
بل ظلت مؤامراتهم وفتنهم تلحق الأضرار بالمجتمع الاسلامى بين الحين
والآخر ، لكنهم نجحوا الى حد كبير فى التخفيف من خطرهم ، وفى تقليص
أظافر حركتهم ولو لحين من الزمن .

هذا بالنسبة الى موقف القادة المسلمين من الباطنية فى بلاد
فارس ، أما فيما يتعلق بموقفهم من الباطنية فى بلاد الشام فهو يتلخص
فى المواقف الآتية : فبعد أن كثر الباطنية فى حلب أيام الملك رضوان بن
تتاش الذى كان يستعين بهم لقلعة دينه كما يقول ابن الأثير ، وأصبح لهم
بها دار دعوة ، خافهم ابن بديع رئيس حلب والأعيان من أهلها ، ولما توفى

(١) ترشيش : ناحية من أعمال نيسابور ، وهى اليوم بيد الملاحدة (وهى

طريث) . انظر ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٢٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢/١٥٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٧٠ .

الملك رضوان وتولى بعده. ابنه الملك ألب أرسلان الأخرس أشار عليه ابــــن بديع بالفتك بالباطنية وقتلهم وتخليص البلد منهم قبل أن يتمكنوا ويصبح من المتعذر دفع شرمهم، وفى نفس الوقت كتب السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى الى ألب أرسلان ملك حلب يقول له : " كان والدك يخالفنى فى الباطنية، وأنت ولدى فأحب أن تقتلهم " . فاجتمعت الأسباب لــــدى الملك ألب أرسلان فأمر بقتل الباطنية وتطهير البلد منهم ، وساعده فى ذلك الرئيس ابن بديع فقبض على رئيسهم أبو طاهر الصائغ مع جماعة من أعيانهم فقتلهم ، ثم قبض على الباقين منهم فحبسهم واستصفى أموالهم وتفرق الباقون فى البلاد ومنهم من قصد بلاد الفرنج محتميا بهم .

أما تاج الملوك بورى صاحب دمشق فلقد فتك بالباطنية وقتلهم شر قتلة ، وصفاهم من دمشق وطهرها منهم ، وفى أيامه زاد الباطنية فى دمشق وكثروا وأصبحوا كما أشرنا سابقا هم المتصرفون فى كثير من شئون البلد حتى كان حكمهم فيها أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك نفسه ، ونــــال الناس من أذاهم مانالهم ، ولما علم تاج الملوك ماتم بين الباطنية والصليبيين من اتفاق على تسليم دمشق للصليبيين مقابل تسليم هور لهم استدعى وزيره المزدقانى الذى ساعد الباطنية على ذلك فقتله علــــى الفور ونادى فى البلد بقتل الباطنية ، فثار الناس والجند بهم وقتلوا كل من ظفروا به من الباطنية ، وبلغ عدد القتلى ستة آلاف نفس .

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/١٠ ، ابن العديم : بغية الطلب ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٢ ، الذهبى : دول الاسلام ٣٥/٢ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥١ - ٣٥٥ ، ابن الأثير : الكامل

٦٥٧/١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٠/١٢ ، اليافعى : مــــرآة

الجنان ٢٢٩/٣ .

ظل الباطنية في الشام يحيكون المؤامرات ويتربصون الفرص للفتك
بأى قائد مسلم يظهر على الساحة الى أن كانت محاولاتهم الفاشلة للفتك
بالقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي واغتياله مرة حين كان محاصرا لحلب
وأخرى حين كان محاصرا لقلعة اعزاز، فأدرك صلاح الدين شر هؤلاء القسوم
فقصدهم في عام ٥٧٢هـ وحاصر عاصمتهم قلعة مصياف ونصب عليها المنجنيقات
فخربها وأحرقها وأوسع الباطنية الذين بها قتلا وأسرا، وأخذ أبقارهم
ودوابهم وخرب ديارهم، الى أن شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود الحارمي
صاحب حماه لأنهم كانوا جيرانه، فقبل صلاح الدين شفاعته وصالحهم ورحل
(١)
عنهم بعد أن أدبهم وأعطاهم درسا قاسيا .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤٧/٢ - ٤٨، أبو الفدا : المختصر في أخبار
البشر ٥٩/٣، الذهبي : دول الاسلام ٨٦/٢ .

الفصل الرابع

التصويرية والدرود ودورهم في الحرب
الصليبية .

- البحر الأول : تأثير التصويرية بالمجوسية والصورانية .
- البحر الثاني : عملهم التصويرية للصليبيين .
- البحر الثالث : عملهم الدروود للصليبيين .

المبحث الأول

تأثر النصيرية بالمجوسية والنصرانية

بما أن مؤسس النصيرية (محمد بن نصير النميري) فارسي الأصل فقد تأثرت حركته ببعض الأفكار والعقائد الفارسية المجوسية التي نقلها بحكم النزعة والتعصب للأهل، فشابت العقيدة النصيرية لوثات مجوسية — تمثلت في بعض عقائدها وعباداتها وأعيادها .

فمن أعياد النصيرية التي يشاركون المجوس فيها :

(١) عيد النيروز ومدته ستة أيام ويسمون اليوم السادس النوروز الكبير .

(٢) عيد المهرجان ومدته ستة أيام ويسمون اليوم السادس منه المهرجان

الأكبر .

(٣) عيد السدق ويسمى آيان روز .

(٤) عيد الشركان .

(٥) عيد الفروودجان .

(١)

(٦) عيد ركوب الكوسج .

(٢)

ويعتقد النصيريون بالتقمص، وهذه العقيدة ليست إسلامية على

(٣)

الاطلاق، بل هي مجوسية . يقول لامانس: " أن النصيريين يشكلون فرقة

غالية تذكرنا بأخلاق المجوس حيث يبيحون اشاعة البنات والأخوات والأمهات

(٤)

وهم لا يملون ولا يتطهرون ولا يمسحون " .

(١) القلقشندی : صبح الأعشى ٤١٨/٢ - ٤٢٤ .

(٢) التقمص : هو اباحة المحرمات من النساء بالزواج وغيره .

(٣) الحسيني عبد الله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٢٥ .

(٤) عبد الله الأمين : دراسات في الفرق ص ١٢٤ .

أما بالنسبة لتأثر النصيرية بالنصرانية فلقد تأثرت الفرق النصيرية الى حد كبير فى كثير من عقائدها بالعقائد النصرانية .
 وذلك ناتج عن اندماج النصيريين فى المجتمع الملبى أثناء فترة الحروف الصليبية ، فالعقيدة النصيرية تشبه الى حد بعيد عقيدة النصارى فالعقيدة النصيرية تقوم على التجسيد وتآليه الامام ، فالألوهية فى نظر النصيريين مثلثة الأجزاء متحدة الحقيقة ، تدور حول أسماء ثلاثة مكونة تثليثا شبيها بتثليث النصارى ويتمتع أصحاب هذه الأسماء الثلاث بالوحدانية والخلود ، والتثليث عند النصيرية يشيرون اليه بكلمات ثلاثة هى :

معنى ، واسم ، وباب ، كما هو الحال فى عقيدة النصارى الذى يتكون تثليثهم من أب ، وابن ، وروح القدس ، ويرمز الى هذا التثليث عند النصيرية بالحروف ع - م - س ، ويفسرون ذلك فيقولون أن المقصود بالمعنى هو على بن أبى طالب ، وهو الله العلى القدير ويرمزون اليه بالحرف (ع) ، وأما الاسم فهو محمد بن عبد الله وهو حجابها النورانى ويرمزون اليه بالحرف (م) ، وأما الباب فهو سلمان الفارسى الذى يوصل الى الحجاب النورانى ويرمزون اليه بالحرف (س) .^(١)

ونستطيع أن نستشف أيضا كيف أن النصيريين تأثروا فى عقائدهم بالنصارى عند مطالعتنا لكتاب تعليم ديانة النصيرية الذى أورده الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه مذاهب الاسلاميين وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من ١٠١ سؤال نورد الأسئلة المتعلقة بذلك بأرقامها كما جاءت فى الكتاب :

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ٢٦٦/٤ ، عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٠٨ ، الحسينى عبد الله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

س ٧٦ : ما "القداس" ؟

ج : تقديس الخمر، التي تشرب على صفة النقباء أو النجباء .

س ٧٧ : ما "القربان" ؟

ج : تقديس الخبز ، الذي يتخذه المؤمنون الصادقون ذكرى لأرواح اخوانهم
ومن أجلهم يقرأون القداس .

س ٧٨ : من الذي يقرأ القداس ، ويقرب القربان ؟

ج : الأئمة والخطباء الكبار .

س ٨٧ : ماهو القداس الأول ؟

ج : هو الذي يقام قبل دعاء النوروز .

س ٨٨ : ومادعاء النوروز ؟

(١)

ج : تقديس الخمر والكاس .

الى جانب ذلك تأثر النعميريون فى بعض أعيادهم بأعياد النصارى
مثل عيد الميلاد، ويمادف رأس السنة الشرقية عند الأرثوذكس، ويقدمون فيه
النبيذ ولحم البقر، وعيد الصليب وهم يحتفلون به ويجعلونه تاريخاً
لقطف الثمار وبدء الزراعة، ويجعلون منه تاريخاً لبداية معاملاتهم بعضهم
مع بعض، كدفع أجور الرعى والمساكن والمخازن وما إليها، ويتوجهون فى
هذا العيد الى المعارض المقامة فى الأديرة لشراء لوازمهم (٢)

ومن الأعياد التي يشارك فيها النعميريون النصارى عيد الغطاس، وعيد
السعف، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد (٣)

(١) عبد الرحمن بدوى ٢/٤٨٤، ٤٨٦ .

(٢) الحسينى عبد الله: الجذور التاريخية للنعميرية العلوية ص ١٣٩، سليمان
الطيبى : طائفة النعميرية ص ٧٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٢/٤٠٩، سليمان الطيبى : طائفة النعميرية ص ٧٤
عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٠، ١٢١، الحسينى عبد الله :
الجذور التاريخية للنعميرية العلوية ص ١٣٩ .

ومن الأعياد النصرانية التي يحتفل بها النصارى عيد الزيتونة (١) وهو عيد الشعانين، وعيد مريم المجدلانية، وعيد البشارة، وعيد الفصح . وللنصارى طقوس تشبه القداس عند النصارى، فهم يعيدون بعض أعياد النصارى كعيد الميلاد والعيد الكبير، ويستعملون بعض الأسماء النصرانية مثل متى ويوحنا وهيلانه وكاترينا . وهم لا يؤدون صلاتهم في المساجد، إنما يملكون في بيوتهم صلاة تشبه صلاة النصارى، فيجتمعون أحيانا في بيوت معلومة ويسمون اجتماعهم (عيدا) ويجمع بهم شيوخهم فيسمعونهم بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأقدمهم ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والقداسات والمطويات القريبة الشبه بقداسات ومطويات النصارى (٢) وحتى تكتمل الصورة فلا بأس من أن نأتى بنصوص ثلاثة قداسات نشرها كتفاجو في مجلة ZDMG المجلد الثاني (سنة ١٨٤٨م) وأثبتها الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين وهي :

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس الطيب لكل أخ حبيب

أيها المؤمنون اسمعوا وطيعوا وانظروا الى مقامى هذا الذى فيه (نحن) مجتمعون . انزعوا الغل والحسد والحقد من قلوبكم، يكمل لكم دينكم

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٤، القلقشندى : صبح الأعشى ص ٤٢٥/٢، ٤٢٦ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ٥٣٩/٢ .

(٣) سليمان الحلبي : طائفة النصارى ص ٥٨، عبدالله الأمين : دراسات في الفرق ص ١١٣ .

ويستجب الله لدعائكم • واعلموا أن الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى
"أنه عليم بذات الصدور" •

اياكم ، يا مؤمنين ، من الضحك والقهقهة في آقوت الصلاة مع الجماعة
فمنها تحبط الأعمال وتتغير الأحوال ، لأنها من طريق إبليس اللعين لعنه
الله تعالى •

اسمعوا ما يقول لكم الامام لأنه قائم فيكم في طاعة العلى العلام :
ان هذا قداس الطيب بعد عقد النية (على) الصلاة الحقيقية التي خص بها
السيد المسيح الى سين ، عطاء كل نفس هوها • قال في القداس المبارك :
سبحان من جعل من المائ كل شيء • سبحان من يحيى الميت في مرمـ
بقدرته ، العلى الكبير • الله أكبر • أسألك اللهم في يده القسيب
(أن) تحل في دياركم البركة ، يا أصحاب هذا الفضل ، وهذا الطيب
ونقدس أرواح اخواننا المؤمنين - البعيد (منهم) والقريب • يا مـولـى
يا أمير النحل ، يا على ، يا عظيم •

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس البخور في روح يدور ، في محل الفرح والسرور

قال : كان سيدنا محمد بن سنان الزهرى يقوم بالصلاة مرة ومرتين
في يده ، يا قوتة حمراء ، وقيل مرجانة صفراء ، يبخر بها عبدالنور ويقول :
يا أيها المؤمنون • بخروا أقدا حكم • أنجزوا أعمالكم - تنالوا
بها الآمال •

ويقول (باجمعكم) : الحمد لله الذى جعل نوره تاما وفعله عاما
علينا وعلى سائر اخواننا، بروح وريحان، وجنة الله والنعيم .
أسألك اللهم مولاي، بحق هذا قداس البخور، وبحق البراء بن معروف
وبحق أبى الحسن المدنى وتلميذه أبى الطاهر سابور، تحل فى دياركم البركة
يا أصحاب هذا الفضل وهذا البخور، يا أمير النحل، يا على، يا عظيم .

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس الأذان، وبالله المستعان

وهو :

الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر كبيراً . الحمد لله كثير
وجهت وجهى الى محمد المحمود، طالباً سره المقصود، المتقرب بتجلى
الصفات وعين الذات، وفاطر الفطر، ذو الجلال والحسن، ذو الكمال . اتبعوا
ملة أبيكم ابراهيم الخليل هو الذى سماكم مسلمين، حنيفاً مسلماً ولا أنا
من المشركين .

دينى سلسل، طاعة الى القديم الأزل . أقر كما أقر السيد سلمان
حين أذن المؤذن فى أذنه وهو يقول : شهدت أن لا اله الا هو العلى المعبود
ولاحجاب الا السيد محمد المحمود، ولا باب الا السيد سلمان الفارسى، ولا ملائكة
الا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام، ولارب الا ربى شيخنا (وهو) شيخنا
وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبى، سفينة النجاة، وعين الحياة . حى
على الصلاة، حى على الفلاح، تفلحوا يا مؤمنون . حى على خير العمل، يعينه
الأجل .

الله أكبر .. الله أكبر .. قد قامت الصلاة على أربابها، وثبتت الحجة
على أصحابها . الله مولاي . يا على أسألك أن تقيمها وتديمها مادامت
السموات والأرض، وتجعل السيد محمد خاتمها، والسيد سلمان زكاتها، والمقداد
يمينها، وأبا ذر شمالها .

نحمد الله بحمد الحامدين، ونشكر الله بشكر الشاكرين . وصلّى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . أسألك ، اللهم مولاي ، بحق
هذا قداس الأذان ، وبحق متى وسمعان ، والتواريخ والأعوام ، بحق يوسف بن
ماكان ، بحق الأحد عشر كوكبا الذين رآهم يوسف بالمنام ، تحل في دياركم
البركة بالتمام . يامولاي ، يا على يا عظيم .
(١)

ومما يدل على اندماج النصيريين في المجتمع الملبيني آثنا
الحروب الملبينية ما يقوله صاحب كتاب تاريخ العلويين النصيري محمد غالب
الطويل . " حتى أصبح الشعب العلوي يملك سجايا وميزات بنيوية تقارب
جميع بقية الطوائف العربية والتركية، من مسيحية ويهودية ورومية
(٢)
وغير ذلك " .

(١) عبدالرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ٢/٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤ .

(٢) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٠٨ .

المبحث الثانى

مساعدة النعميرية للمليبيين

عندما قدم الغزو المليبى على بلاد المسلمين وقويت محاولــــــــــــة
المليبيين السيطرة على الأماكن المقدسة، وبينما كانت جموع الحملــــــــــــة
المليبية الأولى تحاصر مدينة أنطاكية التى استماتت فى الدفاع فــــــــــــد
هجمات المليبيين المتكررة عليها، لم يقف النعميريون مكتوفى الأيــــــــــــدى
بل وجدوا الفرصة مناسبة ولن تعوز للانتقام من أهل السنة عن طريقــــــــــــق
التحالف مع المليبيين وتقديم العون لهم ، فنجدهم ينزلون الى السواحل
من جبالهم التى كانوا يعتمدون بها لى يلاقوا المليبيين ويقدموا لهم
ما يحتاجون .

وبدلاً من أن يقف النعميريون الى جانب المدافعين عن أنطاكيــــــــــــة
ويكونوا عوناً لهم ضد العدو الغاشم حدثتهم أنفسهم بالخيانة، فبعــــــــــــد
حصار طويل استمر قرابة سبعة أشهر على أنطاكية من قبل المليبيين حتــــــــى
أن الجيش المليبى فاق ذرعا بطول الحصار فأخذ شبح المجاعة يتهــــــــــــدد
المليبيين أمام أسوار أنطاكية لدرجة أن الفوضى وسوء النظام دبــــــــت بين
الجند نتيجة لتأثير الجوع والانهاك ، فأخذ بعض المليبيين يفرون مــــــــــــن
المعركة ويستلثون خفية هاربين ، فى هذا الموقف الحرج فى هذه الفتــــــــــــرة
اتصل الزعيم النعميرى فيروز الذى كان موكلاً بحراسة أحد أبراج المدينتــــــــة
من قبل الأمير ياغيسيان بالقائد المليبى بوهيموند على تسليم البرج اليه
ودخول المدينة منه، والاستيلاء عليها، فتم الاتفاق بينهما على ذلــــــــــــك

وعند الفجر تسلق بوهيموند وأصحابه السلالم صاعدين الى البرج حيث كان ينتظرهم فيروز وبمساعده استطاعوا أن يحتلوا باقى الأبراج وتمكنوا من احتلال المدينة بكاملها فأعملوا السيف فى أهلها ونهبوا كل ماوقعست عليه أيديهم ،وهكذا تمكن الصليبيون من الاستيلاء على أنطاكية بمساعدة الزعيم النصيرى فيروز ولو لم يجد الصليبيون هذا الرجل الخائن السذى أعانهم على فتح المدينة لكان حصارهم لها قد طال كثيرا ولكانت النتيجة غير ما آلت اليه بعد ذلك .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت تعامل النصيرية مع الصليبيين ————
ومساعدتهم لهم مذكره شيخ الاسلام ابن تيمية فى سياق فتواه عن النصيرية
اذ قال : " ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية انما استولى عليها
النصارى من جهتهم (أى جهة النصيريين) وهم دائما مع كل عدو للمسلمين
فهم مع النصارى على المسلمين . ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين
للسواحل وانقهار النصارى ، ومن أعظم أعيادهم اذا استولى — والعياذ
بالله تعالى — النصارى على ثغور المسلمين فهولاء المحادون لله
ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم
بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ، فان أحوالهم كانت من أعظم
الأسباب فى ذلك " (٢) .

ويستطرد شيخ الاسلام ابن تيمية في فصح مواقف هؤلاء الخونة وممالاتهم للصليبيين وينبه الى عدم استخدام أمثال هؤلاء في حراسة

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٢/ورقة ١٩ب ، سليم ———
الحلبى : طائفة النصيرية ص ١٠٩ ، عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق
ص ١٢٨ ، سعيد برجوى : الحروب الصليبية فى المشرق ص ١٣٥ .

(۲) ابن تیمیہ : الفتاویٰ ۳۵/۱۵۰ - ۱۵۱ •

ثغور المسلمين حتى لا يؤخذوا من قبلهم فيقول : " وأما استخدام مثل هؤلاء (أى النصيريين) فى ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئب لرعى الغنم ، فإنهم من أغـش الناس للمسلمين ولولاية أمورهم، وهم آحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين وعلى افساد الجند على ولى الأمر واخراجهم عن طاعته .
والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة، فلا يتركون فى ثغر ولا فى غير ثغر، فإن ضررهم فى الثغر أشد، وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام ، وعلى النصح لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، بل اذا كان ولى الأمر لا يستخدم من يغشه وان كان مسلما فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ؟ " (١) .

ومن الملاحظ فى تاريخ الفرق الباطنية أن هذه الفرق كانت دائماً تتحالف مع أى عدو للمسلمين وتقدم له العون فى سبيل القضاء على أهل السنة وهذا ما أشار اليه فيليب حتى فى معرض كلامه عن بعض الطوائف والفرق فقال : " ثم ان العناصر الاسلامية المنشقة من شيعة واسماعيلية ونصيرية عمدوا فى مناسبات عديدة على نقض ولائهم بتقديم العون إلى الافرنج " (٢) .

ومما يدل أيضا على تعامل النصيريين مع الصليبيين ومساعدتهم لهم ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية فقال : " كانت النصيرية عند الهجوم الصليبي على العالم الاسلامى عوناً للصليبيين ضد المسلمين ، ولما استولى الصليبيون على بعض البلاد الاسلامية قربوهم وأدنوهم ، وجعلوا لهم مكانا مرموقا . وعندما توحدت الجبهة الاسلامية

(١) ابن تيمية : الفتاوى ١٥٥/٣٥ - ١٥٦ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٥٩/٢ .

فى وجه الصليبيين على يد قادة الجهاد الاسلامى أمثال نور الدين محمود
وصلاح الدين الأيوبي اختفى هؤلاء عن الأعين واعتمدوا بجبالهم، واقتصر
عملهم على تدبير المكائد والفتن والفتك بكبراء المسلمين وقوادهم
العظام . ولما أغار التتار بعد ذلك على الشام مآلهم أولئك النصيريون
كما مآلئوا الصليبيين من قبل ، فمكثوا للتتار من الرقاب ، حتى
إذا انحسرت غارات التتار قبعوا فى جبالهم قبوع القواقع فى أصدافها
لينتهزا فرصة أخرى ^(١) .

(١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ٦٤/١ .

المبحث الثالث

مساعدة الدروز للمليبيين

بعد سقوط مدينة أنطاكية بيد المليبيين فى عام ٤٩٠هـ وتمكن القائد المليبى بوهيموند من جعل أنطاكية مملكة له، أخذ فى الاستعداد للزحف جنوباً قصد السيطرة على بيت المقدس والأماكن المقدسة فى فلسطين، فتحركت جموع المليبيين صوب جنوب بلاد الشام مستولية على مافى طريقها من مدن وقرى . فى هذا الوقت كان التنوخيون يشكلون عماد دعوة الدروز الموحدين فى جبل لبنان، وتذكر المصادر أنه عندما توجه المليبيون نحو الجنوب لم يلاقوا أى مقاومة من قبل الأمراء المحليين، بل ان بعض هؤلاء الأمراء صالح المليبيين وأعطاهم الأمان . أما التنوخيون الدروز فكان موقفهم من الزحف المليبى سلبياً للغاية، فلم يعترفوا سبيل القوات المليبية القادمة من أنطاكية والمتجهة الى بيت المقدس، ولم يمسوها بسوء بل مرت بأمان من جوارهم . (١)

لم يقف التنوخيون الدروز عند حد وقوفهم متفرجين على الزحف المليبى بل تعدى الأمر لأبعد من ذلك حيث قام أحد زعمائهم بمصالحة المليبيين والانسحاب من صيدا وتسليمها لهم . وفى عام ٤٩٥هـ ولّى شمس الملوك دقاق ملك دمشق عهد الدولة على التنوخى على مدينة صيدا وأمره بتحصين المدينتين (صيدا وبيروت) فحصنها وأرسل الى صيدا نائبا عنه هو الأمير مجد الدولة محمد بن عدى، وظل فى صيدا الى أن سقطت بيد الفرنج عام ٥٠٤هـ، فخرج منها بعد أن صالح الفرنج عليها

(١) نديم حمزة : التنوخيون آجداد الموحدين الدروز ص ٨١ .

(١)
بالأمان .

ظل الزعماء التنوخيون فيما بعد على هذه الشاكلة، أما مصالحهم للفرنج متفرجين عليهم، أو يعقدون العلاقات الودية معهم وتقديم العون لهم . ففي عام ٥٢٨هـ انتقلت إمارة التنوحيين إلى الأمير بحتري بن شرف الدولة على ، والذي استطاع أن يحافظ على منطقة الغرب والتهيشة لسقوطها في يد الصليبيين وذلك بسبب مهادنته لهم وعدم الوقوف في وجههم ومحاربتهم . (٢)

وبعد وفاة الأمير بحتري انتقلت أقطاعاته وشئون الإمارة إلى ابنه كرامة الملقب بـ "زهرة الدولة أبو العز كرامة" ، وفي هذا الوقت كانت حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في أوجها على يد القائد المسلم نور الدين محمود، الذي عمل على استقطاب الأمراء المحليين من حوله حتى يضمن تماسك الجبهة الإسلامية من الداخل ، وكان من ضمن هؤلاء الأمراء الأمير كرامة الذي سارع في الدخول في خدمة الدولة النورية مهملًا الفرنج مما يدل على أن الأمير كرامة كان قبل ذلك محالفًا للصليبيين داخلًا في طاعتهم . (٣) لكن الأمير كرامة لم يطل به العمر، فلم يلبث أن توفي ، فخلفه في الإمارة أولاده الأربعة الذين لم يجدوا حرجًا في مهادنة الفرنج وبناء العلاقات الجيدة مع حكام بيروت الصليبيين . (٤)

وفي أيام دولة المماليك ، وعندما كان الظاهر بيبرس يعمل على استعادة السواحل من الفرنج ازدادت شكوكه في علاقة الأمراء التنوحيين

(١) نديم حمزة : التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ص ٨٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٩١ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٩٤ .

الدروز بالصليبيين ، فعلم باتصال الدروز بوالى طرابلس الصليبي فتوجس منهم خيفة ، فأصدر أمرا بالقبض على هؤلاء الأمراء ليأمن غدرهم ووضعهم في السجون ، وعندما توسط بعض الأمراء من المماليك لدى الظاهر بيبرس للافراج عنهم ، كان جواب السلطان : " هؤلاء لافراج عنهم ولا آذيهـم (١) حتى أفتح طرابلس وبيروت وميدا " .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت عداوة الدروز للمسلمين السنـة وتحالفهم مع كل عدو لهم ، وتقديم العون له هو ما ذكره شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فى معرض جوابه على سؤال عن الدروز فقال : " ان هؤلاء لا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ " (٢) . فهذا دليل على أن هؤلاء القوم دأبوا على الخيانة وتقديم المساعدة الى أعداء المسلمين فلا يؤتمنوا على القيام بحراسة المسلمين ، أو يكونوا جندا فى صفوف جيش المسلمين حتى لا يؤتى الصف من داخله .

(١) نفس المرجع السابق ص ١١٠ ، عبد الله الأمين : دراسات فى الفـرق

ص ١٦١ .

(٢) ابن تيمية : الفتاوى ١٦٢/٣٥ .

انخاتمة

الخاتمة

بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وامتنانه على ، انتهيت من دراسة موضوع بحث الرسالة ، ومن خلال دراستي للموضوع توصلت الى كثير من النتائج المهمة ، سواء على صعيد دراسة عقائد وأفكار الحركات الباطنية أو مواقف وأعمال تلك الحركات .

فمن النتائج المهمة التي توصلت اليها أن الحركات الباطنية لعبت دورا خطيرا في أحداث التاريخ الاسلامي ، روحيا وسياسيا ، فمن الناحية الروحية عملت هذه الحركات الباطنية على تبديل العقائد الاسلامية فحرفتها وزادت عليها وحذفت منها ، حتى أصبحت في صورة ممسوخة أقرب ما تكون الى الخرافات ، وأخذ زعماء تلك الحركات يخرعون ما يحلو لهم من أفكار وعقائد تتفق مع أهوائهم ونزعاتهم الشخصية ، حتى أصبحت هذه الحركات أشد ما تكون خطرا على العقيدة الاسلامية الصحيحة والفكر الاسلامي المستقيم .

أما من الناحية السياسية فلقد أخذت الحركات الباطنية على عاتقها نشر الاضطرابات بين المسلمين وإثارة الفتن بين أفراد المجتمع الاسلامي فأخذت تحيك المؤامرات وتبث دعائها في كل مكان ، واستغلت كل نقطة فعف في المجتمع الاسلامي وتسلبت منها لتنفيذ مخططاتها ، فافتعلت المشاكل وحاولت السيطرة على أجزاء كبيرة من العالم الاسلامي ، ووجهت خناجرها الغادرة الى ظهور القادة المسلمين الذين ندبوا أنفسهم لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم للوقوف في وجه الأعداء من صليبيين وغيرهم .

ان البلبلة التي أحدثتها الحركات الباطنية في المجتمع الاسلامي

كان لها الأثر الكبير في تشبيط الروح الجهادية ضد أعداء الأمة الإسلامية الذين أخذوا يتكالبون عليها من كل جانب طمعا في خيراتها، وعلا على تقليص نفوذها، لقد كان من نتائج سياسة تلك الحركات المعادية للمسلمين من أهل السنة نجاح المليبيين في حملاتهم العدوانية على العالم الإسلامي فاستطاعوا بغفل مساعدة الحركات الباطنية لهم بطريق مباشر أو غير مباشر . تحقيق معظم أهدافهم التي جاءوا من أجلها، فتمكنوا من تأسيس امارات صليبية لهم في بلاد الشام والجزيرة أصبحت كالخناجر في قلب العالم الإسلامي، وسيطروا على بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ودنسوه بخيولهم وسفكوا فيه الدماء، استطاع المليون من خلال تلك الامارات شن الغارات على بلاد المسلمين المجاورة لهم ونهبها وسلب غلالها ونشر الرعب فيها .

ومن النتائج النهماء التي توصلت اليها الدراسة بيان مواقف الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر وعلى رأسها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، فان هذه الدولة لم تدرك هدف الحركة الصليبية الأساسية فظنت أنها حملات تهدف الى تأسيس امارات صليبية في شمال بلاد الشام مما دعى الوزير الأفضل الى الاتصال بالمليبيين في محاولة لاقتسام بلاد الشام مع المليون وتدمير قوة السلاجقة السنيين وازالتها من بلاد الشام، فترادفت الرسل بينهم وتبدلت الهدايا، ولم تشعر الخلافة الفاطمية بخطر المليون وحقيقة أهدافهم الا بعد فوات الأوان، حيث سقطت المعاقل الإسلامية جميعها في شمال بلاد الشام وواصل المليون زحفهم جنوبا حتى بيت المقدس هدفهم الأساسي واستطاعوا الاستيلاء عليه عام ٤٩٢هـ، عندها أدرك الوزير الأفضل حقيقة نوايا المليون فسارع الى ارسال الحملات العسكرية المتوالية لردع المليون وتوقيف زحفهم صوب الجنوب

ولكن جميع هذه الحملات باءت بالفشل ولم تستطع أن تحقق الهدف ———
ارسالها، وكانت مقاومة الفاطميين للصليبيين فيما بعد مقاومة باهتة
لم تتناسب مع حجمهم كدولة كبرى وقوية لها مقدراتها وأهدافها وجيشها
القوى، مما ترتب على ذلك فقد الدولة الفاطمية لجميع معاقلها ومدنها
وموانئها في سواحل بلاد الشام لحساب الصليبيين .

وبينت الدراسة كذلك أن الخلاف المذهبي الذي كان قائما بين
الفاطميين من جهة والعباسيين والسلاجقة من جهة أخرى حال دون قيام
أى وحدة اسلامية أو تحالف اسلامى يتصدى للزحف الصليبي ، الا من بعض
المحاولات العرجاء بين ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق والوزير الأفضل
وهى محاولات لم يكن لها أى أثر فى سير الأحداث ، بل بالعكس ساعد ذلك كله
الصليبيين على تحقيق أهدافهم والاستيلاء على مزيد من المعاقل والحصون .

وبرهنت الدراسة أيضا على أن نور الدين محمود أدرك بحسه العسكرى
منذ البداية أهمية موقع مصر الاستراتيجى ، وأن القضاء على الخلافة
الفاطمية الشيعية فيها واعادتها الى صف أهل السنة سوف يرجح الكفة
العسكرية لصالح الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، وذلك بما تملكه مصر من
قوة بشرية واقتصادية ، فبادر نور الدين محمود على الفور بارسال
الحملات العسكرية المتكررة على مصر بقيادة قائده أسد الدين شيركوه
وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي ، حيث تمكنا فى النهاية من الاستيلاء على
مصر والقضاء على الدولة الفاطمية فيها عام ٥٦٧هـ وبعودة مصر الى
صف أهل السنة وضع الصليبيون بين شقى الرخى حيث اتخذها صلاح الدين
فيما بعد قاعدة له فى جهاده ضد الصليبيين .

وأوضحت الدراسة أن الحركة النزارية الباطنية كانت حجر عثرة

أمام حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، بما أقدمت عليه من قتل واغتيال القادة. والزعماء المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم توحيد الجبهة الاسلامية وبعث فكرة الجهاد الاسلامى وحمل راية لوائه ضد الصليبيين فلقد قامت هذه الحركة بالتعاون مع الصليبيين ومد يد العون لهم فى كل ما يحتاجونه ، وساعدتهم فى تحقيق أهدافهم فخاضت معهم بعض المعارك جنباً الى جنب ضد المسلمين ، وعقدت معهم التحالفات ، اضافة الى ذلك أقدمت هذه الحركة على عمل خسيس خدم الصليبيين خدمة كبيرة فقامت باغتيال قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وتمفيتهم ، فاغتالت جناح الدولة حسين صاحب حمص سنة ٤٩٥هـ وشرف الدولة مودود صاحب الموصل سنة ٥٠٧هـ وأقسنقر البرسقى صاحب الموصل سنة ٥٢٠هـ .

وأثبتت الدراسة كذلك أن ما قامت به الحركة النزارية داخل المجتمع الاسلامى من قتل ونهب ونشر للرعب والخوف بين أفرادهِ ، كان له الأثر الكبير فى تشييط الروح الجهادية وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين حيث أصبح للناس الا البحث عن كيفية النجاة من بطش هؤلاء الباطنية . ومن النتائج التى توصل اليها البحث أن النصيرية والدروز كانوا ومايزالوا أشد خطراً على الاسلام والمسلمين ، وبذلك أفتى علماء المسلمين أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية ، فلقد دأب هؤلاء القوم على الخيانة وممالة أعداء المسلمين ، فأنخرطت النصيرية فى المجتمع الصليبي وتأثروا بهم فى كثير من أفكارهم وعباداتهم ، وقدموا للصليبيين كل ما يحتاجونه فى حربهم للمسلمين . وكذلك الدروز كانت تصرفاتهم كلها تابعة لمن مصالحهم الشخصية ، فان كانت المصلحة فى التعامل مع الصليبيين ، أسرعوا اليها ، وان كان غير ذلك وقفوا على الحياد وكأن الأمر لا يعنيتهم لامن قريب ولامن بعيد .

وأخيرا برهنت الدراسة على أن الخلاف الذى كان يذب أحيانا بين القادة المسلمين، مثل النزاع الذى حصل بين أبناء السلطان السلجوقى ملكشاه على السلطة كان سببا فى انتعاش الباطنية وظهورها بشكــــــــــــل واضح فى المجتمع الاسلامى حيث كانت تستغل ذلك النزاع لصالحها فى تثبيت أقدامها داخل المجتمع الاسلامى وزيادة رقعة مناطق نفوذها، وبينت الدراسة أن عدم تعامل القادة المسلمين مع الباطنية ومهادنتهم كان سببا فى انتمار المسلمين على الأعداء من صليبيين وغيرهم .

وبرهنت الدراسة أيضا على أن هؤلاء القوم من الباطنية كانوا العامل الأساسي في مكوث الصليبيين هذه الفترة الطويلة في بلاد المسلمين حيث ساهموا بشكل فعال في افشال أي جهود تبذل من أجل الوحدة الإسلامية وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين .

وفى النهاية أرجو من الله أن أكون قد وفقت فى عرضى لــــدور
الحركات الباطنية فى عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، فان أصبت فمن الله
وان أخطأت فمن نفسى والشيطان . . . " ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا
ربنا ولاتحمل علينا اصرأ كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا
ملاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين " . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

الملاحق

الملحق الأول : النصوص والثائق الرهامة المتعلقة بموضوع البحث

الملحق الثاني : تراجم بعض المشاهير من القادة المسلمين

الذين واجهوا الباطنية .

الملحق الثالث : تراجم أشهر زعماء الباطنية في تلك

الفترة

الملحق الرابع : جدول بأسماء القادة والعلماء الذين

اغتيلوا بيد الباطنية

الملحق الأول

النصوص والوثائق الهامة المتعلقة بموضوع البحث

رسالة السلطان جلال الدين ملكشاه السلجوقي الى الحسن بن الصباح
(١) في أوائل سنة ٤٨٣ هـ :

أنت يا حسن الصباح قد أظهرت ديننا جديدا ، تخدع به الناس ، وتغريهم
على الخروج على والى الزمان ، وجمعت نفرا من جهال الجبال تكلمهم
على مقتضى طبعهم ، فيذهبون ويغتالون الأبرياء ، وتسطن في الخلفاء
العباسيين الذين هم خلفاء الاسلام ، وقوام الملك والملة ، وبهم يوثق
نظام الدين والدولة ، فهلا خرجت عن هذه الغلالة وتركت هذه الغواية ، وانفويت
تحت راية الاسلام ، ان جيوش متوقفة على مجيئك ، أو مجيء جوابك ، وعليك
أن ترحم نفسك ونفوس أتباعك ، ولاتلق نفسك ونفوسهم الى التهلكة ، ولا يغرنك
منعة قلاعك ، وعليك أن تعلم أنه لو كانت قلعتك (آلموت) برجاً من
بروج السماء لهدمنا أركانها بعون الله سبحانه وتعالى .

(١) مصطفى غالب : الشائر الحميري (الحسن بن الصباح) ص ١٢١ .

رسالة من الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الى سنان

(١)

راشد الدين رئيس الحشيشية في الشام .

"من الملك الناصر أبي المظفر صلاح الدين ملك مصر الى سنان راشد
الدين زعيم الاسماعيليه في بلاد الشام :
اعلم ياسنان أنك وان كنت قد أغلقت أبواب قلاعك ، وأوصدت أبواب
حصونك في وجهي ، وأقمت الحراس ، وحشدت الغدائية بالنبال والأقواس
فأنت لاتقدر أن تنجو من صلاح الدين ، الذي سيقطع رأسك ، ويخمد أنفاسك
بالرغم من فدائيتك وحراسك . أنا قادم اليك بجيوش ورجال ، فامنا
أن تأتي الينا خاضعا تائبا ، ولأوامرنا طائعا ، أنت وجميع قوادك ورؤساء
جنودك ، وتسلموا الينا مفاتيح القلاع والحصون ، لنرفع عليها الأعلام
والبنود ، واما نصبنا عليكم المنجنيقات فلاأبقينا منكم أحد على قيد
الحياة . وقد أعذر من أنذر والسلام .

صلاح الدين "

(١) مصطفي غالب : سنان راشد الدين ص ١٢٣ ، نقلا عن كتاب البستان

مخطوط اسماعيلي ورقة ٣١٣ - ٣١٤ .

(١)
رسالة من سنان راشد الدين الى صلاح الدين ردا على رسالته .

ياذا الذى بقراع السيف هددنا . لاقام مصرع جنبى حين تنصرعه .
قام الحمام الى البازى يهدده . واستيقظت لأسود البر أفسعه .
أضى يسد فم الأنفى بأصبعه . يكفيه ماقد تلاقى منه أصبعه .
وقفنا على تفاسيله . وعلمه . وعلمنا ما هددنا به من قوله . وعملنا به .
فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل ، وبعوضة تعد فى التماثيل .
ولقد قالها من قبلك قوم آخرون ، قدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصر .
أو للحق تدحفون ، وللباطل تنصرون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب .
ينقلبون ، وأما ماسدر من قولك فى قطع رأسى ، وقلعك لقلاعى من الجبال .
الرواسى ، فتلك أمانى كاذبة ، وخیالات غير صائبة ، فان الجواهر لا تزول .
بالأعراض ، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض ، كم بين قوى وضعيف ، ودنى .
وشريف ؟ وان عدنا الى الظواهر والمحسوسات ، وعدلنا عن البواطن .
والمعقولات ، قلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :
" ما أودى نبي ما أوديت " ولقد علمتم ماجرى على عترته ، وأهل بيته .
وشيعته ، والحال ما حال ، والأمر ما زال ، والله الحمد فى الآخرة والأولى .
اذ نحن مظلومون لظالمون ، ومغصوبون لأغاصبون ، واذا جاء الحق زهق الباطل .
ان الباطل كان زهوقا ، ولقد علمتم ظاهر حالنا ، وكيفية رجالنا ، وما يتمنونونه .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٨٦/٥ - ١٨٧ .

هذه الرسالة أوردها القناصى الغضائى على هذه الصورة ، وقال بأن سنان
راشد الدين أرسلها الى الملك العادل نور الدين محمود ردا على
رسالته التى أرسلها اليه ، يتهدده . ويتوعده . فيها (يقول ابن خلكان)
والمصحيح أنه كتبها الى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، والله .
أعلم . انظر : ابن خلكان ١٨٧/٥ .

من الفوت، ويتقربون به الى حياض الموت، "قل فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين، ولا يمتنونه أبدا بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين" (١)
وفى أمثال الغنمة السائرة: أو للبط تهددون بالشط؟ فهىء للبلايا
جلبابا، وتدرع للرزايا آشوابا، فلاظهرن عليك منك، ولافتننهم فيك عنك
فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، وماذلك على
الله بعزير..... فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد
ومن حالك على اقتصاد، وأقرأ أول النحل، وآخر صاد (٢) (٣)

(١) سورة الجمعة : ٦ - ٧

(٢) أول سورة النحل : " أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى
عما يشركون " .

(٣) آخر سورة ص : " ولتعلمن نبأه بعد حين " .

رسالة من العاضد الخليفة الفاطمي الى نور الدين محمود
(١)
مستجداً ضد المليبيين الذين هددوا القاهرة .

" هذه شعور نسائي من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج " .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٨ .

رسالة شاور الى ملك القدس الصليبي مري (أمالريك)
(١)

يستنجد به ضد أسد الدين شيركوه .

استجاب نور الدين محمود لنداء العاضد وأرسل له جيشا بقييـسـادة
أسد الدين شيركوه، أبعد الخطر الصليبي عن مصر، وأراد شاور أن يتخلص
من شيركوه، ولكن شيركوه رفض العودة بخفي حنين، فأرسل شاور الى ملك
القدس يستنجد به ضد شيركوه ويقول :

" ان شيركوه طلع معي نجدة على فرغام ، فلما حملوا في البلاد
طمعوا فيها، وامتى ملكوها مضافة الى بلاد الشام لم يكن لك معها
عيش ولا قرار" .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ١٦٧/١ .

(١)

رسالة شاور الى شيركوه أثناء حصاره له في بلبيس .

حاصر الفرنج وقوات شاور شيركوه في بلبيس وطال عليهم الحصار
وفي تلك الأثناء آثخن نور الدين في بلاد الفرنج ، فقرر هؤلاء العودة
الى بلادهم ، فاستمهلهم شاور أياماً ، ثم بدأ يرأسل شيركوه في الملاحـ
وَأرسل اليه يقول :

" اعلم أننى أبقيت عليك ولم أتمكن الفرنج منك لأنهم كانوا
قادرين عليك ، وإنما فعلت ذلك لأمرين : أولهما ، أنى ما أختار أن أكسر
جاه المسلمين ، وأقوى الفرنج عليهم ، والثانى : أنى خفت أن الفرنج
إذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها وقالوا : هذه لنا لأننا فتحناها بسيوفنا
وما من يوم كان يمتلئ بمصر الا وأنا أنفذ الى كبار الفرنج الجملة من
المال ، وأسألهم أن يكسروا همة الملك عن الزحف " .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ١٦٧/١ .

رسالة شيركوه الى شاور لما قدم مصر للمرة الثانية
(١) واجتمع شاور مع الصليبيين ضده .

اجتمع شاور والصليبيون على حرب شيركوه ، ورأى شيركوه فى ذلك
فرصة نادرة للقضاء عليهم اذا ما انضم شاور اليه فأرسل اليه يقول :
"أنا أحلف لك بالله الذى لا اله الا هو ، وبكل يمين يثق بها المسلم
من أخيه ، أننى لا أقيم ببلاد مصر ولا أعاود اليها أبدا ، ولا أتمكن أحدا ممن
التعرض اليها ، ومن عارضك فيها كنت معك البا عليه ، وما أؤمل منك الانصر
الاسلام فقط . وهو أن العدو قد حصل بهذه البلاد والنجدة عنه بعيـدة
وخلاصه عسير ، وأريد منك أن نجتمع أنا وأنت عليه ، وننتهز فيه الفرصة
التي قد أمكنت ، والغنيمة التي قد كتبت فنستأمل شأفته ، ونحمد شأرتـه
وما أظن أنه يعود فيتفق للاسلام مثل هذه الغنيمة أبدا ."
ولكن شاور رفض ذلك .

(١) أبو شامة : الروافدين فى أخبار الدولتين ١٦٨/١ .

(١)

رسالة شاور الى مري ملك بيت المقدس الفرنجى .

هاجم الفرنج مصر بعد رحيل شيركوه عنها، فأرسل شاور الى نورالدين يستنجد به، فذهبهم، ولجأ فى نفس الوقت الى المراوغة فأرسل الى مـرى يقول :

"ان هذا بلد عظيم كبير وفيه خلق كثير، ولا يمكن تسليمه ألبتة ولا أخذه الا بعد أن يقتل من الفريقين عالم عظيم، ولا تعلم أنت ولا أنا لمن الدائرة . والرأى أن تحقق دماء أصحابك ودماء أصحابى، وتحصل شيئا أدفعه لك فيحصل لك عفوا" .

واستقرت المصالحة على أربعمائة ألف دينار .

(١)

رسالة مري ملك الفرنج الى شاور .

كان بين شاور وملك الفرنج اتفاق يقدم له شاور بموجبه جزية سنوية
في حال مساعدته على صد أعدائه عنه . وقد أحس ملك الفرنج بضعف شاور
ومصر بعد رحيل شيركوه عنها، فأراد إما احتلالها أو مضاعفة الجزية
فزحف نحو مصر وأرسل الى شاور يقول :
" انى قد قصدت الخدمة على ماقررت له من العطاء فى كل عام " .

جواب شاور الى الملك عن رسالته السابقة .

" ان الذى قررته انما جعلته لك متى احتجت الى نجدتك أو اذا قدم
على عدو، فأما مع خلو بالى من الأعداء فلا حاجة لى اليك ولالك عنى
مقرر " .

جواب الملك الى شاور عن الرسالة السابقة .

"لابد من حضورى وأخذ المقرر" .

(١)

رسالة مري ملك الفرنج الى شاور لما احتل بلبيس وقتل سكانها .

احتل مري بلبيس وسبى نساءها، وأسر ولدين من أولاد شاور وأرسل

اليه يقول :

" ان ابنك قال : أيجب مري أن بلبيس جينة يأكلها ؟ نعم بلبيس

جينة والقاهرة زبدة" .

(١) المقرئى : اتعاط الحنفا ٢٩٣/٣، أبو شامة : الروشتين ١/١٧٠ .

رسالة من المستعلي خليفة مصر الى السيدة. الملكة أروى
 بنت أحمد بن جعفر المليحي حاكمة اليمن . (١)

لما توفي المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٨٧هـ وخلفه ابنه أبو القاسم
 أحمد الملقب بالمستعلي بالله ، أيدت السيدة الحرة الملكة أروى صاحبة
 اليمن خلافته ، فأرسل المستعلي الى السيدة الحرة رسالة مؤرخة في
 ٨ صفر سنة ٤٨٩هـ تضمنت وصفا لشورة نزار وتغلب وزيره الأفضل بن بدر
 الجمالي عليها نهائيا . ومما ورد في هذه الرسالة :

"من عبد الله ووليه أحمد أبي القاسم الامام المستعلي بالله أمير
 المؤمنين ابن الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين الى الحرة ، الملكة
 السيدة ، السديدة ، ولية أمير المؤمنين . قد علمت ما كان قد صدر اليك من
 حفرة أمير المؤمنين ، عندما أماره الله تعالى اليه من ارث خلافته
 وذلك بالنص الذي كان من مولانا الامام المستنصر بالله . . . وان البيعة
 انتظمت لأمير المؤمنين على أجمل القضايا والأسباب . ودخل الناس فيها
 من كل باب بحسن سياسة فتاه وخليه ، السيد ، الأجل ، الأفضل ، أمير الجيوش
 سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين
 وكان الأمراء اخوة أمير المؤمنين أول من دخل في البيعة مسارعا ، وانقاد
 لأحكامها طائعا . . . ومن جعلتهم نزار وهو الأخ الأكبر سنا . . . ثم
 ان الشيطان استزله واستغواه ، ففارق جناب أمير المؤمنين . . . وسار منه
 متوغلا في القفار ، راكبا الأخطار حتى وصل الى الاسكندرية ، وفيها أفتكبن
 . . . أحد معاليك السيد الأجل ، أمير الجيوش . . . فقابل هذا العبد العاق
 نعم مواليه بالكفر ، وأظهر ما كان كامنا في نفسه من الخيانة والغدر

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٩٣ - ٩٤ .

ووافق نزارا على ماسعى اليه من فساد .. فتقدم أمير المؤمنين السـ
فتاه الأمين .. بأن يكاتبهم معذرا وزاجرا وهم على غلوائهم متمادون .. إلى
أن حملهم العدوان على البروز عن الاسكندرية فيمن انضم اليهم من لفيـف
الأجناد وطوائف العربان المغاربة والسودان .. وأمير المؤمنين يـمـدـه
بمصابب الآراء .. فصدتهم مدمة ترزعزع منها أركان الجبال، وأحل بجمعهم
قوارع الشتات والنكال .. ولما يسر الله تعالى مفتتح هذا النـمـر
أذن أمير المؤمنين لفتاه السيد الأجل باتباعهم .. فتوجه يقتص آثارهم
وحمل بين الفريقين وطيس الهجاء .. وكان المخازيل فى هذه النوبـة
قد تجمعوا من كل فج وواد، فزادت عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجـل
فرمى الله جمعهم بالحتف العناجل .. وطار نزار وافتكين على رسمهما فى
الفرار، وكان الفتح فى هذه الوقعة مثل ماتقدمه بحملات واصلها السيـد
الأجل بنفسه وغلـمـانه، فلم تزل السيوف تتحكم فيهم إلى أن سترتهم الظلماء
وقتل وأسر منهم ألوف كثيرة، وتوجه نحوهم ،حتى نزل على البلدة، فحـصـرها
برا وبحرا، وحضر شهر الصوم ،فأخر مناجزتهم حفظا لحرمة الشهر الشريف
فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تنقض غوايتهم وبغيهم . رماهم بحـجـارة
المنجنيقات ، فلم تمض الا أيام قلائل حتى تداعى الحصن من سائر أركانـه
فتهاوت الرجال مستأمنين وبالعفو لاثدين ، فخرج (أفتكين) بغير عـمـد
ولاعقد يتعلق به ، ووقف بين يدى مولاة ملحفا ثوب الذل والهوان، فأضـرب
عنه صفحا، وتوفر على المنهم من الحوطة على نزار، وحفظ الشجر مـن
عوادى النهب والأضرار" .

ثم أدركه الحسد . . . فانسل ذليلا تحت جناح الليل . . . ومضى الى الاسكندرية
وبها أفتكين، واجتمعا معا على الفتنة . . . واستغويا طوائف مــــــن
المنافقين . . . وكان أمير المؤمنين بما آتاه الله تعالى من شرف العلم
وحبيب اليه من الفضل والحلم موعزا الى فتاه وخليفه السيد الأجل
الأفضل، بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الانذار والاعذار وهم
متمادون على غلوائهم في البغي والعناد فعند ذلك أذن له مولانا
في لقائهم" .

(١)

ملخص نص فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية فى النصيرية .

أجاب شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية حين سئل
عن النصيرية فقال :

"هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية
أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على
أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل : كفار
التتار والفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع
وموالاته أهل البيت ، وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ، ولا برسوله ، ولا بكتابه
ولا بأمر ولا نهى ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولاجنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل
محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بعلمة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله
ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونهم —
يدعون أنها علم الباطن . ولهم فى معاداة الاسلام وأهله وقائع مشهورة
وكتب مصنفة ، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين ، كما قتلوا مرة
الحجاج والقوهم فى بئر زمزم ، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم
مدة ، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصى عدده . الا الله تعالى .
ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها
النصارى من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى
على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل ، وانقهار
النصارى ، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتشار المسلمين على التتار
ومن أعظم أعيادهم إذا استولى — والعياذ بالله تعالى — النصارى على
شغور المسلمين ، فإن شغور المسلمين مازالت بأيدي المسلمين ، حتى جزيرة

(١) تجد نص فتوى شيخ الاسلام فى النصيرية كاملاً فى كتاب الفتاوى الكبرى

لابن تيمية ١٤٥/٣٥ - ١٦٠ .

من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم، وهم أحرس الناس على فساد المملكة والدولة، وهم شر من المخامر الذى يكون فى العسكر، فإن المخامر قد يكون له غرض: إما مع أمير العسكر، وإما مع العدو. وهؤلاء مع الملوك ونبيها، ودينها، وملوكها، وعلمائها، وعامتها، وخاصتها، وهم أحرس الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين، وعلى افساد الجند على ولى الأمر وإخراجهم عن طاعته .

والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة، فلا يتركون فى شغل، ولا فى غير شغل، فإن ضررهم فى الشغل أشد، وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأموين على دين الاسلام، وعلى النهج لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل إذا كان ولى الأمر لا يستخدم من يفسده وإن كان مسلماً فكيف بمن يغش المسلمين كلهم . . . ولا يجوز لـه تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه، بل فى أى وقت قدر على الاستبـدال بهم وجب عليه ذلك .

ولاريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفعل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصدىق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب . فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين . وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك، بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، وضررهم فى الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب .

ويجب على كل مسلم أن يقوم فى ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفضيها ويظهرها ليعرف

المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجنـد
والمستخدمين، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به
ورسوله، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله، فإن
هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في
سبيل الله تعالى، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :
(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وهؤلاء لا يخرجون
عن الكفار والمنافقين .

والمعاون على كشف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان، له من الأجر
والثواب ما لا يعلمه الا الله تعالى، فان المقصود بالقصد الأول هو
هدايتهم، كما قال الله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس "، قال
أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل
حتى تدخلوهم الاسلام . فالمقصود بالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن
المنكر : هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الامكان، فمن
هداه الله سعد في الدنيا والآخرة، ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره .

نص جواب شيخ الاسلام ابن تيمية حين سئل عن
 "الدرزية" و"النصيرية" ما حكمهم ؟^(١)

فأجاب : هؤلاء "الدرزية" و"النصيرية" كفار باتفاق المسلميين
 لا يحل أكل ذبائحهم ، ولانكاح نسائهم ، بل ولا يقرون بالجزية ، فانهم
 مرتدون عن دين الاسلام ، ليسوا مسلمين ، ولا يهود ، ولا نصارى ، لا يقرون بوجوب
 العلوات الخمس ، ولا وجوب صوم رمضان ، ولا وجوب الحج ، ولا تحريم ما حرم الله
 ورسوله من الميتة والخمر وغيرها . وان أظهروا الشهاداتتين مع هذه
 العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين .

فأما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير ، وكان من الغلاة
 الذين يقولون : ان عليا اله ، وهم ينشدون :

| | |
|--------------------|------------------------|
| أشهد أن لا اله الا | حيده الأنزع البطيين |
| ولاحجاب عليه | محمد الصادق الأميين |
| ولا طريق اليه الا | سليمان ذو القوة المتين |

وأما "الدرزية" فأتباع هشتكين الدرزي ، وكان من موالى الحاكم
 أرسله الى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة ، فدعاهم الى الالهية الحاكم
 ويسمونه "الباري ، العلام" ويحلفون به ، وهم من الاسماعيلية القائلين
 بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله ، وهم أعظم كفرا من
 الغالية ، يقولون بقدوم العالم ، وانكار المعاد ، وانكار واجبات الاسلام
 ومحرماته ، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود
 والنصارى ومشركي العرب ، وغايتهم أن يكونوا "فلاسفة" على مذهب أرسطو
 وأمثاله ، أو "مجوسا" . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ، ويظهرون
 التشيع نفاقا . والله أعلم .

(١) ابن تيمية : الغتاي ١٦١/٣٥ - ١٦٢ .

(١) نصرد شيخ الاسلام ابن تيمية لنبد طوائف من "الدروز" .

قال شيخ الاسلام رحمه الله ردا على نبد لطوائف من "الدروز" : كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم — لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ، بل هم الكفرة الضالون ، فلا يباح أكل طعناتهم ، وتسبى نساؤهم ، وتؤخذ أموالهم . فانهم زنادقة مرتدون لاتقبل توبتهم ، بل يقتلون أينما شقوا ، ويلعنون كما ومغوا ، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ . ويجب قتل علمائهم وملحائهم — لئلا يضلوا غيرهم ، ويحرم النوم معهم في بيوتهم ، ورفقتهم ، والمشي معهم وتشيع جنازهم اذا علم موتها ، ويحرم على ولاة أمور المسلمين اضعاف ما أمر الله من اقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لالمقام عليه . والله المستعان وعليه التكلان .

الملحق الثانى

تراجم بعض المشاهير من القادة المسلمين الذين واجهوا الباطنية

منذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها الباطنية، وأصبح خطرها يهدد
أركان المجتمع الإسلامى هب القادة والزعماء المسلمين لمواجهة هذا
الخطر وإنالته من المجتمع الإسلامى، فقام بمواجهة الباطنية العديد من
القادة المسلمين الذين اشتهروا بغيرتهم الدينية وحبهم للجهاد فى
سبيل الله ضد أعداء الأمة الإسلامية من صليبيين وغيرهم، وكان على
رأس هؤلاء القادة الوزير السلجوقى نظام الملك، وعماد الدين زنكى
والملك العادل نور الدين محمود، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، والسلطان
المملوكى الظاهر بيبرس، والسلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه، والقائد
أسد الدين شيركوه، وغيرهم الكثير .

ومن الملاحظ أن شخصيات نظام الملك وعماد الدين زنكى ونور الدين
محمود وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس حظيت بالعناية الفائقة من
قبل الباحثين والمؤلفين، فهناك العشرات من الكتب المتداولة التى
بحثت الجوانب المختلفة فى شخصية كل قائد من هؤلاء القادة، ولاحظت من
خلال مطالعاتى أن شخصية السلطان محمد السلجوقى، وأسد الدين شيركوه
لم تلق العناية الكافية من قبل الباحثين، لذلك اقتضت هنا فى هذا
الملحق على الترجمة لهاتين الشخصيتين، وأترك للقارئ إذا أراد الاستزادة
عن الشخصيات السابقة الرجوع إلى مصادرها ومراجعتها المتوفرة والمتداولة
بين الأيدى بسهولة ويسر .

(١) ترجمة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي .

هو السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق أبو شجاع غياث الدين السلجوقي . ولد سنة ٤٧٤هـ وتولى السلطنة في الدولة السلجوقية سنة ٤٩٨هـ بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق وخطب له ببغداد قبل ذلك أكثر من مرة كان أولها في عام ٤٩٢هـ ، ولقى من المشاق والأخطار ما لا حد له .^(١)

وذكر العماد الأصفهاني طرفا من سيرته وما كان له مع الباطنية من وقائع فقال : " ظهرت له آثار حميدة وآراء سديدة ، وكانت علامته (الحمد لله على نعمه) . وكانت له في الباطنية نكايات ، ورفعت له في فتح قلعة شاهرز (قلعة أصفهان) رايات . وكانت قلعة منيعة على جبل أصفهان تنامي السماك وتناظر الأفلاك ، وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاءش طاغية الباطنية في طائفته ، وبليت أصفهان وضياعها ببليته ، فسمي لها سعد الملك (وزير السلطان محمد) بالرأي المائب ، والعزم الشاق ، وتلطف في افتتاحها ، ودبر في استنزال من فيها على إيثار الملة الإسلامية واقتراحها ، فأنزلوه من معقل إلى عقال . وبدلوه آجالا من آمال ، وألقوا خد تلك القلعة بالتراب " .^(٢)

قال ابن الأثير عنه : " كان عادلا ، حسن السيرة شجاعا ، ومن عدله : أنه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ، ولم يعرف منه فعل قبيح ، وممن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية " .^(٣)

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٢٥/١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧٢/٥ ،

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢١٤/٥ .

(٢) العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٥٢٦/١٠ ، ٥٢٧ .

أما ابن خلكان فقال عنه : " كان السلطان محمد رجل الملوك
السلجوقية وفحلهم ، وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة ، والمعدلة
الشاملة ، والبر للفقراء والأيتام ، والحرب للطائفة الملحدة . والنظر فى
أمور الرعية " (١) .

توفى السلطان محمد يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة
سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة أصبهان ، وعمره سبع وثلاثون سنة
وأربعة أشهر وستة أيام ، وهو مدفون بأصبهان فى مدرسة عظيمة ، وهى
موقوفة على الطائفة الحنفية (٢) .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧٢/٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ٧٣/٥ .

(٢) ترجمة أسد الدين شيركوه .

أسد الدين شيركوه كان من أكبر قواد الملك العادل نور الدين محمود واسمه الكامل الملك المنصور أبو الحارث أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان وهم عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وهو من بلد دوين ، وأصله من الأكراد الروادية وهذا النسل هم أشرف الأكراد، وتولى أسد الدين شيركوه دمشق مدة ، وقام بحرب الفرنج وفتح حصونهم أكثر من مرة ، وكان شجاعا مقداما صارما مهيبا، وحج بالناس سنة ٥٥٥ هـ ، ثم قصد ديار مصر ثلاث دفعات، خلفها في الثالثة فكان مفتاحا للخير بها، ويسر الله دعوة الحق والقبول والسنة بها على يدى الملك الناصر صلاح الدين .

كان شاور وزير مصر قد وصل الى الشام يستنجد بنور الدين محمود في سنة ٥٥٩ هـ ، فسير معه جماعة من عسكره ، وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه وقدموا مصر، وغدر بهم شاور ولم يبق بما وعدهم به ، فعادوا الى دمشق ثم انه عاد الى مصر ، وكان توجهه اليها في سنة ٥٦٢ هـ لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى ، وسلك طريق وادى الغزلان ، وخرج عند اطفيح ، وكانت في تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين ، وتوجه السلطان صلاح الدين الى الاسكندرية واحتوى بها، وحاصره شاور وعسكر مصر . ثم رجع أسد الدين من الصعيد الى بلبيس ، وجرى الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا لصلاح الدين ، وعاد الى الشام ، ولما وصل الفرنج الى بلبيس وملكوها وقتلوا أهلها، سيروا الى أسد الدين وطلبوا ومنوه ودخلوا في مرفقاته .

- (١) دوين : بلد من نواحي آران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس منها ملوك الشام بنو أيوب . انظرياقوت : معجم البلدان ٤٩١/٢ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ٣٤١/١١ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٣٦٠/٦ .

لأن ينجدهم ، فمضى اليهم وطردهم الفرنج عنهم ، وعزم شاور على قتله وقتل
(١)
الأمراء الكبار الذين معه ، فبادروا وقتلوه وكان ذلك فى عام ٥٦٤هـ .

بعد مقتل شاور نصب الخليفة العاضد آسـد الدين شيركوه فى الوزارة
مكانه فتولاها يوم الأربعاء سابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ وأقام
بها شهرين وخمسة أيام ، ومالبت أن توفى فجأة بالقاهرة يوم السبت
الثانى والعشرين من نفس السنة ودفن بها ، ثم نقل الى مدينة الرسل
(٢)
صلى الله عليه وسلم بعد مدة بومية منه .

قال عنه المؤرخ ابن تغرى بردى : " كان آسـد الدين أميرا عاقلا
شجاعا مدبرا عارفا فطنا وقورا ، كان هو وأخوه أيوب من أكابر أمراء
(٣)
نور الدين محمود الشهيد " .

قال ابن شداد فى "سيرة صلاح الدين" : " ان آسـد الدين كان كثير
الأكل ، شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، وتتواتر عليه التخم
والخوانيق ، وينجو منها بعد معاناة شديدة عظيمة ، فأخذه مرض شديد
(٤)
واعتراه خانوق عظيم فقتله فى تاريخ السنة المذكورة " .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٧٩/٢ ، ٤٨٠ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ
دمشق ٣٦٠/٦ .

(٢) انظر نفس المصادر السابقة ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة
٣٨٨/٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٨٩/٥ .

(٤) ابن شداد : سيرة السلطان صلاح الدين ص ٤٠ .

الملحق الثالثتراجم أشهر زعماء الباطنية في تلك الفترة(١) ترجمة الحسن بن الصباح .

ولد الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري في حدود عام ٤٣٠ هـ في الري، وكان والده الصباح فقيها متواضعا يعتنق مذهب الشيعة الاثني عشرية قدم من اليمن الى الكوفة ومن الكوفة الى قم ومن قم الى الري، فاستوطنها وهناك ولد له ابنه الحسن، نشأ الحسن ابن الصباح في الري وأخذ في تلقى العلوم كعادة أهل عصره ولما كبر بعث به والده الى نيسابور حيث التحق بجامعة العظيمة التي ذاع صيتها وهناك تلقى علوم الفقه والحديث على يد أكبر علماء هذه الجامعة المحدث الشهير موفق الدين النيسابوري، ونتيجة لذكائه برع أيضا في عدة علوم منها العلوم الفلسفية والمنطق وعلم الكلام والرياضيات والنجوم والسحر، وكان من زملائه في الدراسة في تلك الجامعة اثنان تألق نجمهما فيما بعد، وأصبحا من أعلام العصر، وهما الشاعر الشهير عمر الخيام، والوزير الكبير نظام الملك .

كان الحسن بن الصباح كوالده على مذهب الشيعة الاثني عشرية، ولكنه لم يلبث أن تأثر بداعية فاطمي اسمه (أمير ضراب) فتلقى عليه مبادئ الاسماعيلية ولكنه لم يؤمن بها، ثم مرض مرضا شديدا، ولما شفى

(١) الجويني : تاريخ جهنكشاي ص ١٨٤، محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص ٣٩، عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٨٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٦/٧ .

(٢) عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٩٠، ٩١، ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠ ، مصطفى غالب : الشاعر الحميري ص ٣٣ .

من مرضه اتصل بداعيين آخرين هما : الداعي (أبى النجم السراج) والداعي (المؤمن) الذى كان موكلا بالدعوة من قبل الداعي أحمد بن عبد الملوك ابن عطاش كبير الدعاة وزعيم الاسماعيلية فى بلاد فارس، فتلقى تعالىيهم الاسماعيلية عليهما، وتمكن الداعي (المؤمن) من أخذ العهد والبيعة على الحسن بن الصباح للخليفة الفاطمى الامام المستنصر، ولما جاء ابى عطاش الى الرى عام ٤٦٤هـ التقى بالحسن بن الصباح هناك فأعجب به وبمقدرته الفائقة وتحمسه للمذهب، فاختره وكيلا له وكبيراً لدعاته فى تلك البلاد، وأمره بالسفر الى مصر لانها دراسته المذهبية فى دار الحكمة وليأخذ المعارف الالهية السرمدية عن داعى الدعاة هناك وليحضر مجالس الحكمة الباطنية السرية، ويدرس أساليب الدعوة على أساتذة دار الحكمة المصرية التى غدت أعظم مركز علمى لتلقين الدعوات السرية، فى تلك الأيام . (١)

ويحدثنا المؤرخ عطا ملك الجوينى فى كتابه جهنكشاي عن سيرة الحسن بن الصباح التى كتبها عن نفسه والتى عشر عليها فى كتاب "سرگذشت سيدنا" أى (سيرة سيدنا) والذى وجدته فى مكتبة قلعة آلموت عند استيلاء المغول عليها فقال : (كنت أتبع مذهب آبائى ، وهو مذهب الشيعة الاثنى عشرية ، وكان فى الرى رجل يسمى أميره ضراب على مذهب باطنية مصر ، وكنا نتناظر معا بصفة دائمة ، فيكسر مذهبنا ، ولكنى لم أكن أسلم بينمنا استقرت آراؤه فى قلبى . وفى تلك الأثناء أصبت بمرض خطير شديد فقلت فى نفسى : أن ذلك المذهب هو الحق ولكنى لم أقبله من جراء تعصبى الشديد . فلو وصل الأجل الموعود ، والعياذ بالله ، لهلكت دون أن أصل الى الحقيق

(١) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ٥٤ ، مصطفى غالب : الشاعر الحميرى ص ٤٥ - ٤٦ ، محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص ٤٠ .

فشفيت مما ألم بى من مرض وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنية يسمى أبو نجم سراج . فذهبت أتعرف عنده على هذا المذهب ، فشرحه لى وفصله حتى وقفت على غوامضه ، وكان هناك رجل آخر يسمى " مؤمن " منحاه عبد الملك بن عطاش الاجازة بالقيام بأمر الدعوة ، فأردت أن آخذ على يديه عهد البيعة فقال : " ان مرتبتك أعلى من مرتبتى فأنت حسن ، أما أنا فمؤمن ، فكيف آخذ عليك عهدا ؟ يعنى كيف آخذ منك البيعة للامام ؟ " الا أنه آخذ العهد منى بعد الحاج .

ولما وصل عبد الملك بن عطاش داعى العراق فى ذلك الوقت لى الى سنة ٤٦٤هـ أعجب بى ، فأمر بأن أتولى نيابة الدعوة وأشار بوجوب توجهى الى خليفة مصر وكان فى ذلك الوقت هو المستنصر .

وفى سنة ٤٦٩هـ توجهت عازما على السفر الى مصر ، فوصلت اليها فى سنة ٤٧١هـ فأقمت بها مايقرب من سنة ونصف ولم أمل طوال مدة اقامتى الى المستنصر ، ولكن المستنصر كان واقفا على أمرى وامتدحنى غير مرة . وكان أمير الجيوش أمير جنده ، وهو المتسلط والحاكم المطلق ، وهو فى نفس الوقت صهر المستعلى الابن الأصغر الذى كان المستنصر قد نص نصا ثانيا بأن يكون وليا للعهد . وكنت أنا طبقا لقاعدة أصول مذهبى أقوم بالدعوة لنزار ، لهذا ساءت علاقة أمير الجيوش بى ، فعقد حاصره استعدادا للنيل منى ، وكانت نتيجة ذلك أنهم أجبرونى على التوجه الى المغرب فـوق ظهر احدى السفن مع جماعة من الفرنج . وكان البحر هائجا فألقى^(١) بالسفينة الى الشام) .

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

نزل الحسن بن الصباح في الشام ثم توجه الى حلب والتقى فيها
ببعض الاسماعيليين وأقام بها حيناً ثم رحل الى بغداد فخوزستان فأصفهان
ثم الى يزد (١) وكرمان وهو يبث دعوته أينما حل ، ويلتقى بالاتباع
ودعاة الاسماعيلية .

ظل الحسن بن الصباح يتنقل بين الأقاليم ويرسل الدعاة الى
الأطراف وينشر دعوته ويبث تعاليمه وهو متخف ولا يعرف بنفسه لأحد الا لبعض
الأتباع الخاصين ، وفي نفس الوقت ركز جهوده للحصول على مكان استراتيجي
يكون مأوى له ولأتباعه من الباطنية ولينطلق منه لتحقيق أهدافه ونشر
تعاليمه ، فوقع نظره على قلعة آلموت الحصينة وكان أتباعه قد سبقوه
اليها فمهدوا له الطريق واتصل الحسن بصاحب القلعة وكان علويًا يدعى
أبو مسلم ، وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ولبت الحسن يتحين الفـرص
وفي ذات مساء وثب بصاحب القلعة في جمع من أنصاره فأخرجه منها واستولى
عليها وذلك في عام ٤٨٣ هـ (٢) .

كان يعود الحسن بن الصباح الى قلعة آلموت واستقراره فيها بداية
مرحلة جديدة في حياته وحياة طائفته ، فأخذ في تنظيم دعوته تنظيمًا
سريًا دقيقًا ، واهتم بشكل خاص في اعداد فرقة الغداوية التي غـدت
الأداة الفعالة في تنفيذ سياسة الحسن بن الصباح حيث اغتالت كـل
المناوشين له ، وأصبحت فيما بعد العمود الفقري للدولة الاسماعيلية التي
أقامها ابن صباح في بلاد فارس والتي لبث أعوامًا طويلة يرعاها ويوطد

(١) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة . في
أعمال فارس . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤٣٥/٥ .

(٢) الجويني : تاريخ جهنكشاي ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠ ،
عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٢ .

(١)

أركانها ويصيف مبادئها المدهشة ،حتى صارت أشبه بجمعية سرية هائلة .
 كانت حياة الحسن بن الصباح فى قلعة آلموت حياة زهد وتقشف وعبادة .
 يلبس الصوف ،ويعيش عيشة الفقراء المتعبددين الزاهدين فى الدنيا .
 وكان رجاله مثله وعلى غرارهِ ،وقد فرض عليهم نظاما صارما ،فلا يسمح
 لأحد منهم بأن يشرب الخمر ،ومن فعل ذلك فجزاؤه الموت .
 (٢)

ومنذ ذلك اليوم الذى معد فيه الحسن بن الصباح الى قلعة آلموت
 الى أن توفى بعد خمسة وثلاثين عاما ،لم ينزل من القلعة مرة واحدة ،ولم
 يخرج من القصر الذى كان يقيم فيه سوى مرتين ومعد الى سطح القصر
 مرتين ،اذ انه اعتكف باقى أوقاته داخل القصر ،يطالع الكتب ،ويؤلف
 المؤلفات التى تخدم دعوته ،واشتغل بتدبير أمور مملكته ،الى أن أتاه
 الأجل حيث توفى ليلة الأربعاء السادس من ربيع الثانى سنة ٥١٨ هـ .
 (٣)

كان الحسن بن الصباح مغامرا من أفذاذ الرجال ،يفيضى ذكاء وجسارة
 واقداما وكان سياسيا من أعظم سياسى عصره ،وقد شق الى الرياسة والملك
 طريقا وعرا محفوفًا بالمخاطر فذلّل وعره ومعايه بدهاء وبعد نظر شاقب
 ومعرفة بالناس والحوادث ،ويعتبره فون هامار من كبار العباقرة .
 أمّا
 ابن الأثير فقد قال عنه : " كان الحسن بن الصباح رجلا شهما ،كافيا ،عالما
 بالهندسة والحساب ،والنجوم ،والسحر ،وغير ذلك " .
 (٥)

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ص ٤٣ .

(٢) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٧ .

(٣) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠٦ .

(٤) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٥٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠ .

(٢) ترجمة سنان راشد الدين .

هو مقدم الاسماعيلية فى الشام ، وأصله من أهالى عقر السودان ، قرية قرب البصرة ، واسمه الكامل أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد وُلد بالقرب من البصرة فى سنة ٥٢٨هـ ، رحل الى آلموت فنشأ وتثقف فى مدارسها فأظهر نجابة ونبوغا عجيبا ، ولما أكمل دراسته أرسله الامام الاسماعيلى فى آلموت سنة ٥٥٥هـ فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨هـ حيث اختاره الامام الاسماعيلى فى آلموت (الحسن الثانى الألموتى) اماما لاسماعيلية ، الشام (النزارية) بعد أن رأى منه نجابة وشهامة وعقلا وتدبيراً .^(١)

وصل سنان راشد الدين الى الشام فى أيام الملك العادل نور الدين محمود ، وتولى زعامة الباطنية فى الشام بعد وفاة كبير دعائهم هناك (أبو محمد المينقى) فنقل مقر قيادة الاسماعيلية من حمن الكهف الى مدينة معياف حيث استقر فيها وبدأ فى تطبيق الأنظمة التى تعلمها فى آلموت فوجه جل اهتمامه لتربية جيل جديد من المحاربين المدربين على الأعمال الفدائية والأمور العسكرية ولايجاد المدارس التعليمية لتخريج الدعاة وعكف على بناء حياة الاسماعيلية على أسس منظمة من العمل المستمر فى جميع الميادين حتى ان الاسماعيلية الباطنية فى الشام بلغت فى عهده ذروة مجدها فى شتى المجالات .^(٢)

وفى الوقت الذى ظهر فيه سنان راشد الدين وأخذ يهتم بشئون باطنيته كانت حركة الجهاد الاسلامى ضد المصلبيين فى أوجها بقيادة الملك العادل نور الدين محمود ، فكان كل مايقوم به سنان راشد الدين

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦ ، دائرة المعارف الاسلامية .

٤٦٩/٩ ، مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١١٤ ، ١١٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم

الزاهرة ١١٧/٦ .

من أعمال حجر عشرة أمام جهود نور الدين محمود فى ذلك المجال، فعزم على محاربته والتخلص منه ومن جماعته فجرت بينهما عدة وقعات وحروب لم يتمكن نور الدين محمود من خلالها القضاء على سنان وجماعته قضاءً نهائياً، فقرر قصده، بنفسه ومحاربته لكن المنية عاجلته وتوفى .^(١)

بعد وفاة نور الدين محمود أخذ القائد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي على عاتقه توحيد الجبهة الإسلامية ومواصلة الجهاد ضد الصليبيين وأثناء قيامه بتلك المهمة اصطدم بسنان راشد الدين وجماعته الباطنية حيث قاموا بعدة محاولات لاغتياله وتعطيل جهوده لتوحيد الجبهة الإسلامية فعزم صلاح الدين على التخلص من خطر سنان راشد الدين وجماعته فشن عليهم صلاح الدين حرب شعواء كان آخرها محاصرته لعاصمتهم مصياف ودكها بالمنجنىقات وتكبيدها خسائر فادحة الى أن انتهى الأمر بدخول الباطنية فى الشام فى طاعة السلطان صلاح الدين الأيوبي بمقتضى شروط المعاهدة التى تمت بين صلاح الدين والقائد الصليبي ريتشارد قلب الأسد حيث اشترط صلاح الدين أن تكون مناطق نفوذ تلك الطائفة داخلية فى طاعته وفى مناطق نفوذه .^(٢)

ظل سنان راشد الدين فى زعامة الباطنية النزارية فى بلاد الشام الى أن وافته المنية فى سنة ٥٨٨ هـ، حيث مكثت على زعامة الباطنية قرابة الثلاثين عاماً صرفها لخدمة تلك الطائفة بكل ما أوتى من علم ومكر ودهاء .^(٣) قال عنه الرحالة المسلم ابن جبير الذى زار بلاد الشام واطلع على جانب من حياة تلك الطائفة الباطنية وحياة وتصرفات زعيمها راشد الدين

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦ . (٢) انظر سابق ص ٦٨، ٦٩ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦، مصطفى غالب : اعلام

الاسماعيلية ص ٣٠٣ .

سنان فقال وهو يصف جبل لبنان : " وفى صفحته حصون للاسماعيلية
فرقة مرقت من الاسلام وادعت الالهية فى أحد الأنام ، قىض لهم شيطان مــــن
الانس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها ، وسحرهم
بمحالها ، فاتخذوه الها يعبدونه ، ويبذلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته ،
وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردى من شاهقة جبل فيتردى ويستعجل
فى مرضاته الردى " (٢) .

وقال عنه اليفعى فى مرآة الجنان : " وفيها (أى سنة ٥٨٨هـ) توفى
سنان بن سليمان أبو الحسن البصرى الاسماعيلى الباطنى صاحب الدعوة
وصاحب حصون الاسماعيلية ، كان أديبا متفننا متكلما عالما عارفا
بالفلسفة اخباريا شاعرا " (٣) .

-
- (١) هو سنان راشد الدين صاحب الترجمة .
 - (٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٢٩ .
 - (٣) اليفعى : مرآة الجنان ٤٣٨/٣ .

(*)

(٣) ترجمة أحمد بن عبد الملك بن عطاش .

أحمد بن عبد الملك بن عطاش ولد في نيسابور حوالى عام ٤٣٧هـ ، وكان والده عبد الملك حكيما متعمقا في علوم الفلسفة والفقه ، فنشأ ابنه مقتديا به ، فأصبح في مدة وجيزة من الدعاة المشهورين . أوفده والده الى القاهرة سنة ٤٦٠هـ لينهى دراسته المذهبية في مقر الدعوة هناك (١) ومن ثم عاد الى الري سنة ٤٦٤هـ حيث أصبح داعى دعاة العراقيين (العراق العربى والعجمى) .

بذل أحمد بن عبد الملك بن عطاش جهودا جبارة في سبيل تأليف جيش اسماعيلى حيث تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعه بالقرب من أمفيهان كقلعة خالنجان وشيركوه وغيرها من الحصون المنيعه التى أصبحت فيما بعد أكبر العون له في تحقيق أمانيه .

بقى أحمد بن عبد الملك بن عطاش على زعامة الاسماعيلية الى سنة ٥٠٠هـ حيث قتل على يد أتباع السلطان السلجوقى محمد حين أسر بعض استيلائهم على قلعة أمفيهان مقر إقامة أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، حيث أن السلطان محمد لما شعر بخطر الباطنية وانتشار دعوتهم وأن خطرهم يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات أمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه سنة ٤٩٤هـ فتمكن من اجتياح بعض معاقلهم وقتل منهم عددا كبيرا وعاد السلطان مرة ثانية لقتالهم فتمكن جيوشه في عام ٥٠٠هـ من ضرب الطوق

(*) الترجمة مأخوذة من كتاب أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب .

(١) كان المقصود من ارسال الدعاة الاسماعيلية الى مقر الدعوة فى القاهرة هو تلقى العلم وحضور المجالس التأويلية أولا ، ولزيارة الامام المفروضة على كل من بلغ أعلى المراتب . وهذه الزيارة مفروضة كالحج لأن الاسماعيلية يعتبرون زيارة الامام الحج الباطن ، وزيارة بيت الله الحرام الحج الظاهر .

انظر مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ١١٤ حاشية رقم (٢) .

وحصار قلعة أصبهان (شاه دن) مقر القيادة الاسماعيلية ومركز ابي—
عطاش الى أن انتهى الأمر بسقوط تلك القلعة وقتل أكثر الباطنية الذين
بها، ووقع ابن عطاش في الأسر حيث أمر السلطان محمد بأن يشهر فـ
(١)
البلد ثم يسلخ جلده. حيا حتى الموت، فسلخ جلده. ثم مات .

(١) انظر تفاصيل ذلك في ابن الأثير : الكامل ٤٣٠/١٠ - ٤٣٤ .

الملحق الرابع

جدول بأسماء القادة والعلماء الذين اغتيلوا بيد الباطنية

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|---|--------------|---|
| (١) الخليفة المسترشد بالله العباسي | ٥٢٩هـ | هجم عليه بغضة عشر من الباطنية وطعنوه بالخناجر، ثم مثلوا به |
| (٢) الخليفة الراشد العباسي | ٥٣٢هـ | اغتيال غدرا في أصبهان |
| (٣) الوزير نظام الملك السلجوقي | ٤٨٥هـ | تقدم اليه باطنى فى صورة مستغيث ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله |
| (٤) الوزير نظام الملك (أبو نصر) | ٥٠٣هـ | وشب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدي الصلاة فى الجامع وجرحوه عدة جراحات . |
| (٥) الوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستانى | ٤٩٥هـ | عدا عليه شاب باطنى وجرحه عدة جراحات مات بعدها . |
| (٦) الوزير الكمال أبو طالب السميرى | ٥١٦هـ | وشب عليه الباطنية وهو سائر فى طريق ضيق وقتلوه . |
| (٧) الوزير معين الملك (أبو نصر) | ٥٢١هـ | وشب عليه باطنى وهو غافل مطمئن فقتله، وكان هذا الباطنى يعمل سائس لخليل معين الملك ليعمل الى هدفه . |

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|--|--------------|--|
| (٨) الوزير عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء | ٥٧٣هـ | تقدم اليه جماعة من الباطنية فى صورة فقراء ومعهم رقاع وهو فى طريقه الى الحج فتقدم اليه اُحدهم وضربه بسكين وتبعه ثان وثالث حتى قتلوه . |
| (٩) الوزير نظام الملك مسعود بن على | ٥٩٦هـ | قتله الباطنية غدرا |
| (١٠) الوزير فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك | ٥٠٠هـ | تقدم اليه شاب من الباطنية وهو يتظلم وفى يده رقعة، وبينما كان يقرأها الوزير وثب عليه ذلك الشاب بخنجر كان معه وقتله . |
| (١١) الأمير بلكابك سمرز | ٤٩٣هـ | طعنه الباطنية بسكاكينهم غدرا فقتلوه . |
| (١٢) الأمير مودود | ٥٠٧هـ | وثب عليه الباطنية بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة فى جامع دمشق وقتلوه . |
| (١٣) الأمير أحمد بن إبراهيم الروادى | ٥١٠هـ | تقدم اليه رجل من الباطنية وهو يتظلم ويبكى ومد اليه رقعة سألها أن يوصلها له الى السلطان، فلما أخذها منه وثب عليه ذلك الرجل على الفور بسكينه وقتله . |

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|---|-----------------|---|
| (١٤) الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقى | ٥٢٠هـ | هجم عليه بضعة عشر نفر من الباطنية فى الجامع وهو يؤدى صلاة الجمعة فقتلوه . |
| (١٥) الأمير تاج الملوك بورى بن طغتكين | ٥٢٥هـ | هجم عليه اثنان من الباطنية وحاولا قتله ، لكنه برأ من جراحه فيما بعد ولكنه توفى فى السنة التى بعدها متأثرا بأحد تلك الجراح . |
| (١٦) الأمير آقسنقر الأحمديلى | ٥٢٧هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (١٧) الأمير أغلمش | ٦١٤هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (١٨) الأمير شهاب الدين الغورى | ٦٠٢هـ | قتله الباطنية غدرا وخوفا منه ومن بطشه . |
| (١٩) أمير من أمراء جلال الدين بن خوارزمشاه | ٦٢٤هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٢٠) الأمير جناح الدولة حسين | ٤٩٥هـ | وشب عليه ثلاثة من الباطنية فى الجامع بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة وقتلوه . |
| (٢١) الأمير خلف بن ملاعب | ٤٩٩هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٢٢) الأمير شمس الملوك اسماعيل بن بورى | ٥٢٩هـ | قتله الباطنية غدرا . |

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|--|--------------|---|
| (٢٣) الأمير برسق الكبير | ٥٤٩٠هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٢٤) الأمير سيف الدين آخو علاء الدين الغورى | ٥٤٤٧هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٢٥) السلطان داود بن السلطان محمود | ٥٣٨هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٢٦) السلطان بكتمر | ٥٨٩هـ | تقدم اليه أربعة من الباطنية فى زى الصوفية، وقدم اليه أحدهم قصة فأخذها، وضربه بسكين على الفسور وقتلته . |
| (٢٧) السلطان صلاح الدين الأيوبى | ٥٧٠هـ | حاولوا قتله داخل معسكر جيشه لكنهم فشلوا . |
| (٢٨) السلطان صلاح الدين الأيوبى | ٥٧١هـ | حاولوا قتله وهو محاصر لخلب لكنهم فشلوا . |
| (٢٩) النائب نصر خان بن أرسلان خان محمد | ٥٢٤هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٣٠) المقرب جوهر | ٥٤٧هـ | تعرض اليه جماعة من الباطنية فى زى نساء واستغثن به، فوقف يسمع كلامهم، فوثبوا عليه وقتلوه . |
| (٣١) أبو صالح بن العجمى | ٥٧٣هـ | وثب عليه جماعة من الباطنية فى الجامع وقتلوه . |

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|--|-----------------|---|
| (٣٢) أخو الأمير قتادة أمير مكة | ٥٦٠٨ هـ | وشبوا عليه بمنى أيام الحج وقتلوه |
| (٣٣) أبو القاسم ابن امام الحرمين | ٥٤٩٢ هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٣٤) الفقيه أحمد بن الحسين البلخي | ٥٤٩٤ هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٣٥) الفقيه عبد اللطيف ابن الخجندی | ٥٥٢٣ هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٣٦) الفقيه أبو المحاسن الرويانى | ٥٥٠٢ هـ | قتله الباطنية غدرا . |
| (٣٧) القاضى أبو العلاء ماعد النيسابورى | ٥٤٩٩ هـ | قتله الباطنية بجامع أصبهان . |
| (٣٨) القاضى عبيد الله بن على الخطيبى | ٥٥٠٢ هـ | قتله الباطنية بالجامع وهو يؤدى صلاة الجمعة . |
| (٣٩) القاضى ماعد بن عبد الرحمن أبو العلاء | ٥٥٠٢ هـ | قتله الباطنية يوم عيد الفطر بنيسابور . |
| (٤٠) القاضى أبو سعد محمد بن نصر الهروى | ٥٥١٨ هـ | هجم عليه قوم من الباطنية فى جامع همذان وقتلوه . |
| (٤١) الواعظ أبو جعفر ابن المشاط | ٥٤٩٨ هـ | كان يدرس للناس فى الجامع ولما نزل من على كرسيه وشب عليه باطنى وقتله . |

| اسم المقتال | سنة الاغتيال | كيفية وقوع حادث الاغتيال |
|----------------------------------|-----------------|---|
| (٤٢) الواعظ أبو المظفر الخندي | ٥٤٩٦ هـ | كان يدرس للناس في الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه باطني وقتله . |

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

* ابن الأثير (عز الدين على بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيبانى
ت ٦٣٠هـ)

(١) الكامل فى التاريخ

ط دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(٢) التاريخ الباهر فى الدولة الاتابية

تحقيق عبدالقادر احمد طليعات - دار الكتب الحديثة ، القاهرة
١٩٦٣م .

* ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس الحنفى ت ٩٣٠هـ)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة

ط الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

* البخارى (أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ت ٢٥٦هـ)

صحيح البخارى بحاشية السندى

٤ أجزاء - دار المعرفة - بيروت .

* ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتى

الطنجى ت ٧٧٩هـ)

مذهب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار

وعجائب الأسفار

جزآن . تهذيب وضبط أحمد العوامرى بك ، ومحمد أحمد جاد المولى بك

القاهرة ط ١٩٣٤م .

* البغدادى (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرائينى
التميمي ت ٤٢٩هـ)

الفرق بين الفرق

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار المعرفة - بيروت .

* البغدادى (عبد المؤمن بن عبد الحق صفى الدين ت ٧٣٩هـ)
مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان
لياقوت ، ٣ أجزاء

تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية
ط الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

* البندارى (الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهاني - توفى
فى النصف الأول من القرن ١٠هـ)

تاريخ دولة آل سلجوق

وهو مختصر لتاريخ السلاجقة الذى ألفه عماد الدين الأصفهاني
بعنوان "نصرة الفترة وعصرة الفطرة"

دار الأفاق الجديدة - بيروت - ط الثانية ١٩٧٨م .

* ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى
الاتابكى ت ٨٧٤هـ)

النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة

نسخة معصورة عن طبعة دار الكتب - نشر وزارة الثقافة والارشاد

القومى .

* ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن
تيمية النميرى الحرانى الدمشقى ت ٧٢٨هـ)

مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٣٥ ، ٣٦

طبعة الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بالسعودية .

* ابن جبیر (أبی الحسن محمد بن أحمد بن جبیر الكنانی
الأندلسی ت ٦١٤هـ)

رحلة ابن جبیر

دار صادر - بیروت ط ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

* ابن الجوزی (أبو الفرج عبدالرحمن بن علی بن محمد الجوزی
القرشی البغدادی ت ٥٩٧هـ)

(١) تلخیص ابلیس

دار الکتب العلمیة - بیروت - ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) المنتظم فی تاریخ الملوك والأمم الأجزاء ٨، ٩

حیدر اباد الدکن - الهند - ط الأولى ١٣٥٩هـ .

* الجوینی (علاء الدین عطا ملک بن بهاء الدین محمد بن محمد
الجوینی ت ٦٨١هـ)

تاریخ جهانکشای

ترجمة محمد السعيد جمال الدين - مؤسسة سجل العرب - القاهرة

ط ١٩٧٥م .

(طبع مع بحث فی تطور الدعوة الاسماعيلية الى قيام الدولة

تأليف محمد السعيد جمال الدين) .

* ابن حجر (أبو الفغل أحمد بن علی بن حجر العسقلانی ت ٨٥٢هـ)

لسان المیزان ٧ أجزاء

مؤسسة الأعلیٰ للطبوعات، ط الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

* ابن أبی الحديد (أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن أبی الحديد

المدائنی ت ٦٥٦هـ)

شرح نهج البلاغة ٢٠ جزء

تحقيق محمد أبو الفغل ابراهيم - دار احياء الكتب العربية -
القاهرة - ط الأولى ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .

* ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري
ت ٤٥٦هـ)

الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ أجزاء
تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة - دار عكاظ السعودية
ط الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

* الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري ت ٧٢٧هـ)
الروض المعطار فى خبر الأقطار

تحقيق احسان عباس - بيروت ط ١٩٧٥م .
* ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ٨ أجزاء
فبسط خليل شحادة - مراجعة سهيل زكار - دار الفكر بيروت - ط الأولى
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق احسان عباس . دار صادر، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
* ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيدير العلائى المعروف بابن
دقماق ت ٨٠٩هـ)

الجواهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين
تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور - طبع مركز البحث العلمى بجامعة
أم القرى بمكة المكرمة .

* ابن أبى الدم الحموى (أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله ت ٦٤٢هـ)

التاريخ المظفرى

مخطوط بمكتبة خدابخش بالهند تحت رقم ٣٨٦٩ ، ويوجد منه صورة على

ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ١١٣١ .

* الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قيمان ت ٧٤٨هـ)

(١) دول الاسلام جزآن

تحقيق فهمى محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - الهيئة المصرية

العامه للكتاب ١٩٧٤م .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥ جزء

تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ابراهيم الزبيق - مؤسسة الرسالة ، بيروت

ط الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٣) العبر فى خبر من غير ٤ أجزاء

تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - دار الكتــــــــــــــــب

العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى ت ٦٥٤هـ)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان

الجزء الثانى والثالث مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم

$\frac{٤٦٩}{٦٧٦٥} / \frac{٤٦٩}{٦٧٦٥}$ ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى

بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٤١ - ٤٦٥ .

الجزء الثالث عشر والرابع عشر ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث بتركيا

تحت رقم ٢٩٠٧/١٣ ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى

بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٥٢ - ١٩٩٥ .

* السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

ت ٧٧١هـ)

طبقات الشافعية الكبرى ٩ أجزاء

تحقيق عبدالفتاح الحلواني ومحمود محمد الطناحي - طبع عيسى البابي

الخطبي - القاهرة - ط الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

* السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ت ٩٠٣هـ)

الغناء اللامع لأهل القرن التاسع

منشورات مكتبة الحياة - بيروت .

* السمعاني (عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني

ت ٥٦٢هـ)

الأنساب ٩ أجزاء

تحقيق محمد عوامه - نشر محمد أمين دمج - بيروت - ط الأولى

١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

* السموقي (حمزة بن علي بن أحمد اسماعيل بن محمد التميمي

بهاء الدين علي بن أحمد)

رسائل الحكمة

ط سنة ١٤٠٠هـ .

* السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ)

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق محمد أبو الغضل ابراهيم - دار اجياع الكتب العربية - ط الأولى

١٣٧٨هـ/١٩٦٧م .

* ابن شاکر (محمد بن شاکر بن أحمد بن عبدالرحمن بن شاکر —
الکتبی ت ٥٧٦٤هـ)

فوات الوفیات والذیل علیہ

تحقیق احسان عباس - دار صادر - بیروت ط ١٩٧٣ م .

* أبو شامة (شهاب الدین عبدالرحمن بن اسماعیل بن ابراهیم —
المقدسی الشافعی ت ٦٥٥هـ)

الروضتین فی أخبار الدولتین النورية والملاحیة

دار الجیل - بیروت .

* ابن شداد (بهاء الدین یوسف بن رافع بن تمیم المعروف بابن —
شداد ت ٦٣٢هـ)

النوادر السلطانیة والمحاسن الیوسفیة - أو - سیرة السلطان
صلاح الدین

تحقیق جمال الدین الشیال - الدار المعریة للتألیف والترجمة
القاهرة - ط الأولى ١٩٦٤ م .

* الشهرستانی (محمد بن عبدالکریم بن أحمد أبو الفتح الشافعی —
ت ٥٤٨هـ)

الملل والنحل

تقدیم واعداد عبداللطیف محمد العبد - الناشر مکتبة الانجلو —

المعریة - ط الأولى ١٩٧٧ م .

* الشوکانی (محمد بن علی الشوکانی ت ١٢٥٠هـ)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

مطبعة السعادة، القاهرة - ط الأولى ١٣٤٨هـ .

- * ابن ظافر (جمال الدين على بن ظافر الأزدي ت ٦١٣هـ)
أخبار الدول المنقطعة - القسم الخاص بالفاطميين
نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة - ط ١٩٧٢م .
- * ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا
ت ٧٠٩هـ)
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية
دار صادر - بيروت - ط ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- * ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملقب ت ٦٨٥هـ)
تاريخ مختصر الدول
المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ط الثانية ١٩٥٨م .
- * ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ)
بغية الطلب فى تاريخ حلب
جزء التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة - نشر وتعليق على سويــــــــــــــــم
مطبعة الجمعية التاريخية التركية - أنقرة ط ١٩٧٦م .
- * ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى
ت ٥٧١هـ)
تهذيب تاريخ دمشق
تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران - دار المسيرة - بيــــــــــــــــروت
ط الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- * ابن على (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت ١١٠٠هـ)
غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى جزآن
تحقيق وتقديم سعيد عبدالفتاح عاشور - دار الكتاب العربىــــــــــــــــى
بالقاهرة - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد — المعروف بابن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٨ أجزاء

المكتب التجارى - بيروت .

* عمارة اليمنى (نجم الدين عمارة بن على اليمنى الشاع — المشهور ت ٥٦٩هـ)

تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها

تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالى - ط الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م - القاهرة .

* الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المشهور بأبى حامد الغزالى ت ٥٠٥هـ)

فوائح الباطنية

تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوى - مؤسسة دار الكتب الثقافية/ الكويت .

* الفارقى (أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى ت ٥٧٢هـ) تاريخ الفارقى (أو الدولة المروانية) تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض - دار الكتاب اللبنانى - بيروت

ط الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبى الفدا

ت ٧٣٢هـ)

المختصر فى أخبار البشر

دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .

* الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت ٨١٧هـ)

القاموس المحيط . ٥ أجزاء

المطبعة المصرية - ط الثالثة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .

* القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ)

آثار البلاد وأخبار العباد .

دار صادر ، بيروت ، ط ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

* ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى

ت ٥٥٥هـ)

ذيل تاريخ دمشق

تحقيق سهيل زكار ، نشر دار حسان ، دمشق ط الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ)

صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء

نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى - القاهرة - بدون تاريخ .

* ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى

الدمشقى ت ٧٧٤هـ)

البداية والنهاية

نشر دار الفكر العربى .

* ماركو بولو

رحلات ماركو بولو المسماة بالينابيع

ترجمها الى الانجليزية ونشرها وليم مارسدن وترجمها الى العربية

عبد العزيز توفيق جاويد - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

* مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١هـ)

محيح مسلم بشرح النووي ١٨ جزء

دار اجياء التراث العربى - بيروت - ط الثانية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

* المقریزی (تقی الدین أحمد بن علی بن عبدالقادر بن محمد — المعروف بالمقریزی ت ٨٤٥هـ)

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ٣ أجزاء
تحقيق محمد حلمی أحمد — مطابع الأهرام التجارية — القاهرة
ط ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك
تحقيق محمد مصطفى زیادة — ط الثانية ١٩٥٦م — القاهرة .
(٣) المواعظ والاعتبار فی ذکر الخطط والآثار (خطوط المقریزی)
إصدار دار التحرير عن طبعة بولاق — سنة ١٢٧٠هـ .

* ابن منقذ (أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علی بن مقلد الكناني
الشيذري ت ٥٨٤هـ)
كتاب الاعتبار

تحقيق فيليب حتى — نشر جامعة برنستون — الولايات المتحدة
الأمريكية ط ١٩٣٠م .

* النوبختی (أبي محمد الحسن بن موسى النوبختی ت ٢١٠هـ)
فرق الشيعة

تعليق السيد محمد صادق بحر العلوم — المطبعة الجيدرية بالنجف
العراق — ط الرابعة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

* النويری (شهاب الدین أحمد بن عبد الوهاب النويری ت ٧٣٣هـ)
نهاية الارب فی فنون الأدب

ج ٢٦ تحقيق محمد فوزی العنتیل .

ج ٢٧ تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٤٦٩٧هـ)

(١) التاريخ الصالحى

مخطوط بمكتبة فاتح بتركيا تحت رقم ٤٢٢٤، ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ١٠٦١ .

(٢) مفرج الكروب فى أخبار بنى أليوب ج ١

تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - طبع جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ١٩٥٣م - الجزء الثانى، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م .

* الهمدانى (لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى

ت ٤٣٣٤هـ)

صفة جزيرة العرب

تحقيق محمد بن على الأكويع الحوالى - نشر دار اليمامة بالرياض

ط ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* الهيثمى (نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧هـ)

كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة

تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ٤ أجزاء

مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى

ت ٧٦٨هـ)

مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان

٤ أجزاء

منشورات مؤسسة الأعلمى - بيروت - ط الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* ياقوت الحموى (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى

البغدادى ت ٦٢٦هـ)

- (١) المشترك وضعاً والمفترق متعاً
نشر مكتبة المثنى ببغداد ١٨٤٦ م .
- (٢) معجم البلدان ٥ أجزاء
ط دار صادر، بيروت ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .
- * اليماني (محمد بن مالك بن أبي الغفل الحمادي اليماني)
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثري - نشر عزت العطش -
مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩ م .
- * اليونيني (موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني -
البلعبي الحنبلي ت ٧٢٦هـ)
ذيل مرآة الزمان ٤ أجزاء
حيدر اباد الدكن - الهند - ط الأولى ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م .

ثانيا : المراجع .

* أحمد : أحمد رمضان

شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى

مطابع شركة الاعلانات الشرقية - ط ١٣٩٧/هـ ١٩٧٧ م .

* الأمين : عبد الله

دراسات فى الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة

دار الحقيقة - بيروت - ط الأولى ١٤٠٦/هـ ١٩٨٦ م .

* الباشا : حسن

الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية

دار النهضة العربية - القاهرة - ط ١٩٦٦ م .

* بدوى : أحمد أحمد

الحياة العقلية فى عصر الحروب المليبية بمصر والشام

دار نهضة مصر - ط ١٩٧٢ م .

* بدوى : عبد الرحمن

مذاهب الاسلاميين ج ٢

دار العلم للملايين - بيروت - ط الأولى ١٩٧٣ م .

* برجوى : سعيد أحمد

الحروب المليبية فى المشرق

منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط الأولى ١٤٠٤/هـ ١٩٨٤ م .

* جلى : أحمد محمد أحمد

دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة "

نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية بالرياض - ط الأولى

١٤٠٦/هـ ١٩٨٦ م .

* جمال الدين : محمد السعيد

دولة الاسماعيليه فى ايران

(بحث فى تطور الدعوة الاسماعيليه الى قيام الدولة - مع ترجمه النص الفارسى الذى ورد عنها فى كتاب " تاريخ جهانكشاي " لعطاء ملك الجوينى) - مطابع سجل العرب بالقاهرة - ١٩٧٥ م .

* حبشى : حسن

(١) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (مؤلف مجهول)

ترجمة حسن حبشى - دار الفكر العربى - القاهرة ط ١٩٥٨ م .

(٢) الحرب الملبية الأولى

دار الفكر العربى - القاهرة - ط الثانية ١٩٥٨ م .

* حتى : فيليب

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الثانى

ترجمة كمال الينارجى - دار الثقافة بيروت - ط الثانية ١٩٧٢ م .

(٢) تاريخ العرب المطول

دار الكشاف للنشر - بيروت - ط الثالثة ١٩٦١ م .

* حسن : حسن ابراهيم

(١) تاريخ الاسلام السياسى ٤ أجزاء

مكتبة النهضة المصرية - ط الأولى ١٩٦٧ م .

(٢) الدولة الفاطمية

مكتبة النهضة المصرية - ط الثانية ١٩٥٨ م .

* حسنين : عبدالنعيم محمد

(١) سلاجقة ايران والعراق

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط الثانية ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م .

- (٢) قاموس الفارسية (فارسي - عربي)
دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* حسين : محمد كامل
- (١) طائفة الاسماعيلية - تاريخها ، نظمها ، عقائدها
نشر مكتبة النهضة المصرية - ط الأولى ١٩٥٩م .
- (٢) طائفة الدروز - تاريخها وعقائدها
دار المعارف بمصر - ط الثانية .
* الحلبي : سليمان
طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها
الدار السلفية - الكويت - ط الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* حلمي : أحمد كمال الدين
السلامة في التاريخ والحضارة
دار البحوث العلمية - الكويت - ط الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
* حمزة : نديم نايف
التنوخيون ، أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم في جبل لبنان
دار النهار للنشر - ط الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* الخطيب : محمد أحمد
- (١) الحركات الباطنية في العالم الاسلامي - عقائدها وحكم الاسلام فيها
نشر مكتبة الأقبى - عمان - ط الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (٢) عقيدة الدروز - عرض ونقد
نشر مكتبة الأقبى - عمان - ط الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* دائرة المعارف الإسلامية

ترجمة أحمد الشنتاوى (ومجموعة من الأساتذة) ١٥ جزء .

* أبو راشد : حنا

جبل الدروز

وهو الحلقة الأولى من الرحلة الشرقية العنامة ، ومعه كتاب حوران

الدامية ، وهو الحلقة الثانية من الرحلة .

نشر مكتبة زيدان بمصر - ط الأولى ١٩٢٥ م .

* رئيسمان : ستيفن

تاريخ الحروب الملبينية

ترجمة السيد الباز العزى - دار الثقافة - بيروت - ط الأولى

١٩٦٧ م .

* أبو زهرة : محمد

تاريخ المذاهب الإسلامية

الجزء الأول فى السياسة والعقائد

دار الفكر العربى - القاهرة .

* سالم : السيد عبد العزيز

التاريخ والمؤرخون العرب

مؤسسة شباب الجامعة - ط ١٩٨١ م .

* سرور : محمد جمال الدين

(١) سياسة الفاطميين الخارجية

دار الفكر العربى - ط الرابعة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .

(٢) دولة الظاهر بيبرس فى مصر

دار الفكر العربى - ط ١٩٦٠ م .

(٣) الدولة الفاطمية في مصر : سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها

دار الفكر العربي بالقاهرة ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* شرف الدين : أحمد حسين

اليمن عبر التاريخ

مطابع البادية بالرياض - ط الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* الشكعة : مصطفى

اسلام بلا مذاهب

دار النهضة العربية - بيروت - ط الرابعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* الطويل : محمد أمين غالب

تاريخ العلويين

دار الأندلس - بيروت - ط الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* ظهير : احسان الهني

الاسماعيلية : تاريخ وعقائد

ادارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ط الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* عاشور : سعيد عبدالفتاح

(١) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى

بيروت - ١٩٧٧م .

(٢) الحركة المليبية جرّان

الناشر مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٢م .

* عاشور : فايد حماد .

جهاد المسلمين في الحروب المليبية

مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* عبدالله : الحسينى

الجدور التاريخية للنسرية العلوية

دار الاعتصام - القاهرة - ط الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

* عبدالكريم : أحمد عزت (ونخية من الأساتذة)

أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ط ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

* العرينى : السيد الباز

مؤرخو الحروب الصليبية

دار النهضة العربية - القاهرة - ط ١٩٦٢م .

* على : محمد كرد

خطط الشام ٣ أجزاء

دار العلم للملايين - بيروت - ط الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

* عنان : محمد عبدالله

(١) تراجم اسلامية - شرقية وأندلسية

مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط الثانية ١٣٩٠هـ .

(٢) مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى

القاهرة - ط الأولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

(٣) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية

نشر مؤسسة الخانجي - القاهرة - ط الثانية ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

* غالب : مصطفى

(١) أعلام الاسماعيلية

نشر دار اليقظة العربية - بيروت - ط ١٩٦٤م .

- (٢) الشاعر الحميرى "الحسن بن الصباح"
دار الأندلس - بيروت - ط ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- (٣) سنان راشد الدين "شيخ الجبل الثالث"
دار اليقظة العربية - بيروت - ط الأولى ١٩٦٧م .
- * غوانمه : يوسف حسن درويش
دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الاسلامى
دار الفكر - عمان - ط ١٩٨٣م .
- * الفوزان : أحمد .
أضواء على العقيدة الدرزية
ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- * كحالة : عمر رضا
التاريخ والجغرافية فى العصور الاسلامية
المطبعة التعاونية بدمشق - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- * الكنانى : معطفى حسن محمد
(١) العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى
الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ط ١٩٨١م .
- (٢) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى
الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ط ١٩٨١م .
- * لسترنج : كى
بلدان الخلافة الشرقية
ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مؤسسة الرسالة - ط الثانية
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* لويس : برنارد

الدعوة الاسماعيلية الجديدة "الحشيشية"

نقله الى العربية د. سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - ط الأولى

١٣٩١هـ/١٩٧١م .

* معطى : شاكر

التاريخ العربى والمؤرخون - دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفته

رجاله فى الاسلام - جزآن

دار العلم للملايين - بيروت - ط الأولى ١٩٧٩م .

* المعافيدى : خاشع

الحياة السياسية فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى

دار الحرية - بغداد - ط الأولى ١٩٧٥م/١٩٧٦م .

* مكارم : سامى نسيب

أفواء على مسلك التوحيد "الدرزية"

دار صادر - بيروت - ١٩٦٦م .

* المناوى : محمد حمدى

الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى

نشر دار المعارف بمصر .

* أبو النصر : عمر

قلعة ألموت (الحسن بن الصباح)

امدار مكتب عمر أبو النصر للتأليف - بيروت - ط الثانية ١٩٧٠م .

* النقاش : زكى

العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنسيين

خلال الحروب الصليبية

منشورات دار الكتاب اللبنانى - ط ١٩٥٨م .

* نوري : دريد عبدالقادر

سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة

مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٧٦م .

* وجدى : محمد فريد

دائرة معارف القرن العشرين ١٠ أجزاء

دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٧١م .

* ياسين : أنور - ومجموعة من المؤلفين

بين العقل والنبي

ط باريس ١٩٨١م .

* اليماني : عبدالواسع بن يحيى الواسعي

تاريخ اليمن - المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن

الدار اليمنية للنشر - ط الثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ثالثا : المجلات والدوريات .

(١) المجلة التاريخية المصرية

مجلة تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلد (٨) لسنة ١٩٥٩ م .

المجلد (١٦) لسنة ١٩٦٩ م .

(٢) مجلة الدارة

مجلة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز بالرياض

العدد الثاني - السنة الثانية عشرة - محرم ١٤٠٧ هـ / سبتمبر ١٩٨٦ م .